

# فِقْهُ الْأَسْمَاءِ الْجَسِنَةِ

تأليف

عَبْدِ الرَّزَاقِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرِ

طبع على نفقة وقف الشيخ  
ابراهيم بن حمد الوقبي  
رحمه الله وغفر له وبارك في ذريته

فقه  
الإمام الحسن

ح

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، هـ ١٤٢٩

**فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

فقه الأسماء الحسنى / عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، المدينة المنورة، هـ ١٤٢٩

٣٨٤ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١٥٤٤-٣ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

أ. العنوان

١٤٢٩ / ٦١٩٤

١- الأسماء والصفات

ديوي ٢٤١

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦١٩٤

ردمك: ١٥٤٤-٣ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

**حقوق الطبع محفوظة**

**الطبعة الثانية**

م ٢٠٠٩ - هـ ١٤٣٠

# فِقْهُ الاسْمَاءِ الْحَسَنَى

قال ابن القيم رحمه الله :

«من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة»

«الجواب الكافي» (ص ٩٩)

تأليف  
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## قرآن

الحمد لله وحده، وبعد: فقد اطلعتُ على كتاب «فقه الأسماء الحسني» تأليف فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، كما استمعت إلى حلقات منه ألقىت عبر إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية، وقد استفدتُ منه كثيراً، كما استفاد منه غيري من يستمعون إلى هذا البرنامج الناجح بإذن الله.

الحقيقة أن فضيلة الدكتور عبد الرزاق قد وُفق في اختيار هذا الموضوع والقيام بتتبع ما ورد فيه من النصوص الشرعية من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام علماء السلف مما ينمی العقيدة السلفية ويرسخ الإيمان في قلب الإنسان، وقد مهد لذلك بمقدمة هامة في فضل هذا النوع من العلم النافع، وهو العلم بأسماء الله الحسني والتفقه فيها على ضوء عقيدة السلف الصالح، كما وُفق قبل ذلك بإخراج صنوه وتوأمه، وهو كتاب «فقه الأدعية والأذكار» المطبوع ١٤١٩هـ بمطبعة دار ابن عفان، والذي استوعب فيه طائفه كثيرة من الأذكار والأدعية الشرعية الثابتة في السنة الصحيحة مما لا يستغني عنه الإنسان في صباحه ومسائه وليله ونهاره ونومه ويقطنه مما يعينه على أمور دينه ودنياه، ويطرد عنه وساوس الشيطان، وقرظه شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز وأثنى عليها ثناء عاطراً.

فهذا الكتابان التوأمان قد اشتتملا على كنوز من علوم أسماء الله الحسني

والأدعية والأذكار الشرعية الواردة في القرآن والسنة، وهي تبني الإيمان في القلوب وترسّخ العقيدة السلفية وترد على المخالفين على اختلاف مشاربهم، وهذا في الحقيقة من أهمّ ما ينبغي للمسلم الاهتمام به؛ فحاجة الإنسان إليه أهم من حاجته إلى الطعام والشراب، وحسبك أنّ القرآن العظيم اهتم بذكر هذه الأصول أكثر مما اهتم بذكر الأكل والشرب والنكاح وغيرها من ضروريات الحياة.

ولئن أُنصح إخواني وأبنائي الطلبة وأوصيهم بالاهتمام بذلك، فهو خير ما يستفيده الإنسان في حياته من العلوم النافعة، وبالله التوفيق.

وكتبه الفقير إلى الله  
**عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل**

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً  
حامداً الله مصلياً مسلماً على عبده رسوله محمد  
وآله وصحبه أجمعين.

- ٦ / ٦ - ١٤٢٩ هـ

# المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على كل حال، الموصوف بصفات العظمة والجلال، الأحد الصمد الحبي القيوم الكبير المتعال، له الأسماء الحسنى، والصفات العلا والمجد والكمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزه عن الشريك والتنديد والمثال، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله قدوة العباد في النبات والأقوال والأفعال، صلى الله وسلم وببارك عليه وعلى الصحب والآل.

وبعد: فهذا جموعٌ نافعٌ مفیدٌ - بإذن الله عَزَّوجَلَّ - في أشرف الفقه وأنفعه «فقه أسماء الله الحسنى»، شرحت فيه أكثر من مائة اسم من أسماء الله الحسنى، مسبوقةً بمقدّماتٍ تأصيليةٍ في فقه هذا الباب العظيم، وقد حرصت في إعداده على أن يكون بألفاظٍ واضحةٍ وأسلوبٍ ميسّرٍ، مع عنايةٍ بعرض الشواهد وذكر الدلائل من كتاب الله عَزَّوجَلَّ، وسنة النبي الكريم ﷺ موضحاً ما تيسّر من الجوانب التعبديّة والآثار الإيمانية التي هي مقتضى الإيمان بأسماء الله، وقد استفدتُ في ذلك كثيراً من تقريرات أهل العلم الراسخين، ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القييم والشيخ عبد الرحمن السعدي رحم الله الجميع، وهو في الأصل حلقات قدّمتها عبر إذاعة القرآن الكريم بالملكة العربية السعودية حرستها الله، في حلقات أسبوعية بلغت عدتها اثنين

وثمانين حلقة.

هذا ولست في هذا الباب بفارس ولا راجل، وإنما حالٍ فيه كما قال القائل:

أَسِيرُ خَلْفَ رَكَابِ النُّجُبِ ذَا عَرْجٍ  
مُؤْمَلًا غَيْرَ مَا يَقْضِي بِهِ عَرَجِي  
فَكُمْ لِرَبِّ السَّبَّا فِي النَّاسِ مِنْ فَرْجٍ  
إِنْ لَحِقْتُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا  
وَإِنْ ظَلَلْتُ بِقَفْرِ الْأَرْضِ مِنْ قَطْعًا  
فَمَا عَلَى أَعْرَجٍ فِي ذَاكَ مِنْ حَرْجٍ

وأسأل الله الكريم المنان الحيّ القيوم الأحد الصمد بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام الذي يسر النفع به مسموعاً في الإذاعة أن يُسر النفع به مكتوباً في هذا المجموع، وأن يجعله حالاً لوجهه الكريم، مدنياً لجامعه وقارئه من جنات النعيم، راجياً من الله أن يجعل لنا جميعاً النصيب الوافر من قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا، مائةً إِلَّا وَاحِدًا، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وأن يغفر لي خططيتي وجهلي وإسرافي في أمري، وأن يهديني سواء السبيل؛ إنَّه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وإنني لأشكر الله سبحانه وأحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على ما منَّ به وتفضَّل بأن يسر لي إعداد هذا الكتاب ونشره، وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبله مني بقبول حسن، إنه هو السميع العليم.

ولا يفوتنـي هنا - بعد شكر الله - أن أـشكـر كلـ من سـاـهمـ في إـخـرـاجـ هـذـاـ الكـتـابـ بالـرـأـيـ والـمشـورـةـ، أوـ المـراجـعـةـ، أوـ التـدـقـيقـ، أوـ الطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ، أوـ نـقـلـهـ إـلـىـ الـلـغـاتـ الـأـخـرـىـ. وأـخـصـ بالـذـكـرـ وـالـشـكـرـ وـالـدـيـ الـكـرـيمـ الشـيـخـ عبدـ الـمـحـسـنـ الـبـدرـ جـزـاهـ اللهـ خـيرـاًـ وـرـفـعـ درـجـتـهـ فيـ عـلـيـنـ حـيـثـ سـمـعـهـ كـامـلاًـ بـقـرـاءـتـيـ عـلـيـهـ، وـأـفـادـنـ بـمـلـحوـظـاتـ قـيـمةـ وـتـوـجـيهـاتـ مـفـيدـاتـ نـافـعـةـ جـعـلـ اللهـ ذـلـكـ فيـ مـواـزـينـ حـسـنـاتـهـ. وـأـسـأـلـ اللهـ أـنـ

يبارك في حياته وذرّيته وأن يمدّ في عمره على طاعة الله وحسن عمل.

كما أشكر شيخي الجليل الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل الذي تكرّم  
بالاطّلاع على هذا الكتاب والتقرير له، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلام على نبينا محمد وآلـه وصحبه.

وكتبه

## عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

عن الله عنه وغفر له ورحمه والديه وجميع المسلمين  
في غرة جمادى الآخرة من عام تسعة وعشرين وأربعين ألف



(١)

## منزلة العلم بأسماء الله تعالى وصفاته

إنَّ الفقه في أسماء الله الحسنى باب شريف من العلم، بل هو الفقه الأكْبر، وهو يدخل دخولاً أوَّلِيًّا ومقدَّماً في قوله ﷺ: «من يُرِدُ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهُ فِي الدِّين» متفق عليه<sup>(١)</sup>، وهو أشرف ما صرفت فيه الأنفاس، وخير ما سعى في تحصيله ونيله أولو النُّهى والرشاد، بل هو الغاية التي تسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تنافس فيها المتنافسون، وهو عماد السير إلى الله، والمدخل القوي لnil محبَّه ورضاه، والصراط المستقيم لكلٍّ من أحبَّه الله واجتباه.

وكما أنَّ لكلٍّ بناء أساساً فإنَّ أساس بناء الدين الإيمانُ بِالله سبحانه وبآسمائه وصفاته، وكلَّما كان هذا الأساس راسخاً حمل البنيان بقوه وثبات، وسلام من التداعي والسقوط.

قال ابن القيم رحمه الله: «من أراد علوَّ بنائه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدَّة الاعتناء به، فإنَّ علوَّ البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيانٌ وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدم شيءٌ من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٧١)، و«صحيح مسلم» (رقم: ١٠٣٧).

البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد.  
فالعارف همته تصحح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس،  
فلا يلبت بنيانه أن يسقط، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُنَيَّةً عَلَىٰ نَقْوَىٰ مِنْ كُلِّهِ وَرِضْوَانٍ حَيْثُمْ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنَيَّةً عَلَىٰ شَفَاقَ جُرْفٍ هَارِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبه: ٩].  
فالأساس لبناء الأفعال كالقوة لbody الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت  
الbody ودفعت كثيراً من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للbody  
وكانـت الآفات إليه أسرع شيء.

فاحملـ بنـيـانـكـ عـلـىـ قـوـةـ أـسـاسـ الإـيمـانـ،ـ فإذاـ تـشـعـثـ شـيـءـ مـنـ أـعـالـيـ الـبـنـاءـ  
وـسـطـحـهـ كـانـ تـدـارـكـهـ أـسـهـلـ عـلـيـكـ مـنـ خـرـابـ الـأـسـاسـ.  
وهـذـاـ الـأـسـاسـ أـمـرـانـ:ـ صـحـةـ الـمـعـرـفـةـ بـالـلـهـ وـأـمـرـهـ وـأـسـمـائـهـ وـصـفـاتـهـ،ـ وـالـثـانـيـ:  
تـحرـيدـ الـانـقـيـادـ لـهـ وـلـرـسـولـهـ دـوـنـ مـاـ سـوـاهـ.

فـهـذـاـ أـوـثـقـ أـسـاسـ أـسـسـ الـعـبـدـ عـلـيـهـ بـنـيـانـهـ،ـ وـبـحـسـبـهـ يـعـتـلـيـ الـبـنـاءـ مـاـ شـاءـ»<sup>(١)</sup>.  
ولـذـاـ كـثـرـتـ الدـلـائـلـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ الـمـرـسـخـةـ لـهـذـاـ الـأـسـاسـ الـمـبـيـتـهـ لـهـذـاـ  
الـأـصـلـ،ـ بـلـ لـاـ تـكـادـ تـخـلـوـ آـيـةـ مـنـ ذـكـرـ لـأـسـمـاءـ اللـهـ الـحـسـنـىـ وـصـفـاتـهـ الـعـلـيـاـ؛ـ مـاـ  
يـدـلـ دـلـالـةـ وـاضـحـةـ عـلـىـ أـهـمـيـةـ الـعـلـمـ بـهـاـ وـالـضـرـورـةـ الـمـاـسـةـ لـعـرـفـتـهـاـ،ـ وـكـيـفـ لـاـ يـتـبـوـءـ  
هـذـهـ الـمـكـانـةـ الـمـنـيـفـةـ وـهـوـ الـغـاـيـةـ الـتـيـ خـلـقـ النـاسـ لـأـجـلـهـاـ وـأـوـجـدـوـ لـتـحـقـيقـهـاـ،ـ  
فـالـتـوـحـيدـ الـذـيـ خـلـقـ اللـهـ الـخـلـقـ لـأـجـلـهـ نـوـعـانـ:  
تـوـحـيدـ الـمـعـرـفـةـ وـالـإـثـبـاتـ،ـ وـهـوـ يـشـمـلـ الـإـيمـانـ بـرـبـوـبـيـةـ اللـهـ وـالـأـسـمـاءـ وـالـصـفـاتـ.  
وـتـوـحـيدـ الـإـرـادـةـ وـالـطـلـبـ،ـ وـهـوـ تـوـحـيدـ الـعـبـادـةـ.

---

(١) «الفوائد» (ص / ١٧٥).

دلّ على الأول قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْنَاهُ يَنْزَلُ الْأَمْرُ  
بِيَنْهُ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

ودلّ على الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا حَفِظَتُ لِحَنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].  
في الأولى خلق لتعلموا، وفي الثانية خلق لتعبدوا، فالتوحيد علم وعمل.  
وجاء في القرآن آيات كثيرة فيها الأمر بتعلم هذا العلم الشريف والعنابة بهذا  
الأصل العظيم.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، وقال: ﴿وَاعْمَلُوا  
أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال: ﴿وَاعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ إِمَّا تَعْبُدُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]  
وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾  
[البقرة: ٤٤]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نَعَمْ  
الْمَوْلَى وَيَعْلَمُ الْتَّصِيرَ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]  
وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَلَا خَدُورُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال: ﴿فَاعْمَلُوا أَنَّهُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. والآيات في هذا المعنى تقارب الثلاثين آية.

وأما ذكر الله لأسماءه وصفاته في القرآن فهو كثير جدًا ولا يقارن به ذكره  
سبحانه لأيّ أمر آخر، إذ هو أعظم شيء ذُكر في القرآن وأفضله وأرفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته  
وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة  
لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي

المتضمنة لذلك، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ،  
أنه قال لأبي بن كعب: «أتدرى أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿الله لا إله إلا هُوَ  
الّهُمَّ الْقَيُومُ﴾<sup>(١)</sup>، فضرب بيده في صدره وقال: ليهنتك العلم أبا المنذر». و أفضل سورة سورة أم القرآن، كما ثبت ذلك في حديث أبي سعيد بن المعلى  
في الصحيح، قال له النبي ﷺ: «إنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور  
ولا في القرآن مثلها، وهي السبع الثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيْتُه»<sup>(٢)</sup>، وفيها من  
ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد.

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ من غير وجه أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل  
ثلث القرآن<sup>(٣)</sup>، وثبت في الصحيح أنه بشرَ الذي كان يقرأها ويقول: إني لأحبُّها  
لأنها صفة الرحمن: بأن الله يحبُّه<sup>(٤)</sup>، فبَيْنَ أنَّ الله يحبُّ مَن يحبُّ ذكرَ صفاتِه سبحانه

. ٢٥٥ . البقرة:

(٢) الذي في «صحيح البخاري» (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلى، أنَّ النبي ﷺ قال له:  
«لأعلمك سورة هي أعظم السُّور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما  
أراد أن يخرج قلتُ له: ألم تقلْ: لأعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «هي  
السبع الثاني والقرآن العظيم الذي أُوتِيْتُه».

وأما اللُّفْظ المذكور أعلاه فهو في «مسند الإمام أحمد» (٣٥٧/٢) من حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه، قال: قرأ عليه أبي أم القرآن، فقال: «والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في  
الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها؛ إنما السبع الثاني والقرآن العظيم الذي  
أُعطيت» وإنساده صحيح.

(٣) البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم (٨١١) من حديث أبي  
الدرداء رضي الله عنه، و(٨١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «صحيح البخاري» (٧٣٧٥)، و«صحيح مسلم» (٨١٣).

وتعالى، وهذا بابٌ واسع»<sup>(١)</sup>.

وكل هذا واضح الدلالة على أهمية هذا العلم الشريف وعظم شأنه وكثرة خيراته وعوائده، وأنه أصل من أصول الإيمان، وركن من أركان الدين، وأساس من أُسس ملة الإسلام عليه تبني مقامات الدين الرفيعة ومنازله العالية، وكيف يستقيم أمر البشرية وتصلح حال الناس بدون معرفتهم بفاطرهم وبأرائهم وخالقهم ورمازفهم، ودون معرفتهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ونوعته الكاملة الدالة على كماله وجلاله وعظمته، وأنه المعبد بحق ولا معبد بحق سواه، ولكن أكثر الناس شغلهم ما خلق لهم مما خلقوا له، وقد حذر الله عباده من ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، والله المستعان والموفق لكل خير.



---

(١) «درء التعارض» (٥/٣١٠ - ٣١٢).

## ١ - فضل العلم

### بأسماء الله تعالى وصفاته

لاريب أنَّ العلم بِأَسْمَاءَ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ أَشَرُّفُ الْعِلْمِ الْشَّرِيعِيَّةِ، وَأَزَكَى الْمَقَاصِدِ  
الْعُلَيَّةِ وَأَعْظَمُ الْغَايَاتِ السَّيِّنَةِ؛ لِتَعْلُقِهِ بِأَشَرُّفِ الْعِلْمِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَمَعْرِفَتُهُ سُبْحَانَهُ  
وَالْعِلْمُ بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ أَجْلُ عِلْمِ الدِّينِ كُلُّهَا، وَإِرَادَةُ وَجْهِهِ أَجْلُ الْمَقَاصِدِ،  
وَعِبَادَتُهُ أَشَرُّفُ الْأَعْمَالِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ وَمَدْحُوهُ وَتَجْيِيدُهُ أَشَرُّفُ  
الْأَقْوَالِ، وَذَلِكَ أَسَاسُ الْخَنِيفِيَّةِ مَلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ  
جَمِيعُ النَّبِيِّينَ، وَعَلَيْهِ اتَّفَقَتْ كُلُّ مُتَّقِمِهِمْ وَتَوَاطَّاتُ مُقَاتِلِهِمْ وَتَوَارُدُ نَصْحَهُمْ وَبِيَانِهِمْ، بِلِّ  
إِنَّهُ أَحَدُ الْمَحَاوِرِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عَلَيْهَا تَرْتَكَزُ دُعَوَتُهُمْ مِنْ أُولُّهُمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ مُحَمَّدَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

أُرْسِلُوا بِالْدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَبِيَانِ الطَّرِيقِ الْمُوَصَّلِ إِلَيْهِ، وَبِيَانِ حَالِ الْمَدْعَوِينَ  
بَعْدِ وَصْوَلِهِمْ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْمُتَّلِّذَةُ ضُرُورَيَّةٌ فِي كُلِّ مَلَةٍ عَلَى لِسَانِ كُلِّ رَسُولٍ.

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْعَالَمُ أَبْنُ الْقَيْمِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إِنَّ دُعَوَةَ الرَّسُولِ تَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةِ  
أَمْوَالٍ: تَعْرِيفُ الرَّبِّ الْمَدْعُوِ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ  
الطَّرِيقَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَيْهِ، وَهِيَ ذِكْرُهُ وَشُكْرُهُ وَعِبَادَتُهُ الَّتِي تَجْمَعُ كَمَالَ حَبَّهُ وَكَمَالَ الذَّلِّ  
لَهُ، الْأَصْلُ الثَّالِثُ: تَعْرِيفُهُمْ مَا هُمْ بَعْدِ الْوَصْلِ إِلَيْهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ مِنْ النَّعِيمِ الَّذِي

أفضله وأجله رضاه عنهم وتجليّه لهم ورؤيتهم وجده الأعلى وسلامه عليهم  
وتكليمه إياهم<sup>(١)</sup>.

وقال في شأن بيان خاتم الرسل ﷺ هذا المطلب العظيم: «فعرَّف الناس ربهم  
ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناه قواهم من المعرفة، وأبدى وأعاد، واختصر  
وأطرب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تجلّت معرفته سبحانه في قلوب عباده  
المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها كما ين稼ب السحاب عن القمر  
ليلة إبداره، ولم يدع لأمتَه حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله ولا إلى من بعده، بل  
كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا  
عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ يُتَلَقَّى عَلَيْهِمْ إِرْبَكٌ فِي ذَلِكَ لَرْحَمَةً وَذِكْرَنِي لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾  
[العنكبوت: ٥١]<sup>(٢)</sup>.

كيف لا وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «قد تركتم على البيضاء ليها  
كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إِلَّا هالك» رواه أحمد وابن ماجه<sup>(٣)</sup>، والقائل ﷺ: «ما  
بعث الله من نبي إِلَّا كان حَقّاً عليه أن يدل أمتَه على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن  
شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم<sup>(٤)</sup>، وقال أبوذر رض: «تركتنا رسول الله ﷺ وما طائر  
يُقلّب جناحيه في الهواء إِلَّا وهو يذكر منه علمًا». قال: فقال النبي ﷺ: ما بقي شيءٌ

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٨٩).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص/٢٨٥ - ٢٨٦).

(٣) «المسنن» (٤/١٢٦)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٤٣) وغيرها من حديث العرياض ابن  
ساريه رض، وإسناده صحيح، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).

(٤) في «صححه» (رقم: ١٨٤٤).

يقرّبُ من الجنة ويباعد من النار إلّا وقد بَيْنَ لَكُمْ» رواه الطبراني في المعجم الكبير<sup>(١)</sup>. فمن الحال أن يكون عليه الصلاة والسلام قد عَلِمَ الأُمَّةَ آدَابَ قضاء الحاجة وأدَابَ الطعام والشراب والدخول والخروج بتفصيل وافٍ وترَكَهُم دون أن يعلّمُهم ما يقولونه بأسْتَهْمِ ويعتقدونه بقلوبِهِم في ربِّهم ومعبودِهِم الذي معرفته غاية المعرف، والوصول إليه أَجْلَ المطالب وأَفْضَلَ المواتِب، وكيف لا يكون بَيْنَهُ الحاجة إِلَيْهِ فوق الحاجات كلها، فإنَّه لا سعادة للناس ولا فلاح ولا صلاح ولا نعيم ولا راحة إلَّا بأن يعرُفوا ربَّهُم ومعبودِهِم ويعبدوهُ، ويكون هو وحده غاية مطلوبِهِم ونهاية مرادِهِم، وذَكْرُهُ والتَّقْرُبُ إِلَيْهِ قرة عيونِهِم وحياة قلوبِهِم، فتى فَقَدُوا ذَلِكَ كَانُوا أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْأَنْعَامِ بَكْثِيرٍ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وبهذا يدرك المسلم شَرْفُ هذا العلم وفضله وأنَّه من الأسس العظام التي قامت عليها دعوات المرسلين، وأنَّه السبيل الوحيد لعزِّ العبد ورفعه وصلاحه في الدنيا والآخرة، وعليه فإن «من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربِّه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه فطلبَهُ لهذا الباب وحرصَهُ على معرفته وازدياده من التبصر فيه وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، وليس القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحاً بها بشيء أعظم من فرحتها بالظفر بمعرفة الحق فيه»<sup>(٢)</sup>.

وهذه المعرفة هي التي عليها مدار السعادة وبلغ الكمال والترقي في درج

(١) (٢/١٥٥) بإسناد صحيح، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٣).

(٢) «الصواعق المرسلة» (١/١٦١).

الرفة، ونيل نعيم الدنيا والآخرة، والظفر بأجل المطالب وأنجح الرغائب وأشرف المواهب، والناس في هذا بين مستكثر ومقل ومحروم، والفضل بيد الله يؤتى من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومتي كان العبد عارفاً بربه محبّا له قائما بعُبوديَّته ممثلا أمره مبتعدا عن نواهيه؟ تحقّق له بهذه المعرفة والعبودية اللتين هما غاية الخلق والأمر كمال الإنسان المرجو وسموّه المنشود، بل «ليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ومحبّته وذكريه والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفي عنده، ولا سبيل إلى هذا إلّا بمعرفة أو صافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد، والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىَ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَكُمْ﴾ [فاطر: ٢٨]: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنة كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر»<sup>(٢)</sup>.

فمعرفة الله تقوّي جانب الخوف والمراقبة وتعظم الرجاء في القلب، وتزيد في إيمان العبد، وتثمر أنواع العبادة، وبها يكون سير القلب إلى ربه وسعيُه في نيل رضاه أسرع من سير الرياح في مهابها، لا يلتفت يمينا ولا شمala، وال توفيق بيد الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

(١) «الكافية الشافية» (ص/ ٣ - ٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٣).

## ٢ - فضل العلم

### بأسماء الله تعالى وصفاته

إنَّ معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا هي غاية مطالب البرية، وهي أفضل العلوم وأعلاها، وأشرفها وأسماؤها، وهي الغاية التي شَمَرَ إليها المشمرُون، وتنافس فيها المنافسون، وجرى إليها المتسابقون، وإلى نحوها تتد الأعناق، وإليها تتجه القلوب الصحيحة بالأسواق، وبها يتحقق للعبد طيب الحياة «فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلَّا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإلابة إليه والطمأنينة بذكره والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوَّض عنها بما تعوَّض من الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضاً عن هذه الحياة، فمِنْ كُلٌّ شيءٍ يفوَت عوْضٌ، وإذا فاتَه الله لم يُعوَّض عنه شيءٌ في البتة»<sup>(١)</sup>.

والعجب من حال أكثر الناس «كيف ينقضي الزمان، وينفذ العمر، والقلب محجوبٌ ما شَمَّ لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده حسرةً وأسفًا»<sup>(٢)</sup>، فيخرج من الحياة وما ذاق أطيب ما فيها،

(١) «الجواب الكافي» لابن القيّم (ص / ١٣٢ - ١٣٣).

(٢) «طريق المجرتين» لابن القيّم (ص / ٣٨٥).

ويغادر الدنيا وهو محروم من أحسن ملاذها؛ فإن اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش والنعيم إنما هو في معرفة الله وتوحيده، والأنس به والشوق إلى لقائه، وأنكُد العيش عيُش قلْبِ مشتَّتٍ، وفؤاد مزَّق ليس له قصدٌ صحيح يبغيه ولا مسار واضح يَتَّجه فيه، تشعبت به الطرق، وتكاثرت أمامه السبل، وفي كل طريق كبوة، وفي كل سبيل عثرة، حيرانَ يهيم في الأرض لا يهتدِي سبيلاً، ولو تنقل في هذه الدروب ما تنقل لن يحصل لقلبه قرار، ولا يسكن ولا يطمئن ولا تقر عينه حتى يطمئنَ إلى إلهه وربِّه وسيده ومولاه، الذي ليس له من دونه ولِيٌ ولا شفيع، ولا غنى له عنه طرفة عين، والأمر كما قيل:

نَقْلٌ فَوَادِكَ حِيثُ شَئْتَ مِنَ الْهَوَى      مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ  
كَمْ مَنْزِلٌ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَّى      وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

فمن حرص على أن يكون هُمُّه واحداً وهو الله، وطريقه واحداً وهو بلوغ رضاه؛ نال غاية المنى، وحاز مجتمع السعادة، إلا أن حال أكثر الخلق في نأي عن هذا المرام، كما قال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله ومحبته والأنس بقربه والشوق إلى لقائه»<sup>(١)</sup>.

فهذه المعرفة والمحبة والأنس هي السبيل الآمنة للسائلين والطريق الرابحة للمشمرين، «فالسيير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه»<sup>(٢)</sup>، فلا يزال مترياً في هذه المعالي،

(١) ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص/١٢٣).

(٢) «طرق المجرتين» (ص/٣٩٣ - ٣٩٤).

ماضيا في هذه الطريق إلى أن يبلغ عالي الرتب ورفع المنازل.

وسبيل هذه المعرفة يكون «باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف، فمثلاً أسماء العظمة والكربلاء والمجد والحلال والهيبة تملأ القلب تعظيمًا لله وإنجلاً له، وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة الله وشوقاً له وحمداً له وشكراً، وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خصوصاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه، وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة الله في الحركات والسكنات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة، وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه والتفاتاً إليه كل وقت في كل حال».

فهذه المعرفة التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعبده بها الله لا يحصل العبد في الدنيا أَجْلَ ولا أَفْضَلَ ولا أَكْمَلَ منها، وهي أَفْضَلُ العطايا من الله لعبدِه، وهي رُوح التوحيد ورُوحُه، ومن افتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص والإيمان الكامل»<sup>(١)</sup>.

وهاهنا ينبغي أن يعلم أن معرفة الله سبحانه نوعان: الأول: معرفة إقرار، وهي التي اشتراك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي، والثاني: معرفة توجب الحياة منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأنس به والفرار من الخلق إليه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «القول السديد» لابن سعدي ضمن «المجموعة الكاملة لمؤلفاته» (٣/٤٥ - ٤٦).

(٢) انظر: «الموائد» لابن القيم (ص/١٩٠).

وهذه المعرفة هي المصدر لكل خير، والمنبع لكل فضيلة، ولهذا فإن طريقة القرآن في الدعوة إلى الحق والهدى والتحذير من مواطن الالاكم والردى قائمة على فتح أبواب هذه المعرفة، ففي القرآن يذكر سبحانه من صفات كماله وعلوه على عرشه وتكلُّمه وتتكلِّمه وإحاطة علمه ونفوذه مشيئته ما يدعو العباد إلى لزوم الإخلاص وتحقيق التوحيد والبراءة من اتخاذ الأنداد والشركاء.

ويذكر لهم من أوصاف كماله ونوعوت جلاله ما يجلب قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته والمسارعة إلى طاعته والتنافس في القرب منه ولزوم ذكره وشكره وحسن عبادته، ويذكر صفاته أيضاً عند ترغيبه لهم وترهيبه وتخويفه ليُعرِّف القلوب من تخافه وترجوه وترغب إليه وترهب منه.

ويذكر صفاته أيضاً عند أحکامه وأوامره ونواهيه ليُعظِّم العبادُ أمره ويلزموا شرعاً، فقلَّ أن تجد آيةً فيها حكم من أحکام المكْلَفِينَ إلَّا وهي مختتمةٌ بصفةٍ من صفاته أو صفتين، وقد يذكر الصفة في أول الآية ووسطها وأخرها، كقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُشْتِكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَادُرَ كُلِّ مَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ويذكر صفاته عند سؤال عباده لرسوله عنه، ويذكرها عند سؤالهم له عن أحکامه، وأحکامه كلها قائمة لذكر أسماء الرب وصفاته حتى إن الصلاة لا تتعقد إلَّا بذكر أسمائه وصفاته، فذكر أسمائه وصفاته رُوحها وسرُّها، يصبحها من أَوَّلها إلى آخرها، وإنما أَمْرٌ بِإقامتها لِيُذْكُر بِأسمائه وصفاته<sup>(١)</sup>، وهكذا الشَّأن في جميع الطاعات وأنواع الْقُرْبَ، فمعرفة الأسماء والصفات أساس السعادة والمدخل لكُلِّ خير، والتوفيق بيد الله وحده.

---

(١) انظر: «الصواعق المرسلة» لابن القِيم (٩١٠ - ٩١١ / ٣).

## ٣ - فضلُ العلم

### بأسماء الله تعالى وصفاته

إنَّ العلم بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ عِلْمٌ مَبَارَكٌ، كَثِيرُ الْعَوَائِدِ، غَزِيرُ الْفَوَائِدِ، وَمُتَنَوِّعٌ  
الشَّهَارُ وَالآثَارُ، وَيَتَجَلُّ لَنَا فَضْلُ هَذَا الْعِلْمِ وَعَظِيمُ نَفْعِهِ مِنْ خَلَالِ أَمْوَالِ عَدِيدَةِ،  
أَهْمَها مَا يَلِيهِ:

**أوَّلًا:** أَنَّ هَذَا الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْعِلْمَوْنَ وَأَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَاهُمْ مَكَانَةً وَأَرْفَعُهُمْ مَنْزَلَةً،  
وَشَرْفُ الْعِلْمِ مِنْ شَرْفِ مَعْلُومِهِ، وَلَا أَشْرَفَ وَأَفْضَلَ مِنْ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ  
وَصَفَاتِهِ الْوَارَدَةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَسَنَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَلَذَا إِنَّ الْإِشْتِغَالَ بِهِ  
وَالْعُنَيْةَ بِفَهْمِهِ إِشْتِغَالٌ بِأَشْرَفِ مَطْلُوبٍ وَأَجْلٌ مَقْصُودٌ.

**ثَانِيًا:** أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَالْعِلْمَ بِهِ تَدْعُ إِلَى مُحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ وَخَشْبَتِهِ  
وَخُوفِهِ وَرَجَائِهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِهِ، وَكُلُّمَا قَوِيتَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فِي الْعَبْدِ عَظِيمٌ إِقْبَالُهُ  
عَلَى اللَّهِ وَاسْتِسْلَامُهُ لِشَرِيعَتِهِ وَلِزُورَمُهُ لِأَمْرِهِ وَبُعْدُهُ عَنْ نَوَاهِيهِ.

**ثَالِثًا:** أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصَفَاتَهُ، وَيُحِبُّ ظَهُورَ آثَارِهَا فِي خَلْقِهِ،  
وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ كَمَالِهِ، فَهُوَ وَتَرْ يُحِبُّ الْوَتَرَ، جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، عَلِيمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءِ،  
جَوَادٌ يُحِبُّ الْأَجْوَادَ، قَوِيٌّ وَالْمُؤْمِنُ القَوِيُّ أَحَبٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُضِيَّفِ، حَيِّيٌّ  
يُحِبُّ أَهْلِ الْحَيَاةِ، تَوَّابٌ يُحِبُّ التَّوَابِينَ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، صَادِقٌ يُحِبُّ

الصادقين، محسن يحب المحسنين، رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحاء،  
ستّير يحبُّ من يَسْتَر على عباده، عفوٌ يحبُّ من يعفو عنهم، بُرٌّ يحبُّ الِّبَرَّ وأهله، عدلٌ  
يحبُ العدل، ويُجازي عباده بحسب وجود هذه الصفات وُجودًا وعدمًا، وهذا باب  
واسع يدل على شرف هذا العلم وفضله.

رابعاً: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَوْجَدَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ وَسَخَرَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا  
فِي الْأَرْضِ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ كَمَا قَالَ سَبَّاحَانَهُ: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبَعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ  
مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرَ بِيَنْهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾  
[الطلاق: ١٢]، وَقَالَ سَبَّاحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ  
رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْفُوْزِ الْمُتَّيْمِنُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]،  
فاشتغال العبد بمعرفة أسماء الله وصفاته اشتغالٌ بها خلق له العبد، وتركه وتضييعه  
إهمالٌ لما خلق له، ولا ينبغي لعبدٍ فضلُ الله عليه عظيمٌ ونعمه عليه متواتية أن يكون  
جاهاً لربه مُعِرِّضاً عن معرفته سبّاحانه.

خامسًا: أَنَّ أَحَدَ أَرْكَانِ الإِيمَانِ الستةِ، بَلْ أَفْضَلُهَا وَأَجْلَهَا وَأَصْلُهَا الإِيمَان  
بِاللَّهِ، وَلَيْسَ الإِيمَانُ مُجَرَّدُ قولِ العَبْدِ: آمَنْتُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ معرفتِه بِرَبِّهِ، بَلْ حَقِيقَةُ  
الإِيمَانُ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ الَّذِي يَؤْمِنُ بِهِ وَيَبْذُلُ جَهَدَهُ فِي معرفَةِ أَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ حَتَّى يَبلغُ  
دَرْجَةِ الْيَقِينِ، وَبِحَسْبِ معرفتِه بِرَبِّهِ يَكُونُ إِيمَانَهُ، فَكُلُّمَا ازْدَادَ معرفَةً بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ  
ازْدَادَ معرفَةً بِرَبِّهِ، وَازْدَادَ إِيمَانَهُ، وَكُلُّمَا نَقْصَنَ نَقْصُهُ، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ عَرَفَ مَا سُواهُ،  
وَمَنْ جَهَلَ بِهِ فَهُوَ لِمَا سُواهُ أَجْهَلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ سَوْا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ  
أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، فَمَنْ نَسِيَ اللَّهَ أَنْسَاهُ ذَاتَهُ وَنَفْسَهُ وَمَصَالِحَهُ  
وَأَسْبَابَ فَلَاحِهِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

سادساً: أنَّ العلم به تعالى أصل الأشياء كُلُّها، حتى إنَّ العارف به حقيقة المعرفة يستدِّلُ بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام؛ لأنَّه سبحانه لا يفعل إلَّا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، ولذلك لا يشرع من الأحكام إلَّا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله، فأخباره كلها حقٌّ وصدقٌ، وأوامره ونواهيه كلها عدل وحكمة، ولهذا فإنَّ العبد إذا تدبر كتاب الله وما تعرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله، وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه، وتدبَّر أيامه وأفعاله في أوليائه وأعدائه التي قصَّها على عباده وأشهدهم إياها ليستدلوا بها على أنَّ إلههم الحق المبين الذي لا تنبغي العبادة إلَّا له ويستدلُّوا بها على أنه على كُلِّ شيء قادرٌ، وأنَّه بكلِّ شيء عليمٌ، وأنَّه شديد العقاب وأنَّه غفورٌ رحيمٌ، وأنَّه العزيز الحكيمٌ، وأنَّه الفعال لما يريد، وأنَّه الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، وأنَّ أفعاله كلها دائرة بين الحكمة والرحمة والعدل والمصلحة لا يخرج شيء منها عن ذلك، فإذا تدبر العبد ذلك أورثه ولا ريب زيادة في اليقين وقوتها في الإثبات وتماماً في التوكيل وحسن الإقبال على الله<sup>(١)</sup>.

سابعاً: أنَّ معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته تجارة رابحة، ومن أرباحها سكونُ النفس وطمأنينة القلب وانشراح الصدر، وسكنى الفردوس يوم القيمة، والنظر إلى وجه الله الكريم والفوز برضاه والنجاة من سخطه وعداته، والقلبُ إذا اطمأنَّ بأنَّ الله وحده ربُّه وإلهه ومعبوده ومليكيه وأنَّ مرجعه إليه حُسْنَ إقباله عليه وجَّهَ واجتهد في نيل محاباته والرغبة إليه والعمل بما يرضيه.

(١) انظر: «تفسير ابن سعدي» (١٠ / ١)، و«خلاصته» (ص / ١٥).

ثامنًا: أنَّ الْعِلْمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ هُوَ الْوَاقِيُّ مِنَ الْزَّلْلِ وَالْمَقِيلِ مِنَ الْعَثَرَاتِ  
وَالْفَاتِحُ لِبَابِ الْأَمْلِ، وَالْمَعْنَى عَلَى الصَّبَرِ، وَالْمَبْعَدُ عَنِ الْخَمْوَلِ وَالْكَسْلِ، وَالْمَرْغُبُ فِي  
الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَ، وَالْمَرْهُبُ مِنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَالسَّلْوانُ فِي الْمَصَابِ وَالآلَامِ،  
وَالْحَرْزُ الْحَامِيُّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْجَالِبُ لِلْمَحْبَةِ وَالْتَّوَادِّ، وَالْمَدْافِعُ لِلْسَّخَاءِ وَالْبَذْلِ  
وَالْإِحْسَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مِنَ الشَّهَارِ وَالآثَارِ.

فَهَذِهِ جَملَةٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ الدَّالِلَةِ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ  
وَشَدَّةِ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَيْهِ، بَلْ لَيْسَ هُنَاكَ حَاجَةٌ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ  
وَخَالِقِهِمْ وَمَلِيكِهِمْ وَمَدِيرِ شَوَّوْنِهِمْ، وَمَقْدُرِ أَرْزَاقِهِمْ، الَّذِي لَا غُنْيَ لَهُمْ عَنْهُ طَرْفَةٌ  
عَيْنٌ، وَلَا صَلَاحٌ لَهُمْ وَلَا زَكَاءٌ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَحْدَهُ سَبَّحَانَهُ، وَهَذَا  
فِيَنْ حَظَ الْعَبْدُ مِنَ الْصَّالِحِ وَاسْتِحْقَاقِهِ مِنَ الْمَدْحُ وَالثَّنَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ بِحَسْبِ مَعْرِفَتِهِ  
بِرَبِّهِ سَبَّحَانَهُ وَعَمِلَهُ بِمَا يَرْضِيهِ وَيَقْرُبُ إِلَيْهِ مِنْ سَدِيدِ الْأَقْوَالِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ.



## اقتضاء أسماء الله لآثارها من الخلق والتقوين

إنَّ من أَجْلِ المقامات وأَنْفَعُ الْأَمْورِ الْتِي تَوْجِبُ لِلْعَبْدِ الرُّفْعَةَ وَتَعِينُهُ عَلَى حُسْنِ الْعِرْفَةِ بِاللهِ وَتَحْقِيقِ مُحِبَّتِهِ وَلِزُومِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِ النَّظَرِ وَالتَّأْمُلِ فِي اقتضاء الأسماء الحسنى والصفات العليا لآثارها من الخلق والتقوين، وأنَّ العَالَمَ كُلَّهُ بِهَا فِيهِ مِن سَمَاءَتِهِ وَأَرْضِهِ وَشَمْسِهِ وَقَمْرِهِ وَلَيلِهِ وَنَهَارِهِ، وَجَبَلِهِ وَبَحَارِهِ، وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ آثارِهِ وَمَقْتَضِيَّاهُ، فَهِيَ كُلُّهَا تُشَيرُ إِلَى الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى وَحَقَائِقِهَا، تَنَادِي عَلَيْهَا وَتَدْلُّ عَلَيْهَا، وَتَخْبِرُ بِهَا بِلِسَانِ النُّطُقِ وَالْحَالِ، كَمَا قِيلَ:

تأمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا	مِنْ الْمَلَكِ الْأَعْلَى إِلَيْكِ رِسَالَاتٌ
وَقَدْ خَطَّ فِيهَا لَوْ تَأْمَّلْتُ خَطَّهَا	أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَّ اللَّهُ بِأَطْلَ
تُشَيرُ بِإِثْبَاتِ الصَّفَاتِ لِرَبِّهَا	فَصَامَتْهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلٌ

فلست ترى شيئاً أَدَلَّ على شيءٍ من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونوعوت كماله وحقائق أسمائه<sup>(١)</sup>، وهذا من أَجْلِ الْمَعْرِفَةِ وَأَشْرَفُهَا، وكل اسم من أسماء الله سبحانه له صفة خاصة؛ فإنَّ أسماءه أو صافٌ مدحٌ وكمال، وكل صفة لها مُقتضٍ و فعلٍ - إِمَّا لازمٌ وَإِمَّا مُتَعَدٌ - ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه،

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣٧٢/٣).

وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه، وكل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها، ويستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله، وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وأسمائه وصفاته عن ذاته، وهذا جاء في القرآن الكريم الإنكار على من عطله عن أمره ونفيه وثوابه وعقابه، وأن قائل ذلك نسب الله إلى ما لا يليق به وإلى ما يتزره عنه، وأن ذلك حكم سيء من حكم به عليه، وأن من نسبة إلى ذلك فما قدره حق قدره، ولا عظمة حق تعظيمه كما قال تعالى في حق منكري النبوة وإرسال الرسل وإنزال الكتب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال تعالى في حق منكري العاد والثواب والعقاب: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالآخِرُونَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِقَتُ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المختلفين؛ كالأبرار والفجار والمؤمنين والكافر: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّعَاتِ أَنْ يَعْلَمُهُمْ كَالَّذِينَ أَمْسَأُوا وَعَمِلُوا الصَّنِاعَاتِ سَوَاءً تَحْيَاهُمْ وَمَمْأُومُهُمْ سَاءَ مَا يَعْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، فأخبر أن هذا حكم سيء لا يليق به، تأبه أسماؤه وصفاته، وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبُوكُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ١٥ وَتَعَلَّمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْعَقِيقُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيرُ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] أي: عن هذا الظن والحسبان الذي تأبه أسماؤه وصفاته.

ونظائر هذا في القرآن كثيرة؛ ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته إذ ذلك مستلزم تعطيلها عن كلامها ومقتضياتها.

وعليه فإنَّ من أنسٍ ما يكون للعبد في هذا الباب مطالعةً مقتضيات الأسماء الحسنى، والتأمل في موجباتها، وحسن دلالتها على كمال مبدعها وعظمتها خالقها، وأنه سبحانه أتقنها وأحكمها غاية الإتقان والإحكام ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْنِيدٍ﴾ [الملك: ٣]، وكل

اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي آثاره من الخلق والتكونين.

فاسمه «الحميد المجيد» يمنع ترك الإنسان سدىًّا مهملًا معطلًا لا يؤمر ولا يُنهى ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه «الحكيم» يأبى ذلك، وكذلك اسمه «الملك»، واسمه «الحي» يمنع أن يكون معطلًا من الفعل، بل حقيقة الحياة الفعل، فكل حيٌّ فعال، وكونه سبحانه خالقًا قيوماً من موجبات حياته ومقتضياتها، واسمه «السميع البصير» يوجب مسموعًا ومرئياً، واسمه «الخالق» يقتضي مخلوقًا، وكذلك اسمه «الرزاق»، واسمه «الملك» يقتضي مملكة وتصرفاً وتدبيراً وإعطاءً ومنعاً، وإحساناً وعدلاً، وثواباً وعقاباً، واسم «البَّر المحسن المعطي المنان» ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها، واسم «الغفار التواب العفو» يقتضي وجود جنائية من الأمم تغفر، وتوبة تقبل، وجرائم يعفى عنها، وهكذا الشأن في جميع أسمائه الحسنى.

ومن تأمل في سريان آثار الأسماء والصفات في الأمر والعالم هداه إلى الإيمان بكمال الرب سبحانه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة، وأنه سبحانه له في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته، واستدعاه محبتهم له وذكرهم له وشكراً لهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى.

فكل اسم له تعبد مختص به - علماً ومعرفة وحالاً - ولا يتحقق شيء من هذا إلا بمثل هذا النظر والتدبر النافع في كل اسم وما يقتضيه، وأكمل الناس عبودية المتبع بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو التعبد بأسماء التعدد والبر

واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبراء ونحو ذلك.

وهذه طريقة الْكُمَلَ من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْمُسَمَّةُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاة الثناء ودعاة التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها<sup>(١)</sup>، وهو جل وعلا يحبّ أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها في خلقه، فإن ذلك من لوازمه كله، وفتح سبحانه لعباده أبواب معرفته والتبصر بأسمائه وصفاته، فدعا عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته؛ فإنها أدلّ شيء على أسمائه وصفاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها.

الأول تفكّر في آياته المشهودة، والثاني تدبّر لآياته المتلولة، وكلّ منها با布ٌ واسعٌ في معرفة الربّ المجيد والإله الحميد، فسبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعرّفات، ودهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرق، ثم نصب إليه الصراط المستقيم وعرّفهم به ودهم عليه ﴿لَيَهُكَمَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتَنِي وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتَنِي وَإِنَّ اللَّهَ لَسَيِّعُ عَلَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٢].



---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٤٤٩ - ٤٥٣).

## اقتضاء أسماء الله لآثارها من العبودية

إنَّ أسماء الله الحسنى وصفاته العليا مقتضيةٌ لآثارها من العبودية والأمر اقتضاها لآثارها من الخلق والتكونين، وقد مضى الحديث عن اقتضائتها لآثارها من الخلق والتكونين، والحديث هنا في اقتضائتها لآثارها من العبودية كالخضوع والذل والخشوع والإنابة والخشية والرعب والمحبة والتوكُل وغير ذلك من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، فإنَّ كُلَّ اسم من أسماء الله وكلَّ صفة من صفاته له عبودية خاصة هي من مقتضياتها ومن موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مُطْرِد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، وبيان ذلك أنَّ العبد إذا علم بتفرد ربّ تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة؛ فإنَّ ذلك يشمر له عبودية التوكُل على الله باطنًا ولوازمه التوكُل وثمراته ظاهراً.

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى الْحَمِيمِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّعُ بِمَحَمِّدِهِ وَكَفَى بِهِ بِنُؤُوبٍ عَبَادِيهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمُسَرِّقِ وَالْمُغَرِّبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمول: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وإذا علم العبد بأنَّ الله سميع بصير عليمٌ لا يخفى عليه مثقال ذرةٍ في

السموات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه تبارك وتعالى أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كُلَّ شيءٍ عدداً، فمن علم باطلاع الله عليه ورؤيته له وإحاطته به؛ فإن ذلك يثمر له حفظ اللسان والجوارح وخطرات القلب عن كُلِّ ما لا يُرضي الله وجعل تعلقات هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِيْعَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَنَقُوا أَنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، وقال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّمَا يَمْا تَعْمَلُونَ بَصِيرُ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَخْذُرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فلا ريب أنَّ هذا العلم يورث في العبد خشية الله ومراقبته والإقبال على طاعته والبعد عن مناهيه.

قال ابن رجب: «رأوَدَ رجُلٌ امرأةً في فلَّةٍ لِيَلًا فَأَبْتَ، فَقَالَ لَهَا: مَا يَرَانَا إِلَّا الكواكب، فَقَالَتْ: فَأَيْنَ مُوكِبُهَا؟!»<sup>(١)</sup> أي: أين الله، ألا يرانا؟ فمنعها هذا العلم اقتراف هذا الذنب والوقوع في هذه الخطيئة.

وإذا علم العبد بأنَّ الله غنيٌّ كريمٌ، بَرَّ رحيمٌ، واسع الإحسان، وأنه تبارك وتعالى مع غناه عن عباده فهو محسنٌ إليهم رحيمٌ بهم، يريد بهم الخير، ويكشف عنهم الضرر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرَّة، بل رحمةً منه وإحساناً، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثَّرُ بهم من قلة، ولا ليعتزَّ بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه، ولا يدفعوا عنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِلْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ

(١) «شرح كلمة الإخلاص» (ص/٤٩)، والقصة رواها ابن الجوزي في «ذم الموى» (ص/٢٧٢).

وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٦ - ٥٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأَذْلِ وَكَبِيرٌ تَكْيِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله ﷺ: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

إِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ أَثْمَرَ فِيهِ قُوَّةَ الرَّجَاءِ - قُوَّةَ رِجَاهِ بِاللَّهِ - وَطَمَعَهُ فِيهَا عِنْدَهُ، وَإِنَّزَالَ جَمِيعَ حَوَائِجهُ بِهِ، وَإِظْهَارَ افْتِقارِهِ إِلَيْهِ وَاحْتِياجِهِ لَهُ ﴿يَأَيُّهَا أَنَّاسُ أَتَسْرُّ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنْيُ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وَالرَّجَاءُ يُثْمِرُ أَنْوَاعَ الْعِبُودِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ بِحَسْبِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ وَعِلْمِهِ.

وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ بِعَدْلِ اللَّهِ وَانتِقامَهُ وَغَضِيبَهُ وَسُخْطَهُ وَعَقُوبَتِهِ فَإِنَّ هَذَا يُثْمِرُ لَهُ الخُشِيَّةَ وَالخُوفَ وَالْحُذرَ وَالْبَعْدَ عَنِ مُسَاخْطِ الرَّبِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ زَكَّلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَنَّكُمْ أَبِيَّنْتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظِيمَتِهِ وَعُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ ذَاتًا وَقَهْرًا وَقَدْرًا فَإِنَّ هَذَا يُثْمِرُ لَهُ الْخُضُوعَ وَالْاسْتِكَانَةَ وَالْمُحْبَةَ وَجَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ وَأَنَّكُمْ مَا يَكْنِيُونَكُمْ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَنِطُولُ وَلَكُمْ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَسْمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾

(١) (رقم: ٢٥٧٧) وهو طرف من حديث أبي ذر رض.

سُبْحَانَهُ، وَعَلَىٰ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

وإذا علم العبد بكمال الله وجلاله؛ أوجب له هذا محبة خاصةً وشوقاً عظيماً إلى لقاء الله، «ومن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه» متفق عليه<sup>(١)</sup>، ولا ريب أن هذا يشمر في العبد أنواعاً كثيرةً من العبادات، ولهذا قال تعالى: ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلَ عَمَلاً صَنِيلَحاً وَلَا يُشَرِّكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبهذا يعلم أنَّ العبوديَّة بجميع أنواعها راجعة إلى مقتضيات الأسماء والصفات، ولهذا فإنه يتأكد على كل عبد مسلم أن يعرف ربَّه ويعرف أسماءه وصفاته معرفة صحيحة سليمة، وأن يعلم ما تضمنته وأثارها، وموجبات العلم بها، فبهذا يعظم حظُّ العبد، ويكمel نصيه من الخير.

إنَّ المؤمن المُوَحَّد يجد بإيمانه ويقينه بأسماء ربِّه الحسنى وصفاته العليا الدالة على عظمته الله وكبرياته وتفرده بالحلال والحرام ما يجذبه إلى اجتماع همه على الله حباً وتذللًا، خشوعاً وانكساراً، رغباً ورهباً، رجاءً وطمعاً، وتوافق همته في طلب رضاه باستفراغ الوسع في التقرب إليه بالنواقل بعد تكميل الفرائض، والتوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع، ولا حول ولا قوَّةٌ إلَّا به جلَّ جلاله.



---

(١) رواه البخاري (رقم: ٦٥٠٨)، ومسلم (رقم: ٢٦٨٦) من حديث أبي موسى الأشعري حَلِيلُهُ.

## أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّهَا حُسْنِي

لقد امتدح الله في القرآن الكريم أسماءه العظيمة بوصفها كلها أنها حسنة، وتكرر وصفها بذلك في القرآن في أربعة مواضع: قال الله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَتِهِ سَيَجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوَ اللَّهَ أَوْ أَدْعُوَ الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا نَدْعُوْفَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿أَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ أَبْارِئُ الْمُصَوِّرَاتِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَيِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ أَنْزَلَ الْحَكِيمَ﴾ [الحشر: ٢٤].

ففي هذه الآيات وصف لأسمائه سبحانه جميعها بأنها حسنة، أي: بالغة في الحسن كماله ومتناه، وهي تأنيث (الحسن) لا (الحسن)؛ فهي على وزن (فعل) مؤنث (أ فعل) التفضيل معرفة باللام، أي: لا أحسن منها بوجه من الوجوه، بل لها الحسن الكامل التام المطلق؛ لكونها أحسن الأسماء، وهو المثل الأعلى في قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، أي: الكمال الأعظم في ذاته وأسمائه وصفاته، ولذا كانت أحسن الأسماء، بل ليس في الأسماء أحسن منها، ولا يسدُّ غيرها مسدّها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمراidi مخصوصاً، بل هو على سبيل التقرير والتفهم؛ لكونها في مبناتها ومعناها، وتحسينها في ألفاظها ومدلولاتها، فهي أحسن الأسماء، كما أن

صفاته سبحانه أكمل الصفات، والوصف بالحسنى وصف لها كلها، فهي كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك لأنها كلها أسماء مدح وحمد وثناء ومجيد، والله تبارك وتعالى لكمه وجلاله وجماله وعظمته لا يُسمى إلا بأحسن الأسماء كما أنه لا يوصف إلا بأحسن الصفات، ولا يشتم عليه إلا بأكمل الثناء وأحسن وأطيبه.

وأسماء الله إنما كانت حسنى لكونها قد دلت على صفاتِ كمالٍ عظيمٍ لله، فما كان من الأسماء عملاً محسناً لا يدل على صفة لم يكن من أسماء الله، وما كان منها ليس دالاً على صفاتِ كمال بل إما دالاً على صفات نقص أو صفات منقسمة إلى المدح والقدح لم يكن من أسماء الله، فأسماء الله جميعها توقيفية دالة على صفاتِ كمال ونوعوت جلال للرب تبارك وتعالى، فهي حسنى باعتبار معانيها وحقائقها لا بمجرد ألفاظها؛ إذ لو كانت ألفاظاً لا معانٍ فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح وكمال، ولساغ وقوع الأسماء الدالة على البطش والانتقام والغضب في مقام الأسماء الدالة على الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك شديد العقاب، أو اللهم أعطني فإنك أنت القاپض المانع، ونحو ذلك من الكلام المتنافر غير المستقيم.

ولهذا؛ فإنَّ كُلَّ اسم من أسماء الله دالٌّ على معنى من صفاتِ الكمال ليس هو المعنى الذي دلَّ عليه الاسم الآخر، فالرحمن - مثلاً - يدلُّ على صفة الرحمة، والعزيز يدلُّ على صفة العزة، والخالق يدلُّ على صفة الخلق، والكريم يدلُّ على صفة الكرم، والمحسن يدلُّ على صفة الإحسان، وهكذا، وإن كانت جميعها متفقةً في الدلالة على الرَّبِّ تبارك وتعالى، ولذا فهي من حيث دلالتها على الذات متراوفة، ومن حيث دلالتها على الصفات متباعدة، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أسماء الرَّبِّ تبارك وتعالى كلُّها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظاً مجردة لا معاني لها مطلقاً على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حسنة كلها فقوله: ﴿وَلَيَوْلَى الْأَسْمَاءُ الْخَسِنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهي لم تكن حسنة مجرد اللفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال.

ولهذا لما سمع بعض العرب قارئاً يقرأ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهَا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨] «والله غفور رحيم» قال: ليس هذا بكلام الله تعالى، فقال القاريء: أتکذب بكلام الله تعالى؟! فقام: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقام الأعرابي: صدقت؛ عَزَّ فحكم فقط، ولو غفر ورحم لما قطع، ولهذا إذا ختمت آية الرحمة باسم عذاب أو بالعكس ظهر تناقض الكلام وعدم انتظامه<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإنَّ دعاء الله بأسمائه المأمور به في قوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ لا يتأنى إلا مع العلم بمعانيها؛ فإنه إن لم يكن عالماً بمعانيها ربما جعل في دعائه الاسم في غير موطنها، كأن يختتم طلب الرحمة باسم العذاب أو العكس، فيظهر التناقض في الكلام وعدم الاتساق، ومن يتدبَّر الأدعية الواردة في القرآن الكريم أو في سنة النبي ﷺ يجد أنه ما من دعاء منها يختتم بشيء من أسماء الله الحسنة إلا ويكون في ذلك الاسم ارتباط وتناسب مع الدُّعاء المطلوب، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَقَبَلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَتَحِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، وقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَتَحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وهكذا

(١) «جلاء الأفهام» (ص/ ١٠٨).

الشَّأنِ فِي عَامَةِ الدَّعَوَاتِ المُأْثُورَةِ.

إِنَّ مَعْرِفَةَ الْمُسْلِمِ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَظِيمِ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى - وَهُوَ كُونُهَا حَسْنِي - يُزِيدُ فِيهِ التَّعْظِيمُ لَهَا وَالْإِجْلَالُ وَالْحَرْصُ عَلَى فَهْمِ مَعانِيهَا الْجَلِيلَةِ وَمَدْلُولَاتِهَا الْعَظِيمَةِ، وَيَبْعُدُهُ عَنْ مَنْزِلَاتِ الْمُحَرَّفِينَ وَتَأْوِيلَاتِ الْمُبَطَّلِينَ وَتَخْرُّصَاتِ الْجَاهِلِينَ. هَذَا؛ وَيُمْكِنُ أَنْ نُلْخُصَ الْمَعْانِي الْمُسْتَفَادَةُ وَالثَّمَارُ الْمُجْنَيَةُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ فِي الْأَمْرِ التَّالِيِّ:

الْأُولُّ: أَنَّهَا أَسْمَاءُ دَالَّةٍ عَلَى أَحْسَنِ مَسْمَىٰ وَأَجْلٌ مَوْصُوفٌ، وَهُوَ اللَّهُ تَبارُكُ وَتَعَالَى ذُو الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ.

الثَّانِي: أَنَّ فِيهَا إِجْلَالًا لِلَّهِ وَتَعْظِيْمًا وَإِكْبَارًا وَإِظْهَارًا لِعَظَمَتِهِ وَمَجْدِهِ وَكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَبْرِيَائِهِ سَبْحَانَهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْهَا دَالٌ عَلَى ثَبُوتِ صَفَةِ كَيْمَلِ اللَّهِ بِعِرْقَلَةٍ، وَلَذَا كَانَتْ حَسْنَى، وَصَفَاتُهُ تَبارُكُ وَتَعَالَى كُلُّهَا صَفَاتٌ كَمَالٌ وَنَعْوَتُهُ كُلُّهَا نَعْوَتُ جَلَالٍ وَأَفْعَالِهِ كُلُّهَا حَكْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَمَصْلَحةٌ وَعَدْلٌ.

الرَّابِعُ: أَنَّهَا لَيْسُ فِيهَا اسْمٌ يَحْتَوِي عَلَى الشَّرِّ أَوْ يَدْلِي عَلَى نَقْصٍ، فَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْهِ، فَلَا يَدْخُلُ فِي صَفَاتِهِ وَلَا يَلْحِقُ ذَاتَهُ وَلَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَفْعَالِهِ، فَلَا يَضَافُ إِلَيْهِ فَعَلًا وَلَا وَصْفًا.

الْخَامِسُ: أَنَّ اللَّهَ أَمْرَ عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ بِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَآتَعُوهُمْ بِمَا كُنُّوا يَعْمَلُونَ﴾، وَهَذَا شَامِلٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ وَدُعَاءِ الْمُسَأَّلَةِ، وَهَذَا مِنْ أَجْلِ الطَّاعَاتِ وَأَعْظَمِ الْقَرْبِ.

السَّادِسُ: أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ مِنْ أَحْصَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِنْهَا حَفْظًا وَفَهْمًا وَعَمَلاً بِمَا تَقْتَضِيهِ بَأْنَ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَبِاللَّهِ وَحْدَهُ التَّوْفِيقُ.

## جادة أهل السنة في باب الأسماء والصفات

إن جادة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات وفي الدين عموماً جادة مستقيمة وصراطهم صراط مستقيم؛ لأنه قام على تعظيم نصوص الشريعة ولزوم ما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان، فيؤمنون بها ورد فيها من أسماء الرَّبِّ وصفاته ويُمْرُّونه كما جاء، ويتبنونه كما ورد، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وأياته، ولا يُكِيِّفُون صفاته، ولا يمثلون شيئاً منها بشيء من صفات خلقه؛ لأن سبحانه لا سمى له، ولا كفؤ له، ولا ند، ولا يقاس بخلقه، ويؤمنون بأن رسليه الذين أخبروا عنه بتلك الصفات صادقون مصدقون، فكلامهم وحُيُّ من الله، ومهمتهم تبلغ رسالة الله، بخلاف الذين يقولون على الله ما لا يعلمون بما تليه عليهم عقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة، وربما أيضاً بواسطتهم السيئة.

ولهذا قال الله سبحانه: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾١٨٠﴿ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾١٨١﴿ وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]، فسبح نفسه عمّا وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد.

وهكذا الشأن في أتباعهم المقتفين آثارهم؛ يتبنون ما أثبته رسلي الله لربهم من

صفات الكمال ونعوت الجلال، كتكليمه لعباده، ومحبته لهم، ورحمته بهم، وعلوه عليهم، واستوائه على عرشه، وغضبه على أعدائه وسخطه عليهم، إلى غير ذلك مما ورد من نعوت الرَّبِّ الكريمة وصفاته الجليلة، فآمنوا بذلك كله، وأمْرُوهُ كما جاء من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد مشابهة أو مثالية، أو تأويل يؤدي إلى تعطيل صفات رب البرَّة، بل وسعتهم السنة المحمدية والطريقة المرضية، ولم يتجاوزوها إلى ضلالات بدعيَّة أو أهواء رديَّة، فحازوا بسبب ذلك الرتب السنية والمنازل العلية في الدنيا والآخرة، فسَنُّهم أَيْنَ، وطريقُهم أَقْوَمُ، وهدِّيهُمْ أَرْشَدُ، بل هو الحقُّ الذي لا حقَّ سواه والهدي الذي ليس بعده إلَّا الصَّلَالُ.

ومنهجهم في هذا الباب قائمٌ على أصلين عظيمين وأساسين متينين هما: الإثبات بلا تمثيل، والتزكية بلا تعطيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته سبحانه بذواتهم، ولا ينفون عنه صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة في كتابه وسنة رسوله ﷺ، بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا الإيمان يعدُّ أصلًا من أصول الإيمان الراسخة وأساسًا من أُسسِه العظيمة التي لا إيمان لمن لم يؤمن بها، فمن جَحَد شيئاً من أسماء الله وصفاته ونفها وأنكرها فليس بمؤمن، وكذلك من كَيَّفَها أو شبَّهَها بصفات المخلوقين، سبحانه الله عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون.

قال نعيم بن حماد رَجُلُ اللَّهِ: «من شَبَّهَ اللَّهَ بشيءٍ من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه»<sup>(١)</sup>.  
وقال الإمام أحمد رَجُلُ اللَّهِ: «لا يوصِّفُ اللَّهَ إلَّا بما وصفَ به نفسه أو وصفَ به

---

(١) رواه الأَلْكَائِيُّ في «شرح الاعتقاد» (رقم: ٩٣٦).

رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صحّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسلّم له ولا يناظر فيه»<sup>(٢)</sup>.

ومن عظيم نعمة الله على العبد أن يوفقه لسلوك هذا النهج القويم القائم على لزوم كتاب الله تعالى وسنته رسوله ﷺ بعيداً عن انحرافات أهل الباطل وتحريضات أهل الضلال، بل مَصْوِتاً بحمد الله على جادة واحدة ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كُلُّهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمةً واحدة من أولهم إلى آخرهم، لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثلاً، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإثبات والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها أمراً واحداً، وأجروها على سَنَنٍ واحد، ولسان حال قائلهم يقول: «من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلىينا التسليم»<sup>(٣)</sup>، وهذا الاتفاق الذي مضى عليه أهل السنة عبر التاريخ المديد يُعدُّ من أبين الدلائل على صحة منهجهم واستقامة مسلكهم.

ولهذا يقول أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «وما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أنها إلى آخرها، قد يدروا وحديثها؛

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/٢٦).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٤٣).

(٣) هذا الكلام أورده البخاري في «صححه» عن الزهري رحمه الله؛ وفي ذلك قصة ذكرها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٥٠٤).

وَجَدْتَهَا مَعَ اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ وَزَمَانِهِمْ وَتَبَاعُدِ مَا بَيْنَهُمْ فِي الْدِيَارِ، وَسُكُونٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَطْرًا مِنَ الْأَقْطَارِ فِي بَيَانِ الْإِعْتِقَادِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ وَنَمْطٍ وَاحِدٍ، يَحْرُونَ فِيهِ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا وَلَا يَمْلِئُونَ عَنْهَا، قُلُوبُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَنَقْلُهُمْ لَا تَرَى فِيهِ اخْتِلَافًا وَلَا تَفْرَقَا فِي شَيْءٍ مَا وَإِنْ قَلَّ، بَلْ لَوْ جَمِعْتُ جَمِيعَ مَا جَرَى عَلَى أَلْسُنِهِمْ وَنَقْلُهُمْ عَنْ سَلْفِهِمْ وَجَدْتَهُ كَأَنَّهُ جَاءَ عَنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ جَرَى عَلَى لِسَانٍ وَاحِدٍ، وَهُلْ عَلَى الْحَقِّ دَلِيلٌ أَبْيَنَ مِنْ هَذَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَرَّقُوا وَإِذَا كُرُوا يَعْمَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحُوكُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَأَمَّا إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَهْلِ الْبَدْعِ رَأَيْتَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ شَيْعَا وَأَحْرَابًا لَا تَكَادُ تَجِدُ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْإِعْتِقَادِ، يَبْدُعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بَلْ يَرْتَقُونَ إِلَى التَّكْفِيرِ، يَكْفُرُ الابْنُ أَبَاهُ وَالْأَخُوَاءُ جَارِهِ، وَتَرَاهُمْ أَبْدًا فِي تَنَازُعٍ وَتَبَاغُضٍ وَالْخَتْلَافِ، تَنْقِضُهُمْ أَعْمَارُهُمْ وَلَمْ تَتَّقَنْ كَلْمَاتُهُمْ].

قَالَ: «وَكَانَ السَّبَبُ فِي اتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ أَخْذُوا الدِّينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَطَرِيقِ النَّقلِ، فَأُورِثُوهُمُ الْاِنْفَاقَ وَالْاِخْتِلَافَ، وَأَهْلُ الْبَدْعِ أَخْذُوا الدِّينَ مِنْ عَقْوَلِهِمْ فَأُورِثُوهُمُ التَّفْرِقَ وَالْاِخْتِلَافَ، فَإِنَّ النَّقلَ وَالرَّوَايَةَ مِنَ الثَّقَاتِ وَالْمُتَقْنِينَ قَلِيلٌ تَخْتَلِفُ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ فِي لَفْظَةٍ أَوْ كَلْمَةٍ فَذَلِكُ الْاِخْتِلَافُ لَا يَضُرُّ الدِّينَ وَلَا يَقْدِحُ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَعْقُولَاتُ وَالْخَوَاطِرُ وَالآرَاءُ فَقُلُّمَا تَتَّفَقُ، بَلْ عَقْلٌ كُلُّ وَاحِدٍ وَرَأْيٌ وَخَاطِرٌ يُرِي صَاحِبَهُ غَيْرَ مَا يُرِي الْآخِرُ»<sup>(١)</sup>.

هَذَا؛ وَإِنَّ الْخَطَا فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ سَبْحَانَهُ وَصَفَاتِهِ لَيْسَ كَالْخَطَا فِي أَيِّ أَمْرٍ آخَرِ،

---

(١) «مُختَصَرُ الصَّوَاعِقِ» لَابْنِ الْقَيْمِ (٥١٨).

والواجب على كل مسلم أن يلزم نهج أهل السنة والجماعة ويسلك سبيلهم فإنهم على الحق المستبين، قال ابن مسعود حَفَظَهُ اللَّهُ: «من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحَيَ لا تُؤْمِنُ عَلَيْهِ الْفَتْنَةُ، أَوْ لِئَكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا - وَاللَّهُ - أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَبْرَرُهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقْلَلَهَا تَكْلِفًا، قَوْمٌ اخْتَارُهُمُ اللَّهُ لِصَحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرُفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا أَسْطَعْتُمُوهُمْ مِنْ إِيمَانٍ، أَخْلَاقُهُمْ وَدِينُهُمْ فِإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَىِ الْمُسْتَقِيمِ»<sup>(١)</sup>، فهؤلاء سادات هذا الشأن، ثم يليهم تابعوهم بإحسان.

رَزَقَنَا اللَّهُ حُسْنُ الاتِّبَاعِ وَحُسْنُ الْعَمَلِ؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.



---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (رقم: ١٨١٠) بسنده عن قتادة، قال: قال ابن مسعود:... فذكره، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « منهاج السنة » (٢/٧٧): «رواه غير واحد منهم ابن بطة عن قتادة».

(٩)

## أقسام أسماء الله من حيث المعاني

إِنَّ مِنَ الْمُفِيدِ جَدًّا فِي بَابِ فَقْهِ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ مَعْرِفَةً أَقْسَامَهَا مِنْ حِيثِ  
مَعَانِيهَا وَدَلَالَاتُهَا، وَهِيَ تَنْقَسِمُ بِهَذَا الاعتَبارِ إِلَى عَدَّةِ أَقْسَامٍ:

الْقَسْمُ الْأَوَّلُ: مَا كَانَ مِنْهَا دَالٌّ عَلَى صَفَةِ ذَاتِيَّةٍ، وَالصَّفَةُ الذَّاتِيَّةُ هِيَ الصَّفَةُ الَّتِي لَمْ  
يَزِلْ رَبُّهُ وَلَا يَزِلْ مُتَصَفِّاً بِهَا، فَهِيَ لَا تَنْفَكُ عَنِ الدَّارِيَّاتِ، وَلَا تَعْلُقُ لَهَا بِالْمُشَيَّةِ.

فَمِنْ أَسْمَائِهِ سَبْحَانُهُ:

«الْحَيٌّ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْحَيَاةِ».

«الْعَلِيمُ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْعِلْمِ».

وَ«السَّمِيعُ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «السَّمْعِ».

وَ«الْبَصِيرُ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْبَصَرِ».

وَ«الْقَوِيُّ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْقُوَّةِ».

وَ«الْعَلِيُّ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْعُلُوّ».

وَ«الْعَزِيزُ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْعَزَّةِ».

وَ«الْقَدِيرُ» وَهُوَ دَالٌّ عَلَى ثَبَوتِ صَفَةِ «الْقَدْرَةِ».

وَجَمِيعُ هَذِهِ الصَّفَاتِ صَفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ؛ لَأَنَّهَا مَلَازِمٌ لِلَّذَّاتِ لَا تَنْفَكُ عَنْهَا، وَلَيْسَ  
لَهَا تَعْلُقٌ بِالْمُشَيَّةِ.

القسم الثاني: ما كان منها دالاً على صفة فعلية، والصفة الفعلية هي التي تتعلق بالمشيئة، إن شاء فَعَلَها وإن شاء لم يَفْعُلَها.

ومن هذا القسم اسمه تبارك وتعالى: «الخالق»، وهو دالٌ على ثبوت صفة «الخلق».

و«الرَّزَاقُ» وهو دالٌ على ثبوت صفة «الرَّزْق».

و«الْتَّوَابُ» وهو دالٌ على ثبوت صفة «التوبية».

و«الغفور» وهو دالٌ على ثبوت صفة «المغفرة».

و«الرحيم» وهو دالٌ على ثبوت صفة «الرحمة».

و«الحسن» وهو دالٌ على ثبوت صفة «الإحسان».

و«العفو» وهو دالٌ على ثبوت صفة «العفو».

وجميع هذه الصفات صفات فعلية لكونها متعلقةً بالمشيئة.

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْبُزُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَنْبُوْثُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبية: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تَقْبُوْتُ﴾ [العنكبوت: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَسِنْ كَمَا أَحَسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥٥].

القسم الثالث: أسماء دالة على التنزيه والتقديس وتبرئة الرب سبحانه وتعالى عن الناقص والعيوب وعما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته، كأسماءه: «القدوس» و«السلام» و«السبوح»؛ فإنها ترجع إلى التنزيه والتقديس وتبرئة الرب عما لا يليق به، وإلى السلامة من الناقص والعيوب، أو أن يكون له ندٌ من خلقه أو نظيرٌ أو

مَثِيلٌ، فَهُوَ الْمَنْزَهُ سَبِّحَانَهُ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِي صَفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، وَهُوَ  
الْمَنْزَهُ عَنِ الصَّدْرِ وَالنَّدْرِ وَالْكَفْوِ وَالْمَثَالِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.  
وَهَذَا التَّنْزِيهُ هُوَ مِنْ دَلَائِلِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ.

فَالْقُدُّوسُ يَدْلُلُ عَلَى التَّقْدِيسِ وَهُوَ التَّنْزِيهُ.

وَ«السَّلَامُ» يَدْلُلُ عَلَى السَّلَامَةِ مِنِ النَّقَاصِ وَالْعِيُوبِ.

وَ«السُّبُّوحُ» يَدْلُلُ عَلَى التَّسْبِيحِ، وَهُوَ التَّنْزِيهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا  
يَصِفُّونَ ﴾١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

الْقُسْمُ الرَّابِعُ: الْأَسْمَاءُ الدَّالِّةُ عَلَى جُمِلَةٍ أَوْ صَافِ عَدِيدَةٍ لَا عَلَى مَعْنَى مُفَرِّدٍ؛ فَإِنَّ  
مِنْ أَسْمَاهُ سَبِّحَانَهُ مَا يَكُونُ دَالِّاً عَلَى عَدَّةِ صَفَاتٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْأَسْمَاءُ مُتَنَاوِلاً  
لِجَمِيعِهَا تَنَاوِلُ الْأَسْمَاءُ الدَّالِّةُ عَلَى الصَّفَةِ الْوَاحِدَةِ لَهَا، وَمِنْ ذَلِكُمْ أَسْمَاءُهُ تَبَارِكَ  
وَتَعَالَى: الْمَجِيدُ، وَالْحَمِيدُ، وَالْعَظِيمُ، وَالصَّمَدُ، وَالسَّيِّدُ.

فَإِنَّ «الْمَجِيد» مِنْ اتَّصَفَ بِصَفَاتٍ مُتَعَدِّدةٍ مِنْ صَفَاتِ الْكَمَالِ، وَلَفْظُهُ يَدْلُلُ عَلَى  
هَذَا؛ فَإِنَّهُ مُوْضِعُ لِلسَّعَةِ وَالكَثْرَةِ وَالزِّيَادَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ وَاسْتِمْجَدُ  
الْمَرْخُ وَالْعَفَّارُ»، أَيْ: زَادَا وَكُثُرَا، فَالْمَجِيدُ يَرْجِعُ إِلَى عَظَمَةِ أَوْ صَافِهِ وَكَثْرَتِهَا وَسُعْتِهَا،  
وَإِلَى عَظَمَةِ مَلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَإِلَى تَفْرِدِهِ بِالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ وَالْجَلَالِ الْمُطْلَقِ وَالْجَمَالِ الْمُطْلَقِ،  
فَهُوَ لَيْسُ دَالِّاً عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ دَالِّاً عَلَى صَفَاتٍ عَدِيدَةٍ.

وَ«الْحَمِيدُ» أَيْ: الَّذِي لَهُ جَمِيعُ الْمَحَمَدِ، وَهِيَ جَمِيعُ صَفَاتِ الْكَمَالِ، فَكُلُّ صَفَةٍ  
مِنْ صَفَاتِهِ يَحْمِدُ عَلَيْهَا.

وَ«الْعَظِيمُ» مِنْ لَهُ كَمَالُ الْعَظَمَةِ فِي أَسْمَاهُ وَصَفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْمَتَّصِفُ بِصَفَاتٍ  
كَثِيرَةٍ مِنْ صَفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ.

و«الصَّمَد» هو واسع الصفات عظيمها، الذي كمل في علمه وحكمته وحمله وقدرته وعزته وعظمته وجميع صفاته.

فهذه أقسام أربعة من المهم معرفتها ومعرفة ما يندرج تحت كل قسم منها من أسماء الله الحسنى، ففي ذلك نفعٌ عظيم وفائدةٌ جليلةٌ في بابِ فقه الأسماء الحسنى ومعرفة مدلولاتها.

وما تقدَّم فيه أيضًا دلالةً على أنَّ أسماء الله كُلُّها نوعٌ، ليست أعلامًا حضبةً لمجرد التعريف، بل هي أسماء مشتقةٌ داللةٌ على معانٍ هي صفاتٌ كمالٌ قائمةٌ به سبحانه تُوجبُ له المدح والثناء.

فمن أسمائه ما يدلُّ على صفاتٍ ذاتيةٍ، ومنها ما يدلُّ على صفاتٍ فعليةٍ، ومنها ما يدلُّ على صفاتٍ تقديرٍ وتنتزِيَه، ومنها ما يدلُّ على جملةٍ أو صافٍ عديدة، وليس فيها مطلقاً اسمٌ لا يدلُّ على صفةٍ، والله جَلَّ وعَالَأَنْثى على نفسه بأسائه وتمدح بها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْمُحْسَنَةُ﴾ [طه: ۸]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُحْسَنَةُ﴾ [الأعراف: ۱۸۰]، وما كان من الأسماء جامداً غير دالٌّ على صفةٍ لا مدح فيه ولا دلالةٍ على الثناء، لا يدخل في أسماء الله؛ لأنَّ أسماء الله كُلُّها حسنى، أي: بالغةٌ في الحسن نهايتها وكمالها، وذلك لدلالةٍ لها على صفاتِ الكمال ونوعوت الجلال لله سبحانه وتعالى.

وبهذا يتبيَّن خطأ قولِ من عَدَ الدَّهْرَ اسماً من أسماء الله الحسنى مُستَدِلاً على ذلك بالحديث القدسي: «يُؤذنني ابن آدم يسبُ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ بيدي الأمر، أُقلِّبُ الليل والنَّهار» متفق عليه<sup>(۱)</sup>؛ إذ ليس فيه دلالةٌ على أنَّ الدَّهْرَ من أسماء الله؛ لأنَّ الدَّهْرَ هو الزمان، والله تعالى هو الذي يُقلِّبُ الليل والنَّهار، فمن سبَّ الدَّهْرَ وهو

---

(۱) رواه البخاري (رقم: ۴۸۲۶)، ومسلم (رقم: ۲۲۴۶) من حديث أبي هريرة حَمَّامَةَ.

مُسْخَرٌ مقلبٌ رَجَعْتُ مُسْبِّتَهُ إِلَى مُسْخِرِهِ وَمُقْلِبِهِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ بَيْنَ اللَّهِ ذَلِكَ  
بِقوله: «بِيَدِي الْأَمْرِ أَقْلَبُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ»، وَالدَّهْرُ اسْمٌ جَامِدٌ لَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى  
يُلْحِقُهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى؛ لَأَنَّهُ اسْمٌ لِلْوَقْتِ وَالزَّمَنِ، وَأَسْمَاءُ اللَّهِ كُلُّهَا حَسَنَى لَيْسَ  
فِيهَا اسْمٌ جَامِدٌ.



(١٠)

## اقتران أسماء الله تعالى بعضها ببعض

إنَّ مِنَ الْأَمْرَ الْمُغَيَّدِ مَا لَاحَظْتُهَا فِي فَقْهِ الْأَسْمَاءِ الْحَسْنِيِّ اقْتَرَانَ أَسْمَاءِ اللَّهِ فِي مَوَاضِعِ عَدِيدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ بَعْضُهَا بَعْضٌ، نَحْوَ: «السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، وَ«الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، وَ«الْغَنِيُ الْحَمِيدُ»، وَ«الْخَبِيرُ الْبَصِيرُ»، وَ«الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ»، وَ«الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»، وَ«الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ»، وَ«الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، وَ«الْعَلِيُ الْعَظِيمُ»، وَ«الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ»، وَ«اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»، وَ«الشَّكُورُ الْحَلِيمُ»، وَ«الْعَفْوُ الْغَفُورُ»، وَ«الْغَنِيُ الْكَرِيمُ»، وَالْأَمْثَلَةُ كثيرةً جَدًّا لَهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُقْتَرَنَةِ.

وَلَا رِيبُ أَنَّ هَذَا الْاقْتَرَانُ فِيهِ مِنَ الْحُكْمِ الْعَظِيمَةِ وَالْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ وَالْمَنَافِعِ الْكَبِيرَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ الرَّبِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَعَ حَسْنِ الثَّنَاءِ وَكَمَالِ التَّمْجِيدِ؛ إِذْ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ مُتَضَمِّنٌ صَفَةً كَمَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا اقْتَرَنَ بِاسْمٍ آخَرَ كَانَ لَهُ سَبْحَانَهُ ثَنَاءً مِنْ كُلِّ اسْمٍ مِنْهُمَا بِاعتِبَارِ انْفَرَادِهِ وَثَنَاءً مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا، وَذَلِكَ قَدْرُ زَائِدٍ عَلَى مُفْرِديِهِمَا.

وَفِيهَا يَلِي أَمْثَلَةُ عَدِيدَةٍ يَتَضَعَّجُ بِهَا الْمَقْصُودُ:

١- كَثِيرًا مَا يَرِدُ فِي الْقُرْآنِ جَمِيعًا «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مُقْتَرَنِينِ، فَيَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا دَالًّا عَلَى الْكَمَالِ الْخَاصِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ، وَهُوَ الْعَزَّةُ فِي الْعَزِيزِ، وَالْحُكْمُ وَالْحَكْمَةُ فِي الْحَكِيمِ، وَالْجَمْعُ بَيْنِهِمَا دَالًّا عَلَى كَمَالِ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ عَزَّتَهُ تَعَالَى مَقْرُونَةً بِالْحَكْمَةِ،

فعزّته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوءاً فعلٍ كما قد يكون من أعزاء المخلوقين؛ فإن العزيز منهم قد تأخذُ العزةُ بالإثم فيظلم ويجر ويسيء التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرنون بالعَزَّ الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنها يعتريها الذلّ.

٢- وتكرر في القرآن اقتران «الغنى الحميد»، قال تعالى: ﴿إِلَهٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكُفُّرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيِّعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢]، والغنى صفة كمال، والحمد صفة كمال كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، فمثلاً: من شكر الله على نعمائه وحمده سبحانه على فضله وعطائه فإنه سبحانه أهل الحمد والثناء، له الحمد كله في الأولى والآخرة، وحمد الحامدين وشكر الشاكرين لا يزيد ملكه شيئاً؛ لأن سبحانه الغني فلا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [الأنعام: ٩٦].

٣- وتكرر في سورة الشعراء ختم قصص الأنبياء مع أحدهم بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]، وفيه دلالة أنَّ ما قدره الله لأنبيائه من النصر والتأييد والرُّفعة هو من آثار رحمته التي اختصهم بها، فكان لهم حافظاً ومؤيداً وناصراً ومعيناً، وما قدره لأعدائهم من الخذلان والحرمان والعقوبة والنکال من آثار عزَّته، فنصر رسله برحمته، وانتقم من أعدائهم وخذلهم بعَزَّته، فكان ذكر الاسمين مقررتين في هذا السياق في غاية الحكمة والمناسبة.

٤- وتكرر في القرآن الجمع بين «العزيز العليم»، وذلك في سياق ذكره سبحانه للأجرام العلوية وما تضمنته من فلق الإاصباح وجعل الليل سكناً وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يدعونا، وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها، كقوله تعالى: ﴿فَالْأَكْبَارُ إِلَّا صَبَاحٌ وَجَعَلَ الْأَيَّلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعم: ٩٦]، قوله: ﴿وَالشَّمْسُ بَحْرٌ لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَفَّاتٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]، فأفاد هذا الختم المشتمل على الجمع بين هذين الاسمين أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزة الله وعلمه، ليس أمراً اتفاقياً لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية.

٥- وختم سبحانه أمره بالاستعاذه من الشيطان بالجمع بين «السميع العليم» في موضعين من القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، قوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، بينما جاء الأمر بالاستعاذه من شرّ الإنسان مختوماً بـ «السميع البصير» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجْنِدُونَ فِي عَيْكَتِ اللَّهِ يُغَيِّرُ سُلْطَانِنَ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِنَلِيْغِهِ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، فختم الاستعاذه من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بـ «السميع العليم»، وختم الاستعاذه من شرّ الإنسان الذين يُروّن بـ «السميع البصير»؛ لأنّ أفعال هؤلاء معاينةٌ تُرى بالأبصار، وأما نزعُ الشيطان فوساوّس وخطراتٌ يُلقيها في القلب يتعلّق بها العلم.

٦- وجاء في بعض الآيات الختم بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثُلُ الدِّينِ يُنَفِّقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ كَمَثُلِ حَبَّةٍ أَبْتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مَائِهَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُصَدِّقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وهو مطابق للسياق، ومن الفوائد أنه على العبد ألا يستبعد هذه المضاعفة، فإنَّ المضاعفَ واسعُ العطاء واسع الغنى واسع الفضل، ومع ذلك فلا يُظنَّ أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكلٌ أحدٍ فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها من غيره من ليس هو أهلاً لذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْكِي مُلْكَهُ، مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُصَدِّقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٧- وخُتِّمت آياتُ كثيرة في القرآن باسميه سبحانه «التوَّاب الرَّحيم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَقَقَ إَادُمْ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْغَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله: ﴿شَرَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتُوْءُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبه: ١١٨]، وقوله: ﴿وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وذلك في سياق ذكر رحمته ومحفرته وتوفيقه وحلمه، وأنه لما كان هو التَّوَّاب الرَّحيم أقبل بقلوب التائبين إليه ووفقهم لفعل الأسباب التي يتوب عليهم ويرحهم بها، ثم غَفَر لهم ورحمهم، فتاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة والأسباب، وتاب عليهم ثانياً حين قَبِلَ متابهم وأجاب سؤاهم لطفاً منه بهم ورحمة.

٨- وجاء في القرآن ختم بعض الآيات المشتملة على أسباب الرحمة وأسباب العقوبة بالجمع بين اسميه «الغفور الرحيم»، وفي هذا دلالة على عظيم منه سبحانه وأن رحمته سبقت غضبه وصار لها الظهور وإليها ينتهي كل من وجد فيه أدنى سبب من أسباب الرحمة.

وهذا بابٌ واسعٌ للمتدبر والمتأمل، وبالله وحده التوفيق.

(١١)

قاعدة:

## أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف

إنَّ مِنَ القواعد المفيدة في باب فقه الأسماء الحسنى أنَّ أسماءه الحسنى سبحانه وتعالى أعلامٌ وأوصافٌ، والوصف بها لا ينافي العلمية، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعانى، وهي بالاعتبار الأول متراوفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عزوجل، وبالاعتبار الثاني متباعدة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فالحُيُّ العلِيمُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ العزيزُ الْحَكِيمُ كُلُّها أسماءً مسمى واحد وهو الله عزوجل، لكن للحُيُّ معنى خاص، وللسَّمِيعِ معنى خاص، وللبَصِيرِ معنى خاص، فالحُيُّ يدلُّ على صفة الحياة، والسميع يدلُّ على صفة السمع، والبصیر يدلُّ على صفة البصر، وهكذا، فهي بهذا الاعتبار متباعدة لدلالة كل اسم منها على معناه الخاص.

وقد تنوّعت الدلائل في الكتاب والسنة على اشتتمال أسماء الله الحسنى على المعانى والأوصاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وثبُوت معنى الكمال قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على معانٍ متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد له وتفصيل حماده وأن له المثل الأعلى وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك كله دال على

هذا المعنى»<sup>(١)</sup>.

وأبرز هذه الأدلة ما يلي:

أولاً: أنَّ الله وصفَ أسماءَه بأنها كلها حسنة أي: بالغة في الحسن تمامه وكماله، لاشتمالها على أوصاف الكمال ونحوت الجلال، ولو كانت أعلاً جامدةً غير داللة على معانٍ لم تكن حسنة.

ثانياً: إخبارُ الله عن نفسه بتفريده بالمثل الأعلى في قوله: ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، قوله: ﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]، قال ابن كثير رحمه الله: «﴿وَلَهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الكمال المطلق من كُلّ وجِهٍ، وهو منسوبٌ إليه»<sup>(٢)</sup>.  
وذَكَر ابنُ القِيمِ رحمه الله من جملة المعاني التي يُفسَّر بها المثل الأعلى ثبوت الصفات العليا لله سبحانه.

ثالثاً: ما ورد في القرآن من إثبات الحمد له سبحانه وتفصيل م賀مده.  
فمن أسمائه سبحانه «الوهاب»، ومن تفاصيل م GAMMADHه في القرآن قوله تعالى:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].  
ومن أسمائه سبحانه «الخالق»، ومن تفاصيل م GAMMADHه في القرآن قوله سبحانه:  
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

ومن أسمائه سبحانه «القدوس السلام»، ومن تفاصيل م GAMMADHه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْجِدْ لَلَّا وَلَرَ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأَنْوَارِ﴾

(١) «مجموع الفتاوى» (٦ / ٧١ - ٧٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٤٩٦ - ط. الشعب).

وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ﴿الإِسْرَاءٌ: ١١١﴾.

ومن أسمائه «الملك والعليم»، ومن تفاصيل م賀امده في القرآن قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ①  
يَعْلَمُ مَا يَلْبِسُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾

[سبأ: ١ - ٢].

رابعاً: أنَّ في القرآن إثباتاً لأسماء الله وإثباتاً للصفات التي دلت عليها تلك الأسماء.

فسمى نفسه «العزيز»، ووصف نفسه بالعزَّة في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾

[فاطر: ١٠].

وسماً نفشه «العليم» ووصف نفسه بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ  
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ [هود: ١٤].

وسماً نفشه «القويّ» ووصف نفسه بالقوَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ  
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتَّيْنُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وسماً نفشه «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، ووصف نفسه بالرَّحْمة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ  
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وسماً نفشه «الحكيم»، ووصف نفسه بالحكم في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَشَدُ الْحَسِينَ﴾ [الأనعام: ٦٢].

وسماً نفشه «القدير» ووصفه رسوله ﷺ بأنه ذو القدرة، كما في دعاء الاستخاراة: «اللهم إني أستخلك بعلتك وأستقدرتك بقدرتك» رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

(١) (رقم: ١١٦٦) من حديث جابر رضي الله عنه في صلاة الاستخاراة.

وفي قوله: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق» رواه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما<sup>(١)</sup>.

وسُمِّيَ نفسه «البصير» ووصفه رسوله ﷺ بأنه ذو بصر بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنامُ، يَخْفَضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلَ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلَ النَّهَارَ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفْتُ لَأَحْرَقْتُ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

خامسًا: أنَّ في القرآن إثباتاً لأسماء الله وإخباراً منَ الله عن نفسه بأفعال تلك الأسماء، والأفعال أحکام للصفات، فثبتوت الفعل دليل على ثبوت الصفة.

فسُمِّيَ نفسه «السميع» وأخبر عن نفسه بالفعل الذي يتضمنيه هذا الاسم في قوله: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ أَنَّى تُحَدِّثُكَ فِي رَوْجَهَا وَتَسْتَكِنِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» [المجادلة: ١]، وقوله: «إِنَّمَا مَعَكُمَا أَسْمَاعُ وَأَرَىٰنِ» [طه: ٤٦].

وسُمِّيَ نفسه «العليم» وأخبر عن نفسه بالفعل من ذلك في قوله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١٠]، وقوله: «إِنَا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ» [يس: ٧٦]، وقوله: «وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا شَعْرَهُمْ» [الأنفال: ٢٣].

وسُمِّيَ نفسه «الغفور» وأخبر عن نفسه بالفعل من ذلك: «أَلَا تَبْغُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» [النور: ٢٢]، وقوله: «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِذَا هُوَ الْغَفُورُ الْأَرْحَيمُ» [القصص: ١٦]، وقوله: «وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ» [هود: ٤٧].

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤/٢٦٤)، و«سنن النسائي» (رقم: ١٣٠٥)، ورواية ابن حبان (رقم: ١٩٧١)، والحاكم (١/٧٥٠) وصححه من حديث عمارة بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) في «صحيحة» (رقم: ١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وسَمِّيَ نَفْسَهُ «الرَّحِيمُ» وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْفَعْلِ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾١١٨ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هُودٌ: ١١٨ - ١١٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت: ٢١].

سادساً: أَنَّه تبارَكَ وَتَعَالَى سَمِّيَ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ بِأَسْمَاءِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَضَادُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّفَاتِ.

فَسَمِّيَ نَفْسَهُ «الْحَيُّ الْقَيُّومُ»، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ السُّنَّةِ وَالنُّومِ الْمَنَافِيَةِ لِكَمالِ حَيَاتِهِ وَقَيْوِمِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ «الْقَوِيِّ»، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْلُّغُوبِ وَهُوَ التَّعَبُ وَعَنْ أَنْ يَرُؤُودَهُ أَيِّ: يُثْقِلُهُ حَفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَنَافِاهُ ذَلِكَ لِكَمالِ قُوَّتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [قٌ: ٣٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَتُوَدُّهُ حَفْظُهُمَا﴾.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ «الْعَلِيمُ»، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْغَفْلَةِ وَالنُّسْيَانِ لِمَنَافِاهُ ذَلِكَ لِكَمالِ عِلْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَلَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البَقْرَةٌ: ٧٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيَّاً﴾ [مَرِيمٌ: ٦٤].

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ «الْغَنِيِّ»، وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَمَّا يَنْفَيِ كَمالَ غُناهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴽ٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْفُوْقَةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٧ - ٥٨].

وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ، وَالْقَاعِدَةُ فِي هَذَا الْبَابِ مَطَرَّدَةٌ؛ أَنَّ كُلَّ مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ فَهُوَ مُتَضْمِنٌ لِثِبَوتِ كَمالِ ضَدِّ الْمَنْفِيِّ لِهِ تبارَكَ وَتَعَالَى.

سَابِعًا: وَرَدَ فِي السُّنَّةِ أَحَادِيثٌ مُسْتَمْلِهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَعْانِي وَالصَّفَاتِ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ

الحسنى، كقوله ﷺ في دعاء النّوم: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلِيُسْ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخَرُ فَلِيُسْ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلِيُسْ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلِيُسْ دُونَكَ شَيْءٌ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَسِيبٌ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدِيهِ أَنْ يَرْدِهَا صَفَرًا» رواه أبو داود وغيره<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ وَإِلَيْهِ الْحَكْمُ» رواه أبو داود وغيره<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ لأبي بكر عندما سأله أن يعلمه دعاء يقوله في صلاته وبيته قال: قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الدُّنْوَبُ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

إلى غير ذلك من الوجوه الدالة على أنَّ أسماء الله أعلامٌ وأوصاف، وأنها ليست أعلاماً محضة وأسماءً صرفةً ليست دالة على معانٍ، بل كلُّها أسماء حسنى متضمنة ثبوت أوصاف الكمال ونحوت الجلال والجمال للربِّ عَزَّ ذِي جَلَّ على الوجه اللائق به، عَزَّ شأنه وتعالى جده.



(١) في «صحيحه» (رقم: ٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «سنن أبي داود» (رقم: ١٤٨٨)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٣٥٥٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨٦٥)، و« الصحيح ابن حبان» (رقم: ٨٧٦) من حديث سليمان الفارسي رضي الله عنه.

(٣) «سنن أبي داود» (رقم: ٤٩٥٥)، و«سنن النسائي» (رقم: ٥٣٨٧)، و«مستدرك الحاكم» (٢٤/١) من حديث هانئ بن يزيد رضي الله عنه.

(٤) « الصحيح البخاري» (رقم: ٨٣٤)، و« الصحيح مسلم» (رقم: ٢٧٠٥).

(١٢)

## تقسيم أسماء الله

### من حيث الدلالة

إنَّ من القواعد المقيدة في باب فهم الأسماء الحسنى أنها من حيث دلالتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما دلَّ على صفة متعدِّية، والفعل المتعدِّي: هو ما يتعدَّى أثره فاعله ويتجاوزه إلى المفعول به، ولذا يقال له: «الفعل المجاوز»، وما كان من الأسماء كذلك فإنه يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها الله عَزَّوجَلَّ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاهما.

مثال ذلك: «السميع» يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والتجوى، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَادِرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وكذلك اسمه: «الرحيم» يتضمن إثبات الرحيم اسمًا لله تعالى، والرحمة صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يرحم من يشاء.

وهكذا يقال في جميع الأسماء التي من هذا النوع: كالغفور، والرَّازِق، والكريم، والبصير، والبارئ، والخالق، والمصوّر، والحفظ، والربّ، والقيوم، والرؤوف، والفتّاح، والعفو، واللطيف.

القسم الثاني: ما دل على صفة لازمة، وهو ما لا يتعدّى أثره فاعله ولا يتجاوزه إلى المفعول به، ولذا يقال له: «ال فعل غير المجاوز»، وما كان من الأسماء كذلك فإنه يتضمن أمرين:

الأول: ثبوت ذلك الاسم لله عَزَّوجَلَّ.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها الله عَزَّوجَلَّ.

مثال ذلك: «الحيّ» يتضمن إثبات الحي اسم الله عَزَّوجَلَّ، وإثبات الحياة صفة له، وكذلك «العظيم» يتضمن إثبات العظيم اسم الله عَزَّوجَلَّ، وإثبات الع神性 صفة له.

وهكذا يقال في جميع الأسماء التي من هذا النوع، كالعلي، والأول والآخر، والظاهر والباطن، والأحد، والقوى والمتين.

قال ابن القيم رحمه الله في سياق تقريره لهذه القاعدة: «الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً، نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك؛ نحو: **قد سمعَ اللهُ**، **فَقَدْرَنَا فِيْعَمَ الْقَدِيرُونَ**» [المرسلات: ٢٣]، هذا إن كان الفعل متعدّياً، فإن كان لازماً لم يخبر عنه به؛ نحو: الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال: حَيِّي<sup>(١)</sup>.

---

(١) «بدائع الفوائد» (١٧٠ / ١).

ومن القواعد المفيدة في فقه الأسماء الحسنى أن الاسم من أسمائه سبحانه له  
ثلاث دلالات:

– دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة  
على الصفة الأخرى باللزموم؛ كاسم الحي – مثلاً – فإنه دالٌ على الذَّات وعلى صفة  
الحياة بالمطابقة، ودالٌ على الذات وحدها وعلى صفة الحياة وحدها بالتضمن، ودالٌ  
على القدرة والسمع والبصر والعلم وغيرها من الصفات باللزموم<sup>(١)</sup>.

ودلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على كامل معناه، ودلالة التضمن هي دلالة  
اللفظ على بعض معناه، ودلالة اللزوم هي دلالة اللفظ على أمر خارج معناه.  
ومن القواعد المفيدة أيضاً في هذا الباب أن أسماء الله الحسنى كلها مختصة بالله  
عزوجل، فإذا صفتها إليه تعني اختصاصه بها، فله سبحانه الكمال المطلق لا شريك له ولا  
سمىٰ له ولا مثيل تعالى الله عن ذلك.

يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿لَهُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وتقديم الجار وال مجرور يفيد القصر، أي: قصر كمال  
الحسن الثابت لأسمائه سبحانه عليه، أما حكم تسمية البشر بأسماء الله فالأمر في هذا  
يكون على وجهين:

الأول: ما كان من أسماء الله علماً مختصاً به سبحانه وتعالى، كلفظ الحالة  
«الله» و«الرحمن» و«الخالق» و«الباري» و«القيوم» فلا يجوز تسمية غيره به؛ لأن  
مسماه معين لا يقبل الشرك، فالله ذو الأولوية والعبودية على خلقه أجمعين، والرحمن  
يدل على كمال رحمة الله التي وسعت كل شيء، وهو بكثرة استعماله صار علماً بالغبة

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/١٨٥)، و«مدارج السالكين» (١/٣٠).

عليه سبحانه مختصاً به، والخالق من يُوجِدُ الشيءَ على غير مثال سابق، والبارئ من يوجد الشيء بريئاً من العيب، وذلك لا يكون إلا من الله وحده، فلا يسمى به إلا الله تعالى، والقيوم هو المستغني بنفسه عن غيره المفتقر إليه كُلّ من سواه، وذلك مختص بالله.

فهذا النوع من الأسماء يمتنع تسمية غيره بشيء منها.

الثاني: ما كان من الأسماء له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده، كالمملك والعزيز والجبار والمتكبر، فيجوز تسمية غيره بها، فقد سمي الله نفسه بهذه الأسماء وسمى بعض عباده بها، كقوله تعالى: ﴿قَاتَتْ أَمْرَاتُ الْمُغْرِبِ﴾ [يوسف: ٥١]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَبْيٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، ولا يلزم من ذلك التماثل؛ لأن الإضافة تقتضي التخصيص، فما يضاف إلى الله منها ينحصه ويليق به سبحانه وبجلاله وكماله، وما يضاف منها إلى المخلوق فعلى معنى خاص يليق بالمخلوق وبنقصه وضعفه.

فهذا صواب القول في هذه المسألة، قال ابن كثير رحمه الله: «والحاصل: أنّ من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك»<sup>(١)</sup>.

وما يتحقق بهذا أنّ الواجب تجاه أسماء الله احترامها ومراعاة الأدب نحوها، ومن هذا الاحترام ألا يسمى أحداً باسم فيه نوع مشاركة الله في أسمائه، كقاضي القضاة، وملك الملوك، وحاكم الحكام، ونحوها حفظاً للتوحيد وصيانةً لجناب أسماء الله وصفاته، ودفعاً لوسائل الشرك وسدداً لمنافذه.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٣٦).

ففي «الصّحّيْحَيْن»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ»، زاد مسلمُ في روایته: «لَا مَالِكٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ ذِلْكُو».

وفي «سنن أبي داود» وفيه عن أبي شريح حَمَّامٍ: «أَنَّهُ كَانَ يَكْنَى أَبَا الْحَكْمَ، فَقَالَ لِهِ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحَكْمُ»، فقال: إنْ قَوْمٍ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضَيْتُ كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنْ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟ قال: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمن أَكْبَرَهُمْ؟ قال: شريح، قال: فَأَنْتَ أَبُو شريح»<sup>(٢)</sup>، فأرشدَهُ ﷺ إِلَى تَغْيِيرِ كَنْتِهِ مَرَاعَاةً لِلْأَدْبِ فِي حَقِّ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَلَوْلَمْ تُقْصِدِ المَشَارِكَةَ.




---

(١) «صحيح البخاري» (٥٨٥٣)، و«صحيح مسلم» (٢١٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وصحّحه الألباني في «صحيح أبي داود» و«صحيح النسائي».

## قاعدة:

**أسماء الله الحسنى مختصة به لائقه بجلاله**

إنَّ من القواعد المهمَّة والأصول المفيدة في باب فقه أسماء الله الحسنى أنَّ أسماء الله الحسنى وصفاته العليا مختصة به سبحانه وجلاله وكماله وعظمته، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وإضافتها إليه سبحانه تدل على اختصاصه بها، وهذا سمي الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به لا يشركها فيها غيره، ولا ندَّ له فيها ولا نظير ولا سميَّ ولا مثيل، وقد سمي الله تبارك وتعالى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم، وإضافتها إليهم تدل على اختصاصهم بها وأنها تليق بحالهم ونطاقهم وضعفهم، وقد جاءت هذه الأسماء موافقة لتلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولا يلزم من اتفاق تلك الأسماء اتفاق الحقائق والسميات.

وبيان هذا يتَّضح بإيراد أمثلة عديدة يستبين بها المراد ويظهر المقصود.

فقد سَمِّي الله نفسه حَيًّا فقال: ﴿الَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وسمى بعض عباده حَيًّا فقال: ﴿يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس: ٣١]، وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأنَّ قوله: «الحي» اسم الله مختص به، وقوله: ﴿يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وهذا الاسمان يتفقان إذا جُرِّدا من الإضافة والتخصيص في معنى الحياة المعلوم وهو ضد الموت، أما في حال الإضافة والتقييد

فلكل من المسميين بهذا الاسم ما يليق به.

فالحياة المضافة إلى الله حياة مختصة به سبحانه تليق بجلاله وكماله، إذ هي حياة كاملة غير مسبوقة بعدم ولا يلحقها فناء أو زوال ولا يعتريها نقص أو ضعف ولا يتخللها سِنَةٌ أو نوم، متضمّنةً لكمال صفاته وعظمته نعوتة.

والحياة المضافة إلى المخلوق حياة مختصة به تليق بضعفه ونقصه وكونه مخلوقاً، فهي حياة مسبوقة بعدم، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ أَقَى عَلَى الْإِنْسَنِ جِنْ مِنَ الدَّهَرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ۱]، آيلةً إلى موت وهلاك، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ۸۸]، مصحوبة بضعف، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾

[النساء: ۲۸]

وسُمِّيَ سبحانه نفسه علينا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأناشيد: ۶۱]، وسمى بعض عباده علينا فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَمٍ عَلَيْهِ﴾ [الذاريات: ۲۸] يعني إسحاق عليه السلام، وعلم الله مختص به، فهو علم كامل غير مسبوق بجهل ولا يلحقه نسيان ولا يعتريه نقص، بخلاف علم الإنسان فإنه علم ناقص ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ۸۵]، مسبوق بجهل ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ۷۸]، وآيلٌ إلى قصور وضعف ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِدُ إِلَّا أَزْدِلُ الْأَعْمَرِ لَكَ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ۷۰].

وسُمِّيَ سبحانه نفسه حلينا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ۴۴]، وسمى بعض عباده حلينا كما في قوله: ﴿فَبَشَّرَنَاهُ بِغُلَمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ۱۰۱] يعني إسماعيل عليه السلام، وليس الحليم كالحليم.

وسمى نفسه سميوا بصيراً فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْدُوا الْأَمْرَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْمَعْدِلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِظُّكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]،

وسمى بعض خلقه سميوا بصيراً فقال: ﴿إِنَّا هَبَّقَنَا إِلَيْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٌ بَتَّلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير.

وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]،

وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨]،

وليس الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم.

وسمى نفسه بالملك فقال: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُوشُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصِّبَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وكل ملك لدى العباد فهو ملك زائل، وهو بيد الله المعطي المانع الخافض الرافع القابض الباسط ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْعِزُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَزِّزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُبَذِّلُ مَنْ تَشَاءُ يَسِيرُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وسمى نفسه بالعزيز فقال: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمى بعض عباده بالعزيز فقال: ﴿قَالَتِ اُمَّرَاتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وليس العزيز كالعزيز.

وسمى نفسه بالجبار المتكبر، وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾ [غافر: ٥٣]، وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر.

وكذلك سمي صفاته بأسماء، وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال: ﴿وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾، وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]،  
وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿أُولَئِرِبَوا أَكَ اللَّهُ الَّذِي  
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وسمى صفة المخلوق على وقوته فقال: ﴿وَمَا  
أُوتِيزُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]،  
وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا  
وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال: ﴿وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى  
قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة.

وكذلك وصف نفسه بالمشيئة ووصف عبده بالمشيئة فقال: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩ - ٢٨]، وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ  
تَذَكِّرَةٌ فَنَّ شَاءَ أَنْجَنَّ إِلَى رَبِّهِ سَيِّلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾  
[الإنسان: ٢٩ - ٣٠].

وكذلك وصف نفسه بالإرادة ووصف عبده بالإرادة فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ  
الْأَنْشِيَاءِ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأనفال: ٦٧].

وكذلك وصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ  
يُجْهِهُمْ وَيُحْبِبُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤].

ووصف نفسه بالرضا ووصف عبده بالرضا فقال: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾  
[البيت: ٨].

إلى غير ذلك من الأمثلة وهي كثيرة جداً في القرآن الكريم، والواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، ونفي مثالته لخلقه، فمن قال: ليس الله علم

ولا قوة ولا يحب ولا يرضي كان معطلاً جاحداً، ومن قال: له علم كعلمي أو قوة  
كقوتي أو حب كحبي أو رضي كرضائي فهو مشبه مثل، والحق قوام بين ذلك  
بالإثبات بلا تمثيل والتنتزه بلا تعطيل، ولا يلزم من الاتفاق في الأسماء الاتفاق في  
الحقائق والسميات كما هو واضح بما سبق.



## أسماء الله تعالى غير ممحورة

إنَّ من القواعد المهمَّة في باب الأسماء والصفات أنَّ أسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر، ولا تحدُّ بعدد معين، وقد ورد في السُّنَّة النبوية دلائل واضحات تُقرِّر هذا الأمر وتجليه، ومن ذلك ما رواه مسلمٌ في «صحيحه»<sup>(١)</sup> عن أمٍّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «فقدت رسول الله ﷺ من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطنه قدميه وهو في المسجد وما منصوبتان وهو يقول: اللهم أَعُوذ بِرضاك مِن سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأَعُوذ بك مِنك، لَا أَحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

فأخبر ﷺ أنه لا يحصي ثناء عليه ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى الثناء عليه. ومن ذلك أيضًا ما ورد في حديث الشفاعة الطَّويل أنه ﷺ قال: «ثم يفتح الله علىَّ من حامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي» متفق عليه<sup>(٢)</sup>. فدلَّ الحديث على أن هناك حامداً من أسماء الله وصفاته يفتح الله بها على رسوله ﷺ في ذلك اليوم، وهي بلا شك غير المحامد المأثورة في الكتاب والسُّنَّة. وأيضاً فقد ثبت في «المسنَد»<sup>(٣)</sup> وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

(١) (رقم: ٤٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم: ٤٧١٢)، و«صحيح مسلم» (رقم: ١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (٣٩١/١).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَصَابَ عَبْدًا هُمْ وَلَا حَزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمْتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِي حَكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِّيَّتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عَنْكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِيْ وَنُورَ صَدْرِيْ وَجَلَاءَ حَزْنِيْ وَذَهَابَ هَمِّيْ؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَرَنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحَّاً».

قال ابن القيم رحمه الله: «فَجَعَلَ أَسْمَاءَ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

قسم سمى به نفسه، فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

وَقَسْمٌ أَنْزَلَ بِهِ كِتَابَهُ فَعَرَّفَ بِهِ إِلَى عِبَادِهِ.

وَقَسْمٌ اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، وَهَذَا قَالَ:

«اسْتَأْثَرْتَ بِهِ» أَيْ: تَفَرَّدَ بِعِلْمِهِ<sup>(١)</sup>.

وَبِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ فِي عَدْدِ مُعَيْنٍ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيفِيهِمَا»<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مَائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ...» فَلَا يَفِيدُ حَصْرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ فِي هَذَا الْعَدْدِ الْمُعِينِ الْمُذَكُورِ فِي الْحَدِيثِ، بَلْ قَصَارِيْ أَمْرِهِ الدَّلَالَةِ عَلَى فَضْيَلَةِ إِحْصَاءِ هَذَا الْعَدْدِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ.

وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ جَمِلَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَوْلُهُ: «مِنْ أَحْصَاهَا» صَفَةٌ وَلَيْسَ خَبَرًا مُسْتَقْلًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِنْ شَأنِهِ أَنْ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهَذَا لَا يَنْافِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْمَاءُ غَيْرِهَا، وَهَذَا نَظَائرٌ كَثِيرَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كَمَا

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَادِ» (١٧٥ / ١٧٦ - ١٧٦).

(٢) «صَحِيفَ الْبَخَارِيِّ» (رَقْمٌ: ٢٧٣٦)، وَ«صَحِيفَ مُسْلِمٌ» (رَقْمٌ: ٢٦٧٧).

تقول: إن عندي تسعه وتسعين درهماً أعددتها للصدقة، فإن هذا لا ينافي أن يكون عندك غيرها معدة لغير ذلك، وهذا أمرٌ معروفٌ لا خلافٌ بين العلماء فيه.

قال النووي رحمه الله: «واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، وهذا جاء في الحديث الآخر: أسألك بكل اسم سميتك به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وقد ذكر الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: الله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ: «إن الله تسبعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»؛ معناه أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، ليس مراده أنه ليس له إلا تسبعة وتسعون اسمًا؛ فإنه في الحديث الآخر الذي رواه أحمد وأبو حاتم في «صحيحة»: «أسألك بكل اسم هو لك سميتك به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن يجعل القرآن العظيم رباع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي»، وثبت في «الصحيحة» أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، فأخبر أنه ﷺ لا يحصي ثناء عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها، فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٧/٥).

صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يعلم أنَّ أسماء الله الحسنى ليست مخصوصة في عدد معين، بل إنَّ أسماء الله الحسنى المذكورة في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ ليست مخصوصة في هذا العدد المذكور في الحديث، وإنما قصارى أمره - كما تقدم - الدلالة على أنَّ الله تسعه وتسعين اسمًا من شأنها أنَّ من أحصاها دخل الجنة؛ ولذا قرر أهل العلم رحمة الله أنَّ الأسماء الواردة في القرآن والسنة تزيد على هذا العدد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإن قيل: لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة، قيل: هذا أكثر من تسعه وتسعين»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا؛ فإنَّ مَن جمع من أهل العلم تسعه وتسعين اسمًا من أسماء الله، وجمع غيره أسماء أخرى، فتوافقًا في بعضها وخالفًا في بعض، لا يعني ذلك أنَّ ما اختلفوا فيه بعضه ليس من أسماء الله لتجاوز ذلك التسعة والتسعين، بل قد يكون ما جماعاه كله من أسماء الله وإن تجاوز التسعة والتسعين، وعلى كل فالعبرة في صحة ذلك الاسم وثبوته قيام الدليل عليه من الكتاب والسنة.

وإذا تبيَّن خطأ قول مَن حصر أسماء الله في تسعه وتسعين اسمًا بناءً على فهم خاطئ للحديث، فإنَّ قول من قال: إنها ثلاثة أو ألف أو أربعة آلاف أو غير ذلك من الأرقام فخطؤه ظاهر؛ لأنَّه قول عارٍ عن البينة وكلام مجرَّد لا دليل عليه ولا برهان، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَنْقُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. والله تعالى أعلم.

---

(١) «درء التعارض» (٣ / ٣٣٢ - ٣٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٨٢ / ٢٢).

## لِمَ يُثْبَتُ فِي سِرْدِ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ حَدِيثُ وَبِيَانِ مَعْنَىِ إِحْصَائِهَا

تقدّم ببيان أنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ حَسَنِي غَيْرُ مُخْصُوصَةٍ فِي عَدْدٍ مُعْيَنٍ، وَأَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ تَقْدِيرُهُ بِالْأَسْمَاءِ التِّسْعَةِ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَائَةً إِلَّا وَاحِدًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» لَا يُفِيدُ حَصْرُهَا بِهَذَا الْعَدْدِ، وَإِنَّمَا يَدْلِيلُ عَلَى عَظِيمِ  
شَأْنِ وَكَبْرِ ثَوَابِ مَنْ أَحْصَى هَذَا الْعَدْدَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ ذِلْكُهُ .  
وَالْكَلَامُ هُنَا سِيَكُونُ فِي مَسْأَلَتَيْنِ:

**الْأُولَى:** بِيَانِ أَنَّهُ لَمْ يُثْبَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سِرْدِ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ شَيْءٌ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ ضَعِيفٌ لَا يُحْتَاجُ بِهِ، كَمَا بَيْنَ ذَلِكَ أَئْمَةُ هَذَا الشَّأنِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِحَدِيثِهِ .

وَقَدْ رُوِيَّ هَذَا الْحَدِيثُ بِسِرْدِ الْأَسْمَاءِ مِنْ ثَلَاثِ رِوَايَاتٍ، وَجَمِيعُهَا لَا يُثْبَتُ:  
**١- الرَّوَايَةُ الْأُولَى:** عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَصَبِينَ، عَنْ أَيُوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ،  
عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ: ... وَذَكَرَ الْحَدِيثُ بِسِرْدِ الْأَسْمَاءِ . رَوَاهُ الْحَاكَمُ وَغَيْرُهُ<sup>(١)</sup>. وَعَبْدُ الْعَزِيزِ  
هَذَا ضَعِيفٌ لَا يُحْتَاجُ بِهِ، قَالَ الْبَخَارِيُّ عَنْهُ: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ عِنْدَهُمْ، وَقَالَ مُسْلِمُ:  
ذَاهِبُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَبْنَ مَعْيَنٍ: ضَعِيفٌ، وَقَالَ أَبْنَ حَبْرٍ: مُتَفَقُ عَلَى ضَعْفِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) «الْمُسْتَدِرُكُ» (١/١٧). وَرَوَاهُ الْعَقِيلِيُّ فِي «الضَّعْفَاءِ» (٣/١٥) مِنْ طَرِيقِ أَيُوبَ - وَحْدَهُ - بِهِ.

(٢) يَنْظُرُ: «الْلِسَانُ الْمَيْزَانُ» (٤/٢٨).

٢- الرواية الثانية: عن عبد الملك بن محمد الصناعي، قال: حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة:... وذكر الحديث بسرد الأسماء. رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup>. وعبد الملك ضعيف لا يحتج به. قال ابن حبان عنه: «كان من يجيب في كل ما يسأل عنه، حتى تفرد عن الثقات بالموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بروايته»<sup>(٢)</sup>، وقال الذهبي: «ليس بحجّة»<sup>(٣)</sup>.

وشيخه زهير بن محمد، قال فيه ابن حجر: «رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها»، وهذه الرواية منها؛ لأنّ عبد الملك شامي من صناع دمشق.

٣- الرواية الثالثة: عن الوليد بن مسلم قال: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة:... وذكر الحديث بسرد الأسماء رواه الترمذى وغيره<sup>(٤)</sup>. لكنه ضعيف لا يصلح أن يحتج به لعمل عديدة تقدح في صحته، بينها الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: «وليس العلة عند الشيوخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدايسه، واحتمال الإدراجه»<sup>(٥)</sup>.

وقال الترمذى عقب هذه الرواية: «وروي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

(١) في «السنن» (٣٨٦١).

(٢) «المجرودين» (٢/١٣٦).

(٣) «الكافش» (٢/١٨٨).

(٤) «جامع الترمذى» (٣٥٠٧)، ورواه ابن حبان (٨٠٨)، والحاكم (١٦/١).

(٥) «فتح الباري» (١١/٢١٩).

وقد روى آدم بن أبي إيواس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وذكر فيه الأسماء وليس له إسناد صحيح» اهـ.

ولذا قرر أئمّة هذا الشّأن ضعفَ الحديث وعدم صلاحيته للاحتجاج، وأنّ هذا السّرد للأسماء ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو من كلام بعض السّلف، جمعه تسهيلاً للناس، فأدرجه بعضهم في الحديث حتى ظنّ أنه منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين [أي: رواية الترمذى من طريق الوليد، ورواية ابن ماجه من طريق عبد الملك] ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منها من كلام بعض السلف، فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانها عنه، فروي عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى، وهذا مما يبيّن لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق وليس من كلامه، وهذا جمعها قوم آخرون على غير هذا الجمع، واستخرجوها من القرآن، منهم سفيان بن عيينة، والإمام أحمد وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

المسألة الثانية: بيان معنى الإحصاء الوارد في الحديث المرتب على تحقيقه دخول الجنة، ولا ريب أن هذا فضل عظيم يحرك في النفس الجدّ في نيل هذا المطلب العظيم، والسعى في تكميله، والحرص الشديد على تحقيقه.

ولقد ظن بعض الناس خطأً أنّ المراد بإحصاء أسماء الله المرغب فيه في هذا الحديث هو عدد ألفاظ تسعه وتسعين اسمًا من أسماء الله، واستظهارها في القلب، والتلفظ بها في أوقات معينة مخصوصة، وبما جعلها بعضهم في جملة ذكره لله في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٧٩ - ٣٨٠) باختصار. وانظر «مجموع الفتاوى» (٤٨٣/٢٢).

صباها ومسائها دون فقه من هؤلاء بمعنى هذه الأسماء الحليلة العظيمة، أو تدبر مدلولاتها، أو تحقيق لوجباتها ومستلزماتها، أو عمل بمقتضياتها ومتطلباتها. ولقد نَبَّهَ العلماء رحمة الله أنه ليس المراد بـإحصاء أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ حروفها فقط بل فقه لها أو عمل بما تقتضيه، بل لابد في ذلك من فهم معناها والمراد بها فهما صحيحاً سليماً، ثم العمل بما تقتضيه.

قال أبو عمر الطرمني رحمه الله: «من تمام المعرفة بأسماء الله تعالى وصفاته التي يستحق بها الداعي والحافظ ما قال رسول الله ﷺ المعرفة بالأسماء والصفات، وما تتضمن من الفوائد، وتدل عليه من الحقائق، ومن لم يعلم ذلك لم يكن عالماً لمعاني الأسماء، ولا مستفيداً بذكرها ما تدل عليه من المعاني»<sup>(١)</sup>.

فنبَّهَ رحمه الله إلى أن تمام المعرفة بالأسماء الحسنى التي ينال بها الداعي لله بها هذا الثواب العظيم الوارد في الحديث إنما يكون بالمعرفة بالأسماء والصفات وبها تتضمنه من فوائد وتدل عليه من حقائق، لا عَذْهَا فقط دون فهم لها أو علم بها تدل عليه وتقتضيه.

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمة الله تعالى في كتابه «بدائع الفوائد» أن لإحصاء أسماء الله الحسنى ثلاث مراتب بتكميلها وتحقيقها ينال العبد ثواب الله العظيم المذكور في حديث رسول الله ﷺ المتقدم:

المরتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددتها.

المরتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولاتها.

المরتبة الثالثة: دعاء الله بها، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة<sup>(٢)</sup>.

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٢٢٦/١١).

(٢) «بدائع الفوائد» (١٦٤/١).

في تحقيق هذه المراتب الثلاثة العظيمة يتحقق للعبد الإحصاء لهذا القدر من  
أسماء الله الحسنى.

ولهذا الغرض أفرد عدد من أهل العلم مصنفات خاصة في عدٌّ تسعه وتسعين  
اسماء الله الحسنى مع ذكر دلائلها وبراهينها وتوضيح معانيها ودلالاتها،  
وتبيين موجباتها ومقتضياتها، وإبراز آثارها وثمرات العمل بها ومعرفتها، إلى غير  
ذلك من الفوائد العظيمة المتعلقة بهذا العلم الشّريف الذي هو أجلّ العلوم وأرفعها  
شأنًا.



## التحذير من بعض المسالك المنحرفة في باب الأسماء والصفات

إنَّ ما يتأكد ملاحظته ورعايته والعناية به فيما يتعلق بأسماء الله الحسنى أن يعلم أنَّ الخطأ فيها ليس كالخطأ في أيِّ اسم آخر، فهي أسماء للربِّ المجيد والخالق العظيم، الخطأ فيها انحراف وضلال، والغلط فيها زيف وإلحاد، وهذا يستوجب من كل عاقل ألا يتكلَّم فيها إلَّا بعلم، ولا يقرُّر شيئاً يختصُّ بها إلَّا بدليل من القرآن والسنة، ومن خاض فيها بغير هذا ضلَّ السبيل؛ إذ كيف يرام الوصول إلى تحقيق الأصول بغير ما جاء به الرسول ﷺ.

ولما خاض أقوامٌ في أسماء الله مقرِّرين أموراً تختصُّ بأسماء الله دون أن يكون لهم عليها مستندٌ مِنَ الكتاب والسنة أتوا بالغرائب والعجبات في هذا الباب، وكأنهم لم يشعروا بحرمة هذه الأسماء وعظيم شأنها وخطورة الخوض فيها بلا بُيْنَةٍ ولا مستند، والله المستعان.

ولا بأس من الإشارة هنا إلى شيءٍ من هذه المخالفات ليكون المسلم منها على حذر وفي حيطة لدينه وتعظيمِ أسماء ربِّه ومراعاة لحرمتها واحترامها.

فمن ذلكم نشرةٌ توزَّع في الآونة الأخيرة درجت بين العوامِ والجهَّال، يزعم كاتبها أنَّ أسماء الله الحسنى لكل اسم منها خاصية شفائيةٌ لمرض معين، فلامراض العين اسمٌ، والأمراض الأذن اسمٌ، والأمراض العظام اسمٌ، والأمراض الرأس اسمٌ،

وهكذا، وحدَّد لتلك الأمراض أعداداً معينة من تلك الأسماء.  
وهذا من الباطل الذي ما أنزلَ الله به من سلطان، ولا قامْت عليه حجَّةٌ ولا  
برهان، بل ليس في الأذكار المشروعة والرقى المؤثرة إلا ما هو جملة تامةٌ، وليس فيها  
تكرار لاسم بهذه الطريقة المزعومة في تلك النشرة.

وقد ارتكب بهذا العمل جنائين:  
الأولى: إدخالُ الناس في هذا العمل المحدث غير المشروع.  
والثانية: شغلُ الناس عن الأذكار المؤثرة والرُّقى المشروعة في الكتاب  
والسنة.

ومن الأخطاء في هذا الباب جعل بعضهم أسماء الله الحسنى تعاليق وحُرُوفاً  
تعلّق على السيارات أو في البيوت لغرض الحفظ والوقاية من العين أو الحسد أو  
نحو ذلك، وهذا عمل لا يشرع إذ ليس في أدلة الكتاب والسنة ما يدل على  
مشروعيته، بل دلت النصوص على المنع من مثل هذه الأعمال في مثل قوله ﷺ: «من  
تعلق قيمه فلا أتم الله له» رواه أحمد وغيره<sup>(١)</sup>، ونحوه من الأحاديث.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤/١٥٤)، ورواه ابن حبان (٦٠٨٦)، والحاكم (٤/٤١٧، ٢١٦)، كلهم من طريق حمزة بن شريح، عن خالد بن عبيد المعاوري، قال: سمعت مشرح ابن هاعان يقول: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول (فذكره).  
وفي إسناده خالد بن عبيد تفرد عنه حمزة بن شريح، ولم يوثقه غير ابن حبان بذكره إياه في  
«الثقات» (٦/٢٦١)، لكنه توبيع.

تابعه عبد الله بن هعيّة فيما أخرجه ابن عبد الحكم في «فتح مصر» (ص/٣٢١ - ٣٢٠) عن أبي الأسود النضر بن عبد الجبار، عن عبد الله بن هعيّة، عن مشرح بن هاعان، به.  
والحديث بهذه الطريقين يكون حسناً لغيره.

ومن الأخطاء في هذا الباب جعل الأسماء الحسنة في لوحات جمالية، ومناظر حائطية تزيّن بها الجدران، وتحمّل بها المجالس بأشكال مزخرفة وخطوطٍ منمقةٍ، بحيث يكون أثراً لها على من يراها مدح اللوحة من حيث جمال خطها وحسن زخرفتها وأناقةُ منظرها، أما تأثيرها على القلوب قوّةً في الإيمان وصلاحًا في الأعمال فهو أمر آخر لا يتحقق بمثل هذا العمل غير المشرع.

ومن الأخطاء في هذا الباب ظن بعضهم أنَّ إحصاء أسماء الله الوارد في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مَائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخْلُ الْجَنَّةِ» يكون بجعلها ورداً يوميًّا يقرؤُه مرة إذا أصبح ومرة إذا أمسى، أو يقرؤُه أدبار الصلوات المكتوبة، وربما كرر بعضهم الاسم الواحد عشرات المرات أو مئات المرات. وكلُّ هذا عملٌ محدثٌ لا دليل على مشروعيته، وقد سبق بيان أنَّ الإحصاء لها يكون بحفظها وفهم معانيها ودعاء الله بها دعاء العبادة ودعاء المسألة.

وقد يغلو بعض الناس في هذا الباب فيزعمون أنَّ لكلَّ اسمٍ من أسماء الله الحسنة خواصًّا وأسرارًا تتعلق به، وأنَّ لكلَّ اسم خادمًا روحانيًّا يخدم مَنْ يواكبُ على الذِّكر به، ويزعم بعض مَنْ سارُوا في هذا الطريق أنَّهم يكتشفون بأسماء الله أسرارَ الغيبات والخلفيَّاتِ مِنَ المكنونات، ويزعم بعضهم أنَّ عنده اسمَ الله الأعظم يفتح به المغلقات ويخرج به العادات ويكون له به من الخواصِّ ما ليس لغيره.

وهذا فتحُّ لبابِ الخرافات على مصراعيه، بل إنَّ كثيراً مِنَ السحراء والمشعوذين دَخلُوا من هذا الباب كيدًا للناس وتحصيلًا للمطامع ونشرًا للشرّ، زاعمين أنَّهم يُسخّرون غيرَهم ويؤثّرون فيهم، ويعلمون المستورَ مِنَ الأخبار بما أطّلعوا عليه وعرَفوا من أسماء الله الحسنة، وكلُّ ذلك مِنَ الكذب البَيِّن والافتراء الواضح، ومن

الاستخفاف بالعوام والجهال، ومن القول على الله وفي دين الله بلا حجّة ولا بُرهان بل بالإفك الواضح والبهتان.

ومن الأخطاء في هذا الباب أن يتوجه العبد في ندائه أو عبادته إلى الاسم نفسه، فهذا من الخطأ؛ إذ لا يجوز لأحد أن يقول: عبد اسم ربي، أو سجدت لاسم ربي، ولا أن يقول: يا اسم ربي ارحمني، ولهذا لما نزل على النبي ﷺ قوله: ﴿سَيِّدُ أَسْمَاءِ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿فَسَيِّحَ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] امثّل ﷺ هذا الأمر بقوله في سجوده: سبحان رب الأعلى، وبقوله في رکوعه: سبحان رب العظيم.

كما أنَّ من الخطأ أيضاً أن يتوجَّه في الدّعاء إلى الصفة نفسها لأن يقول: يا رحمة الله أو يا مغفرة الله أو يا عزَّة الله أو يا وجه الله أو يا يد الله أو نحو ذلك، فكل ذلك من الخطأ؛ لأن الدّعاء إنما يصرف لمن تَصَفَّ بها وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن الأخطاء في هذا الباب التعبيد بالاسم لغير الله، كعبد النبي أو عبد الكعبة وعبد عمر ونحو ذلك، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على تحريم ذلك؛ لأنَّه شركٌ في الرُّبوبية والألوهية؛ فإنَّ الخلق كلَّهم ملكُ الله وعبيده له، تفرَّدَ سبحانه بخلقهم وإيجادهم، وخلَقُهم ليُفرِّدوه وحده بالعبادة.

ومن الأخطاء كذلك إعطاء بعض المخلوقين كالنبي ﷺ أو غيره شيئاً من أسماء الله الحسنى المختصة به، كقول أحدهم: هو الأول والآخر محمد، هو الظاهر والباطن محمد.

ومن الأخطاء في هذا الباب فعل ما ليس فيه مراعاة لحرمة أسماء الله وتحقيق لاحترامها، وقد دلَّت النصوص على المنع مِن التسمُّي بأسماء الله تعالى المختصة به،

والمنع من كل ما يوهم عدم الاحترام لها، وهذا باب واسعٌ، والله تعالى يقول: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُنَّ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تعظيمها، وأسماء الله، وتعظيمها من تعظيمه سبحانه.

ومن الأخطاء التي شاعت في هذا الزمان - وهي تتنافى مع ما ينبغي من التعظيم لأسماء الله - إلقاء الأوراق والكتب والصحف المشتملة على أسماء الله في الأرض أو الزبالات، وإذا كان النبي ﷺ لم يرد السلام حال كونه في الخلاء احتراماً لاسم الله وذكره فكيف يليق بأتباعه إلقاء أسماء الله الحسنة ورميها في الأرض دون مبالغة أو اهتمام، هذا وإنَّ مِنَ الطاعات العظيمة تحصيص حاويات تُجمع فيها الأوراق المحترمة، احتراماً لأسماء الله وكلامه ورعايته لحرمتها، والله المستعان.



## تفاضل أسماء الله وصفاته

لقد دَلَّت نصوص الكتاب والسنّة على تفاضل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، بل ذكر النبي ﷺ أنَّ الله أسمًا أعظم، إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئلَ به أُعطى، ومن قال بعدم تفاضل الأسماء الحسنى فقوله مجانب للصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقول من قال: صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك قول لا دليل عليه...، وكما أنَّ أسماءه وصفاته متنوعةٌ فهي أيضاً متفاضلة كما دَلَّ على ذلك الكتاب والسنّة والإجماع مع العقل»<sup>(١)</sup> اهـ.

والدلائل على ثبوت التفاضل في أسماء الله جل وعلا كثيرة، ومن هذه الدلائل ما ثبت عن النبي ﷺ في الأخبار الصحيحة أنَّ الله أسمًا أعظم إذا سُئلَ به أُعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب، ولا ريب أن هذه فضيلةٌ عظيمة اختص بها هذا الاسم الذي وصف بأنه اسم الله الأعظم، ولعلنا نقف على طرف من الأحاديث الواردة في ذلك، ثم نقف بعد ذلك على كلام بعض أهل العلم في تعينه.

روى الإمام أحمد في «المسند» وأبو داود، والنسائي عن أنس بن مالك حفظ الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلَّا أنت

(١) «جواب أهل العلم والإيمان» (ص/١٩٧ - ٢٠٠). وراجع «شفاء العليل» لابن القيم (٧٤٤/٢).

وحدك لا شريك لك، المَنَان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى<sup>(١)</sup>، وزاد أبو داود والنسائي في آخره: «يا حي يا قيوم».

وروى ابن ماجه والحاكم وغيرهما عن أبي أمامة حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسم الله الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب في ثلاثة سور من القرآن: في البقرة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وآل عمران وطه»<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُ كَوْنُهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾»<sup>(٣)</sup>.

وروى أحمد وأصحاب السنن وابن حبان في «صحيحه» عن بريدة حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: «سمع النبي ﷺ رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله

(١) «مسند أحمد» (١٥٨/٣)، و«سنن أبي داود» (رقم: ١٤٩٥)، و«سنن النسائي» (رقم: ١٣٠٠).

ورواه أيضاً ابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (٥٠٣/١) كلهم من طريق خلف بن خليفة، عن حفص ابن أخي أنس، عن أنس. وإسناده جيد. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٢) «سنن ابن ماجه» (رقم: ٣٨٥٦)، و«المستدرك» (٥٠٦/١) وغيرهما. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٧٤٦).

(٣) «مسند الإمام أحمد» (٦/٤٦١)، و«سنن أبي داود» (رقم: ١٤٩٦)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٣٤٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٣٨٥٥) وغيرهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر ابن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أن النبي ﷺ قال (فذكره). وفي إسناده ضعف عبيد الله ليس بالقوي، وشهر تكلّم فيه غير واحد.

ولكن لآل عمران شاهد من حديث أبي أمامة، وهو مخرج في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٧٤٦).

إلا أنت الأَحَد الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال رسول الله ﷺ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَّ بِهِ أَجَابَ<sup>(١)</sup>.

فهذه بعض الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في ذكر اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ولأجل ذا كان لهذا الاسم ومعرفته والبحث عنه شأن عظيم عند أهل العلم، ولهم في هذا أبحاث عديدة مختصرة ومطولة.

قال الشوكاني رحمه الله في كتابه «تحفة الذاكرين»: «وقد اختلف في تعين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولًا، قد أفردها السيوطي بالتصنيف»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

ولم يذكر السيوطي في كتابه الذي أفرد فيه ذلك والذي أسماه: «الدر المنظم في الاسم الأعظم» سوى عشرين قولًا، وكثير منها ضعفه ظاهر لعدم قيام دليل عليه من الكتاب والسنة، بل في بعضها تكلف ظاهر وشطط بين، وبعض المتصوفة لهم في هذا الباب أباطيل كثيرة لا يلتفت إلى شيء منها، ويوردون في ذلك أحاديث موضوعة، وأثارا مخترعة، وقصصا منكرة، يخدعون بها عوام المسلمين، ويعرّون بها جهالهم، والواجب على كل مسلم أن يكون على حيطة وحذر من الوقوع في إفك هؤلاء وباطلهم.

إن من أشهر الأقوال في تعين الاسم الأعظم وأولاها بالصواب وأقربها

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣٤٩/٥)، و«سنن أبي داود» (رقم: ١٤٩٣)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٣٤٧٥)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٣٨٥٧)، و«سنن النسائي الكبير» (رقم: ٧٦١٩)، وابن حبان (رقم: ٨٩٢)، والحاكم (١/٥٠٤) وغيرهم مطولاً وختصراً. وإسناده صحيح.

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص ٦٧).

للأدلة هو أن الاسم الأعظم هو «الله»، وإلى هذا القول ذهب جمع من أهل العلم.  
قال الإمام أبو عبد الله ابن منده في كتابه «التوحيد» - وقد اختار فيه أن اسم الله الأعظم هو «الله» - قال: «فاسمه الله معرفة ذاته، منع الله عزوجل خلقه أن يتسمى به أحد من خلقه أو يدعى باسمه إله من دونه، جعله أول الإيمان، وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، وخالفه الأضداد والإشراك فيه، يتحجز القائل من القتل، وبه يفتح الفرائض، وتنعقد الآيات، ويستعاد من الشيطان، وباسمه يفتح وينتظم الأشياء، تبارك اسمه ولا إله غيره»<sup>(١)</sup>. اهـ

ولهذا الاسم الكريم من الخصائص ما ليس لغيره من الأسماء، ومن خصائصه أن الله يضيف سائر الأسماء إليه كقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْخَيْرَ﴾، ويقال: العزيز والرحمن والكريم والقدوس من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، بل إن هذا الاسم الكريم متضمن لجميع معاني الأسماء الحسنة دالٌّ عليها إجمالاً، والأسماء الحسنة تبيّن وتفصّل لصفات الإلهية، فلهذه المعاني العظيمة وغيرها مما اختصّ به هذا الاسم ذهب غير واحد من أهل العلم إلى اختيار أنه الاسم الأعظم، وما يقوي هذا أن هذا الاسم الكريم قد ورد في جميع الأحاديث التي فيها الإشارة إلى الاسم الأعظم.

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن الاسم الأعظم هو «الحي القيوم».

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد»<sup>(٢)</sup>: «إإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، وهذا

---

(١) «التوحيد» (٢١ / ٢).

(٢) (٤ / ٢٠٤).

كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجب و إذا سئل به أعطى هو اسم الحي  
القيوم» اهـ.

وقد ورد هذان الاسمان في أكثر الأحاديث التي فيها إشارة إلى الاسم  
الأعظم.

ومن أهل العلم من قال: «إن الاسم الأعظم جنس لا يراد به اسمٌ معين؟ فإن  
أسماء الله نوعان: أحدهما: ما دل على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافا  
معدودة، والثاني: ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ما له من نعوت  
العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم؛ لما دل عليه من المعاني التي  
هي أعظم المعاني وأوسعها، فالله اسم أعظم، وكذا الصمد، وكذلك الحي القيوم،  
وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط»<sup>(۱)</sup>.

فهذه الأقوال الثلاثة هي أولى ما قيل في الاسم الأعظم، وعلى كلٍّ بهذه  
مسألة اجتهاد لعدم ورود دليل قطعي الدلالة على التعيين يجب أن يصار إليه؛ إلا أن  
من دعا الله بالأدعية المتقدمة فقد دعاه باسمه الأعظم؛ لإخبار النبي ﷺ عمن دعا  
الله بذلك بأنه دعاه باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجب،  
والله وحده ولي التوفيق.



---

(۱) «فتح الملك العلام» لابن سعدي (ص/ ۲۶ - ۲۷).

## الله، الإله

لقد تقدمَّ معنا شيءٌ منَ المقدّمات التأصيلية والقواعد العامة في فقه أسماء الله الحسنى، وهذا أوان الشروع في شرح ما تيسر من أسماء الله، ومن الله وحده يستمد العون ويستمنح التوفيق.

إنَّ أصول الأسماء الحسنى التي تجمع في دلالاتها معاني سائر أسماء الله ثلاثة أسماء وهي: «الله، والرب، والرحمن»، فهذه الأسماء الثلاثة تنتظم في دلالاتها جميع أسماء الله، وأسماء الله تدور عليها وترجع إليها، فاسم «الله» متضمنٌ لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسماء الله تدور على هذا، وقد اجتمعت هذه الأسماء الثلاثة في سورة الفاتحة أم القرآن.

قال ابنُ القيّم رحمه الله: «اعلم أن هذه السورة اشتغلت على أمهات المطالب العالية أتم اشتغال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتغلت على التعريف بالمعبد تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي: «الله والرب والرحمن»، وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة فـ﴿إِنَّا نَبْشِّرُكُمْ﴾ مبني على الإلهية، و﴿وَإِنَّا نَسْتَعِينُكُمْ﴾ على الربوبية، وطلب الهدایة إلى

الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة، فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته»<sup>(١)</sup> اهـ كلامه رحمة الله.

وأول ما نبدأ به من أسماء الله الحسنى اسمه تبارك وتعالى «الله»، وهو اسم ذكر جماعة من أهل العلم أنه اسم الله الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، ولهذا الاسم خصائص وميزات اختص بها.

فمن خصائص هذا الاسم أنه الأصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه ويوصف بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَنِيُّ وَالشَّهَدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَيِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]، ويقال: الرحمن الرحيم الخالق الرزاق العزيز الحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن الرحيم أو من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

ومن خصائص هذا الاسم أنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال علىها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي هي صفات الجلال والكمال والعظمة، فهو الاسم الذي مرجع سائر أسماء الله الحسنى إليه، ومدار معانيها عليه.

ومن خصائصه أنه لا يسقط عنه ألف ولام في حال النداء، فيقال: يا الله،

---

(١) «مدارج السالكين» (١/٧).

فصار الألف واللام فيه كالجزء الأساسي في الاسم، وأما سائر الأسماء الحسنة إذا دخل عليها النداء أُسقط عنها الألف واللام فلا يقال: يا الرحمن، يا الرحيم، يا الخالق، وإنما يقال: يا رحمن، يا رحيم، يا خالق.

ومن خصائصه أنه الاسم الذي اقترن به عامة الأذكار المأثورة، فالتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح والحوقة والحسبلة والاسترجاع والبسملة وغيرها من الأذكار مقترنة بهذا الاسم غير منفكة عنه، فإذا كَبَرَ المسلم ذكر هذا الاسم، وإذا حمد ذكره، وإذا هلل ذكره، وهكذا في عامة الأذكار.

ومن خصائصه أنه أكثر أسماء الله الحسنة ورودا في القرآن الكريم، فقد ورد هذا الاسم في القرآن أكثر من ألفين ومائتي مِرَّة، وهذا ما لم يقع لاسم آخر، وقد افتتح الله جلّ وعلّا به ثلاثة وثلاثين آية.

وقد عدَ العلَّامة ابن القيِّم عشر خصائص لفظيَّة لهذا الاسم، ثم قال: «وأمّا خصائصه المعنوَّية فقد قال فيها أعلم الخلق به ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وكيف تحصى خصائص اسم مسماه كل كمال على الإطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء وكل مجد وكل جلال وكل كرم وكل عزٌّ وكل جمال وكل خير وإحسان وجود وبُرٌّ وفضل فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلَّا كثُرَه، ولا عند خوف إلَّا أزاله، ولا عند كرب إلَّا كَشَفَه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلَّا فرَّجَه، ولا عند ضيق إلَّا وسَعَه، ولا تعلق به ضعيفٌ إلَّا أفاده القوَّة، ولا ذليل إلَّا أَنَّالَه العزة، ولا فقير إلَّا أصاره غنيًّا، ولا مستوحش إلَّا آنسَه، ولا مغلوب إلَّا أَيَّدَه ونصرَه، ولا مضطَرٌ إلَّا كشفَ ضرَّه، ولا شريد إلَّا آواه، فهو الاسم الذي تُكَشَّفُ به الكربات، وتُستنزلُ به البركات والدعوات، وتُتَقَّالُ به العثرات، وتُسْتَدَفعُ به السَّيَّئات،

وُتُسْجَلُ بِهِ الْحَسَنَاتُ،...»<sup>(١)</sup> إِلَيْ آخر كلامه رَحْمَةً لِللهِ.

وَأَمَّا مَعْنَى هَذَا الْاسْمِ فَأَصْلُهُ «الإِلَهُ»، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُبَدُّدِ، وَ«الإِلَهُ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الْحَسَنَى، وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَهُمْ إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا  
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الْبَقْرَةُ: ١٦٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَيْهَا  
وَجَدَّا إِلَّا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، كَمَا يُشَرِّكُونَ﴾ [النُّورُ: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَجَدَّا فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ١٠٨].

هَذَا وَإِنْ أَجْعَجَ وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي مَعْنَى «الله» مَا وَرَدَ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ ذِيَّلَهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «اللهُ ذُو الْأَلْوَهِيَّةِ وَالْعَبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»، رَوَاهُ أَبْنَى جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فَقَدْ جَمَعَ حَفَظَهُ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

الْأُولُّ: الْوَصْفُ الْمُتَعَلِّقُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الْاسْمِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْأَلْوَهِيَّةُ الَّتِي هِيَ  
وَصْفُهُ الدَّالُّ عَلَيْهَا لِفَظُ «الله»، كَمَا دَلَّ عَلَى الْعِلْمِ - الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ - لِفَظُ «الْعَلِيمِ»،  
وَكَمَا دَلَّ عَلَى الْعَزَّةِ - الَّتِي هِيَ وَصْفُهُ - لِفَظُ «الْعَزِيزِ»، وَكَمَا دَلَّ عَلَى الْحَكْمَةِ - الَّتِي  
هِيَ وَصْفُهُ - لِفَظُ «الْحَكِيمِ»، وَكَمَا دَلَّ عَلَى الرَّحْمَةِ - الَّتِي هِيَ وَصْفُهُ لِفَظُ «الرَّحِيمِ»،  
وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الدَّالِّةِ عَلَى مَا قَامَ بِالذَّاتِ مِنْ مَدْلُولِ صَفَاتِهَا.

فَكَذَلِكَ اللَّهُ هُوَ ذُو الْأَلْوَهِيَّةِ، وَالْأَلْوَهِيَّةُ الَّتِي هِيَ وَصْفُهُ هِيَ الْوَصْفُ الْعَظِيمُ  
الَّذِي اسْتَحْقَّ أَنْ يَكُونَ بِهِ إِلَهًا، بَلْ اسْتَحْقَّ أَنْ لَا يُشارِكَ فِي هَذَا الْوَصْفِ الْعَظِيمِ  
مُشَارِكٌ بِوْجَهِهِ مِنَ الْوِجْهِ، وَأَوْصَافُ الْأَلْوَهِيَّةِ هِيَ جَمِيعُ أَوْصَافِ الْكَمالِ وَأَوْصَافِ  
الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَمَالِ، وَأَوْصَافُ الرَّحْمَةِ وَالْبَرِّ وَالْكَرَمِ وَالْإِمْتَانَ.

(١) نَقْلُهُ فِي «تَيسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» (ص/ ٣٠).

(٢) ١٢١/١ - ط. التَّرْكِي.

فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فيؤله لأن له أوصاف العظمة والكبراء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء على وحكمه وحكمته وإحساناً ورحمةً وقدرةً وعزّةً وقهرًا، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أنه ما سواه مفتقرٌ إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقرٌ إليه في إيجاده وتدميره، مفتقرٌ إليه في إمداده ورزقه، مفتقرٌ إليه في حاجاته كلها، مفتقرٌ إليه في أعظم الحاجات وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده وتألهه له وحده، فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنية والصفات العليا.

الثاني: الوصف المتعلق بالعبد من هذا الاسم، وهو العبودية، فالعبد يعبدونه وأيأهونه، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي: يأله أهل السماء وأهل الأرض طوعاً وكرهاً، الكل خاضعون لعظمته، منقادون لإرادته ومشيئته، عانون لعزته وقيوميته، وعباد الرحمن يأهونه ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم من التأله القلبي والروحي والقولي والفعلي بحسب مقاماتهم ومراتبهم، وقد جمع الله هذين المعنين في عدة مواضع من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَاَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِي وَأَقِمُ الصَّلَاةَ لِنِسْكِنِي﴾ [طه: ١٤]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾ [الأنياء: ٢٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِنْدَهُ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً﴾ [مريم: ٦٥].



(١٩)

## الْرَبُّ

وهو اسم عظيم لله جل وعلا، تكرر وروده في القرآن الكريم في مقامات عديدة وسياقات متنوعة تزيد على خمسين مرتًّا، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَحْيَانِي وَمَمَاقِفِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْيَغُ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التوكير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحْمَنٍ﴾ [يس: ٥٤].

ومعنى الرب أي: ذو الرُّبوبيَّة على خلقه أجمعين خالقاً ومُلْكاً وتصرفاً وتدبيراً، وهو من الأسماء الدالة على جملة معانٍ لا على معنى واحد.

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله: «الرب في كلام العرب متصرف على معان، فالسيد المطاع فيهم يدعى ربّاً، والرجل المصلح الشيء يدعى ربّاً، والمالك للشيء يدعى ربه، وقد يتصرف أيضاً في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة، فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سُودده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»<sup>(١)</sup>.

(١) «تفسيره» (١٤٣ - ١٤٢/١) باختصار.

وقال ابن الأثير رحمه الله: «الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربّي والقيم والنعم، ولا يطلق غير مضافٍ إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أُضيف، فيقال: رب كذا»<sup>(١)</sup>.

بل إنَّ هذا الاسم إذاً أفرد تناول في دلالاته سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «إنَّ الربَ هو القادر الخالق البارئ المصور الحُيُّ القيُوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الججاد، المعطي المانع، الضار النافع، المقدِّم المؤخِّر، الذي يصل من يشاء ويهدى من يشاء، ويسعد من يشاء ويشقي من يشاء، ويعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقُه من الأسماء الحسنى»<sup>(٢)</sup>. اهـ

وذلك أنَّ من يُمعن النظر في هذا الاسم ويتأمل في دلالته يشهد «قيِّوماً قام بنفسه، وقام به كُلَّ شيء، فهو قائم على كُلَّ نفس بخيرها وشرّها، قد استوى على عرشه، وتفرَّد بتدبير ملكه، فالتدبير كُلُّه بيديه، ومصير الأمور كُلُّها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب، وإغاثة الملهوفين، وإجابة المضطرين» **﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾** [الرحمن: ٢٩]. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مبدل لكلماته، ترج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه، فيقدر المقادير، ويوقّت المواقف، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها قائماً بتدبير ذلك كله

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (١٧٩/١).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢١٢/٢).

وحفظه ومصالحه»<sup>(١)</sup>.

وربوية الله للعالمين تشمل العالم كله، فهو الذي رَبَّ جميع المخلوقات بنعمه وأوجدها بمشيئته وقدرته، وأمدها بما تحتاج إليه، أعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما خلق له، وأغدق على عباده النعم، ونهاهم وغذّاهم وربّاهم أكمل تربية.

وتربيته سبحانه وربوبيته تعالى نوعان:

ربوبية عامة تشمل كل مخلوق بِرًّا أو فاجرًا، مؤمنًا أو كافرًا، سعيدًا أو شقيًا، مهتدىً أو ضالًّا، وهي تربيته لهم أجمعين بالخلق والرزق، والتدبیر والإنعم، والعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتولية والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المصطرين ﴿يَتَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وتربية خاصة لأوليائه حيث رباهم فوفقاً لهم للإيمان به والقيام بعبوديته، وغذّاهم بمعرفته والإنابة إليه، وأخرجهم من الظلمات إلى النُّور، ويسراهم لليسرى وجنبهم العسرى، ويسراهم لكُلّ خير، وحفظهم من كُلّ شرٍّ.

وهذا كانت أدعية أولي الألباب والأصفياء الواردة في القرآن باسم الرب استحضاراً لهذا المطلب، وطلباً منهم لهذه التربية الخاصة، فتجد مطالبهم كلها من هذا النوع، واستحضار هذا المعنى عند السؤال نافع جداً للعبد.

ثم إنَّ إيمان العبد بالله ربِّا يستلزم إخلاص العبادة له وكمال الذل بين يديه، قال تعالى: ﴿وَآنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنياء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) «كتاب الصلاة» (ص/ ١٧٣).

أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴿البقرة: ٢١﴾، فـكـونـهـ سـبـحـانـهـ ربـ الـعـالـمـينـ يـقـتـضـيـ أـلـاـ يـتـرـكـهـمـ سـدـاـيـ وـهـمـاـ لـاـ يـؤـمـرـونـ وـلـاـ يـنـهـوـنـ، بلـ خـلـقـهـمـ لـطـاعـتـهـ وـأـوـجـدـهـمـ لـعـبـادـتـهـ، فالـسـعـيدـ مـنـهـمـ مـنـ أـطـاعـهـ وـعـبـدـهـ، وـالـشـقـيـ مـنـهـمـ مـنـ عـصـاهـ وـاتـبـعـهـ هـوـاهـ، وـمـنـ آـمـنـ بـرـبـوـيـةـ اللهـ وـرـضـيـ بـالـلهـ رـبـاـ رـضـيـ بـمـاـ يـأـمـرـهـ بـهـ وـيـنـهـاـ عـنـهـ وـيـقـسـمـهـ لـهـ وـيـقـدـرـهـ عـلـيـهـ وـيـعـطـيـهـ إـيـاهـ وـيـمـنـعـهـ مـنـهـ، وـمـتـىـ لـمـ يـرـضـ بـذـلـكـ لـمـ يـكـنـ مـحـقـقاـ الرـضـيـ بـالـلهـ رـبـاـ مـنـ كـلـ الـوجـوهـ، وـفـيـ الحـدـيـثـ: «ذـاقـ طـعـمـ الإـيـانـ مـنـ رـضـيـ بـالـلهـ رـبـاـ، وـبـالـإـسـلـامـ دـيـنـاـ، وـبـمـحـمـدـ رـسـوـلـاـ» رـوـاهـ مـسـلـمـ<sup>(١)</sup>.

هـذـاـ وـإـنـ شـهـودـ الـعـبـدـ اـنـفـرـادـ الرـبـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ بـالـخـلـقـ وـالـحـكـمـ وـأـنـهـ مـاـ شـاءـ كـانـ وـمـاـ لـمـ يـشـأـ لـمـ يـكـنـ، وـأـنـهـ لـاـ تـتـحـرـكـ ذـرـةـ إـلـاـ بـإـذـنـهـ، وـأـنـ الـخـلـقـ مـقـهـورـونـ تـحـتـ قـبـضـتـهـ، وـأـنـهـ مـاـ مـنـ قـلـبـ إـلـاـ وـهـوـ بـيـنـ إـصـبـعـيـنـ مـنـ أـصـابـعـهـ إـنـ شـاءـ أـنـ يـقـيمـهـ أـقـامـهـ، وـإـنـ شـاءـ أـنـ يـرـيـغـهـ أـزـاغـهـ فـيـ تـحـقـيقـ لـقـامـ ﴿إـيـاكـ نـبـيـهـ وـإـيـاكـ نـتـعـيـثـ﴾ عـلـىـ وـحـالـاـ فـيـثـبـتـ قـدـمـ الـعـبـدـ فـيـ تـوـحـيدـ الـرـبـوـيـةـ ثـمـ يـرـقـىـ مـنـهـ صـاعـداـ إـلـىـ تـوـحـيدـ الـإـلـهـيـةـ، فـإـنـهـ إـذـاـ تـيـقـنـ ذـلـكـ لـمـ يـتـخـذـ سـوـاهـ سـبـحـانـهـ إـلـاـ وـمـعـبـودـاـ، فـأـوـلـ مـاـ يـتـعـلـقـ الـقـلـبـ يـتـعـلـقـ بـتـوـحـيدـ الـرـبـوـيـةـ ثـمـ يـرـتـقـيـ إـلـىـ تـوـحـيدـ الـإـلـهـيـةـ كـمـاـ يـدـعـوـ اللـهـ سـبـحـانـهـ عـبـادـهـ فـيـ كـتـابـهـ بـهـذـاـ النـوـعـ مـنـ التـوـحـيدـ إـلـىـ النـوـعـ الـآـخـرـ وـيـحـتـجـ عـلـيـهـمـ بـهـ وـيـقـرـرـهـمـ بـهـ ثـمـ يـخـبـرـهـمـ يـنـقـضـونـهـ بـشـرـكـهـمـ بـهـ فـيـ الـإـلـهـيـةـ.

قالـ اللـهـ تـعـالـىـ: ﴿وـلـئـنـ سـأـلـتـهـمـ مـنـ خـلـقـهـمـ لـيـقـولـنـ اللـهـ فـإـنـ يـؤـفـكـونـ﴾ [الـزـخـرـفـ: ٨٧ـ]ـ أيـ فـأـيـنـ يـصـرـفـونـ عنـ شـهـادـةـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـعـنـ عـبـادـتـهـ وـحـدـهـ وـهـمـ يـشـهـدـونـ أـنـهـ لـاـ رـبـ غـيرـهـ وـلـاـ خـالـقـ سـوـاهـ، وـقـالـ تـعـالـىـ: ﴿قـلـ لـمـنـ الـأـرـضـ وـمـنـ فـيـهـاـ إـنـ كـنـتـ

(١) في «صحيحة» (رقم: ٣٤) من حديث العباس رض.

تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُوْكَ ﴿٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]، فتعلمون أنَّه إِذَا كان  
هو وحده مالك الأرض ومن فيها وحالهم وربهم وملكهم فهو وحده إِلهُم  
ومعبودهم فكما لا رب لهم غيره فهكذا لا إِله لهم سواه، وفي هذا احتجاج عليهم  
بأنَّ من فعل لهم هذا وحده فهو الإِله لهم وحده، فإنْ كان معه رب فعل هذا فينبغي  
أنْ تعبدوه وإنْ لم يكن معه رب فعل هذا فكيف تجعلون معه إِلهاً آخر<sup>(١)</sup>.

وهذا من أَيْنَ ما يكون دلالةً على فساد الشرك وما عليه أَهْلُه من السفه  
والضلال، تعالى الله عما يشركون.



---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٤١٠ / ٤١٢ - ٤١٣).

## الرحمن، الرحيم

وهما اسمان جليلان كثراً وروادهما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿فَيَخَافُ أَن يَمْسَكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ٤٥]، وقال: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ [البأ: ٣٧]، وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْفَقْرَاءَ﴾ [الرحمن: ١ - ٢].

وغالب مجيء اسمه «الرحيم» إما مقيداً كقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، أو مقروراً باسم «الرحمن» كما في سورة الفاتحة والبسملة، أو باسم آخر نحو: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ و﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ و﴿الْأَبْرَارُ الرَّحِيمُ﴾ و﴿الْغَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. وهذين الاسمين شأنٌ كبير ومكانة عظيمة؛ فهما الاسمان اللذان افتح الله بهما أئم القرأن، وجعلهما عنوان ما أنزله من المهدى والبيان، وضمتهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتابه نبى الله سليمان عليه السلام، وكان جبريل ينزل بها على النبي ﷺ عند افتتاح كل سوره من القرأن.

وقد ورد هذان الاسمان مقترنين في عدة مواضع من القرأن، وكل منها دال على ثبوت الرحمة صفة لله عز وجل، إلا أنَّ اقتران هذين الاسمين فيه دلالة على ثبوت هذا الوصف وحصول أثره وتعلقه بمتعلقاته؛ فالرحمن أي: الذي الرحمة وصفه،

والرحيم أي: الرحيم لعباده، وهذا يقول تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿إِنَّهُ  
 بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١١٧]، ولم يجيء (رَحِيم بِعِبَادِهِ) ولا (رَحِيم بِالمُؤْمِنِينَ).

والرحمن جاء على وزن (فعلان) الدال على الصفة الثابتة اللازمه الكاملة،  
 أي: من صفتة الرحمة، والرحيم دالٌ على تعديها للمرحوم، أي: من يرحم بالفعل.  
 إنَّ في هذين الاسمين دلالة على كمال الرحمة التي هي صفة الله وسعتها، فجميع  
 ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحابٌ والممسارٌ والخيرات من آثار  
 رحمته، كما أنَّ ما صرف عنهم من المكاره والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار  
 رحمته؛ فإنه لا يأتي بالحسنات إلَّا هو، ولا يدفع السيئات إلَّا هو، وهو أرحم الراحمين.  
 ورحمته تعالى سبقت غضبه وغلبته، وظهرت في خلقه ظهوراً لا ينكر، حتى  
 ملأت أقطار السماوات والأرض، وامتلأت منها القلوب حتى حنت المخلوقات  
 بعضها على بعض بهذه الرحمة التي نشرها عليهم وأودعها في قلوبهم، وحتى حنت  
 البهائم التي لا ترجو نفعاً ولا عاقبة ولا جزاءً على أولادها، وشوهد من رأفتها بهم  
 وشفقتها العظيمة ما يشهد بعنایة باريها ورحمته الواسعة، وكذلك ظهرت رحمته في  
 أمره وشرعه ظهوراً تشهده البصائر والأبصار، ويعرف به أولو الألباب، فشرعه  
 نورٌ ورحمة وهداية، وقد شرعه محتوياً على الرحمة، وموصلاً إلى أجل رحمة وكرامة  
 وسعادة وفلاح. شرع فيه من التسهيلات والتسهيلات ونفي الخرج والمشقات ما يدلُّ  
 أكبر دلالة على سعة رحمته وجوده وكرمه، ومناهيه كُلُّها رحمة؛ لأنها لحفظ أديان  
 العباد، وحفظ عقوتهم وأعراضهم وأبدانهم وأخلاقهم وأموالهم من الشرور والأضرار<sup>(١)</sup>.  
 ويوم القيمة يختص سبحانه بالرحمة والفضل والإحسان المؤمنين به وبرسله،

---

(١) انظر: «فتح الرحيم الملك العلام» لابن السعدي (ص / ٢٩ - ٣٠).

ويكرمهم بالصفح والعفو والغفران ما لا تعبّر عنه الألسنة ولا تتصرّف به الأفكار، ففي الحديث «إِنَّ اللَّهَ مائةً رحمة أَنْزَلَ مِنْهَا رحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالْإِنْسَانِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فِيهَا يَتَعَاطِفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاهُونَ، وَبِهَا تَعْطُفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا». وأخَرُ اللَّهِ تَسْعَاً وَتَسْعِينَ رحْمَةً يَرْحِمُ بِهَا عَبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فهي رحمة لا يعبر عنها لسان، يمْنُّ بها أرحم الرّاحمين، ويتفضل بها من وسعت رحمته كل شيء على عباده المؤمنين ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُ مِنْهَا لِلَّذِينَ يَنْتَهُونَ وَيُؤْتُونَ الْزَكَوَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والعبد كلما عظمت طاعته وزاد قربه وتقرّبه لربه عظم نصيبيه من استحقاق هذه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَهَذَا إِكْنَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا الْعَلَمُ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاءُثُوا الْزَكُوَةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله عَزَّوَجَلَّ أرحم بعباده منهم بعضهم بعضًا علا قدر الرحمة والتراحم بينهم، ففي «الصّحيحين»<sup>(٢)</sup> عن عمر بن الخطاب حَدَّثَنَا أَنَّهُ قَالَ: «قَدْمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بَسِيِّ، إِذَا امْرَأٌ مِنَ السَّبِيِّ تَبَتَّغِي»<sup>(٣)</sup> إِذَا وَجَدْتُ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخْذَتُهُ

(١) « صحيح البخاري » (رقم: ٤٦٠)، و« صحيح مسلم » (رقم: ٢٧٥٢) - ولللفظ له - عن أبي هريرة حَدَّثَنَا .

(٢) « صحيح البخاري » (رقم: ٥٩٩٩)، و« صحيح مسلم » (رقم: ٢٧٥٤) - ولللفظ له - .

(٣) قال النووي: «هكذا هو في جميع نسخ « صحيح مسلم »: « تبتغي » من الابتغاء وهو الطلب ». « شرح صحيح مسلم » (١٧ / ٧٠). =

فأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتْرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قَلْنَا: لَا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تُطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَرْحَمٌ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بُولَدَهَا».

فَأَرْحَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ رَحْمَةً الْأَمْ بِوْلَدَهَا، فَهِيَ رَحْمَةٌ لَا يَسَاوِيهَا شَيْءٌ مِنْ رَحْمَةِ النَّاسِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعِلاً أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْهَا بُولَدَهَا، بَلْ لَوْ جَمِعْتِ رَحْمَاتِ الرَّاحِمِينَ كُلَّهُمْ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْدَ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ.

وَيَنْبُغِي أَنْ يَعْلَمَ هُنَّا أَنَّ الرَّحْمَةَ الْمَضَافَةَ إِلَى اللَّهِ نُوعَانَ: رَحْمَةُ عَامَةٍ، وَهِيَ التِّي قَرَنَهَا بِالْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، فَكُلُّ شَيْءٍ وَصَلَهُ عِلْمُهُ وَهُوَ وَاصِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ إِنْ رَحْمَتَهُ وَصَلَتْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَرَنَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ بِهِ، وَهِيَ الرَّحْمَةُ الَّتِي تَشْمِلُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى الْكُفَّارَ، وَهِيَ رَحْمَةٌ جَسَدِيَّةٌ بَدْنِيَّةٌ دُنْيَوِيَّةٌ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالْمَسْكِنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَرَحْمَةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ التِّي خَصَّ بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ رَحْمَةٌ إِيمَانِيَّةٌ دُنْيَوِيَّةٌ أَخْرَوِيَّةٌ بِالْتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ، وَالْتَّيسِيرِ لِلخَيْرِ، وَالتَّثْبِيتِ عَلَى الإِيمَانِ وَالْهَدَايَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالْإِكْرَامِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاهَةِ مِنَ النَّارِ.

وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يَدْخُلَنَا بِرَحْمَتِهِ فِي عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ، وَأَنْ يَمْنَّ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ سَبَّحَنَهُ جَوَادُ كَرِيمٍ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

---

= وفي «صحيح البخاري»: «تسقي» وفي بعض روایاته «تسعى» أي: من السعي. قال القرطبي: «لا خفاء بحسن رواية «تسعى» ووضوحاها، ولكن لرواية «تبتغي» وجهًا، وهو تطلب ولدها، وحذف المفعول للعلم به، فلا يغلط الراوي مع هذا التوجيه». انظر: «فتح الباري» (٤٣٠ / ١٠).

## الحَيُّ الْقَيُّومُ

وهما اسمان وردتا في القرآن مقترين في ثلاثة مواضع، أولها في آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والثاني في أول سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، والثالث في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْمُجْوَهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

واسمه تبارك وتعالى: «الحي» فيه إثبات الحياة صفةً لله، وهي حياةً كاملة ليست مسبوقةً بعدم، ولا يلحقها زوالٌ وفناء، ولا يعتريها نقصٌ وعيوبٌ جلَّ ربُّنا وتقدَّس عن ذلك، حياة تستلزم كمال صفاتـه سبحانه من علمـه، وسمعـه، وبصرـه، وقدرـته، وإرادـته، ورحمـته، وفعـله ما يشاء، إلى غير ذلك من صفاتـ كمالـه، ومن هذا شأنـه هو الذي يستحق أن يُعبد ويُركع له ويُسجد، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، أمـا الحيـ الذي يموتـ، أو المـيتـ الذي هو ليسـ بـحيـ، أو الجـمـادـ الذي ليسـ به حـيـةـ أصـلاـ، فـكـلـ هـؤـلـاءـ لا يـسـتحقـونـ من العـبـادـةـ شيئاـ، إذ المستـحقـ لها هو اللهـ الحـيـ الذي لا يـموـتـ.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوا هُمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الْيَرْبُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقد كان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ لِكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،  
إِلَيْكَ أَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ تُضْلِنِي،  
أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسَنُ يَمُوتُونَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واسمه تبارك وتعالى «القيوم» فيه إثبات القِيُومَيَّة صفةً لله، وهي كونه سبحانه  
قائماً بنفسه مقيناً لخلقه، فهو اسم دالٌ على أمرين:

الأول: كمال غنى الرب سبحانه، فهو القائم بنفسه، الغني عن خلقه، كما قال  
سبحانه: ﴿يَكِيدُهَا النَّاسُ أَتَمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].  
وفي الحديث القدسي: «إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي  
فَتَنَفَّعُونِي» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وغناه سبحانه عن خلقه غنى ذاتي لا يحتاج إليهم في شيء، غني عنهم من كل وجه.  
الثاني: كمال قدرته وتدبره لهذه المخلوقات، فهو المقيم لها بقدرته سبحانه،  
وجميع المخلوقات فقيرة إليه، لا غنى لها عنه طرفة عين، فالعرش والكرسي  
والسموات والأرض، والجبال والأشجار، والناس والحيوان؛ كلها فقيرة إلى الله  
عزوجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَانِعٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُونُهُمْ﴾  
[الرعد: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُوَلَّ وَلَئِنْ زَالَآَنَّ  
أَمْسَكَهُمَا مِنْ لَحْيٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَيَّنِهِ أَنْ  
تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ يَأْمُرُهُ﴾ [الروم: ٢٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

(١) «صحیح البخاری» (رقم: ٦٩٤٨)، و«صحیح مسلم» (رقم: ٢٧١٧) - واللفظ له - من  
حدیث ابن عباس رض.

(٢) فی «صحیحه» (رقم: ٢٥٧٧) وهو طرف من حدیث أبي ذر رض.

فهو سبحانه المتصّرف في جميع المخلوقات، المدبر لكل الكائنات.  
وما تقدّم يعلم أنَّ هذين الاسمين «الحيُّ القيُّوم» هما الجامعان لمعاني الأسماء  
الحسنى، وعليهما مدار الأسماء الحسنى، وإليهما ترجع معانٰها جميعاً؛ إذ جميع  
صفات البارئ سبحانه راجعة إلى هذين الاسمين.

فالحيُّ: الجامع لصفات الذّات، والقيوم: الجامع لصفات الأفعال، فالصفات  
الذّاتية كالسمع والبصر واليد والعلم ونحوها راجعة إلى اسمه «الحيّ»، وصفات  
الله الفعلية كالخلق والرزق والإنعم والإحياء والإماتة ونحوها راجعة إلى اسمه  
القيوم؛ لأنَّ من دلالته أنه المقيم خلقه خلقاً ورزقاً وإحياءً وإماتةً وتدبِّراً، فرجعت  
الأسماء الحسنى كلُّها إلى هذين الاسمين، ولذا ذهب بعض أهل العلم إلى أنها اسم  
الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.

وقد ورد هذان الاسمان في أكثر الأحاديث التي فيها إشارة إلى الاسم الأعظم.  
قال ابن القيّيم رحمه الله: «فإنَّ صفة الحياة متضمنةً لجميع صفات الكمال مستلزمةٌ  
لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم  
الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى هو اسم الحيُّ القيوم»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: آية الكرسي، وفاتحة آل  
عمران؛ لاشتمالها على صفة الحياة المتضمنة<sup>(٢)</sup> لجميع الصفات، وصفة القيومية  
المتضمنة لجميع الأفعال»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٢٠٤).

(٢) في الأصل: «المصححة» ويدل على ما أثبته السياق، وكلامه السابق واللاحق.

(٣) «الصواعق المرسلة» (٣/٩١١ - ٩١٢).

وقد سبق فيما مضى إيراد النصوص الواردة في ذكر الاسم الأعظم، وكلام أهل العلم في دلالتها.

وقد تحدث ابن القيّم رحمه الله عن عظيم أثر الدعاء بهذين الاسمين، ولاسيما في دفع ما ينتاب الإنسان من كرب أو همٌ أو شدَّة.

قال رحمه الله: «وفي تأثير قوله: «يا حُيُّ يا قيوم برحْتِك أستغِيث» في دفع هذا الداء مناسبة بدعة، فإنَّ صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال.

ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو اسم «الحي القيوم»، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والألام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلتحقهم همٌ ولا غمٌ ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، والقيوم لا يتعدَّر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال... والمقصود أن لاسم «الحي القيوم» تأثيراً خاصاً في إجابة الدعوات وكشف الكربات.

وفي «السنن» و«صحيحة أبي حاتم»<sup>(١)</sup> مرفوعاً: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِنَّهُ كُوَّلَ اللَّهٌ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، قال الترمذى: عمران: ﴿الَّمَّا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، قال الترمذى: حديث صحيح.

---

(١) لم أجده في «صحيحة ابن حبان»، والحديث سبق تحريرجه.

وفي «السنن» و«صحيحة ابن حبان» أيضا من حديث أنس: أن رجلا دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

ويؤكّد ما قرّره رَحْمَةُ اللَّهِ مَا رَوَاهُ التَّرْمذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»<sup>(٣)</sup> من حديث أنس ابن مالك رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُومَ بِرْ حَمْتَكَ أَسْتَغِيثُ». 

وكل ذلك يدل على عظم شأن هذين الاسمين وجلالته قدرهما وما يقتضيانه من الذل والخضوع **﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلَّهِ الْقَيُومُ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾** [طه: ١١١].

---

(١) تقدم تخرّيجه.

(٢) «زاد المعاد» (٤ / ٢٠٦ - ٢٠٧).

(٣) (رقم: ٣٥٢٤) وضعفه بقوله: «حديث غريب»؛ لأنّ في إسناده يزيد الرّقاشيّ فهو مع صلاحه وعبادته ضعيف في الحديث.

ولكن له شاهد من حديث ابن مسعود رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِهِ هُمْ أَوْ غُمْ قال: (فذكره). رواه الحاكم في «المستدرك» (١ / ٥٠٩) من طريق النّضر بن إسماعيل البجلي، ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، ثنا القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عنه. وقال: «صحيح الإسناد» فتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمن (يعني ابن إسحاق) ومن بعده ليسوا بحجّة».

فالحديث حسن بالشواهد؛ ولذلك أورده الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ في «السلسلة الصحيحة» (٣١٨٢).

## الخالق، الخلاق

وقد ورد اسم الله «الخالق» في القرآن الكريم في عدة مواضع.

منها: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وورد بصيغة المبالغة (الخالق) في موضعين من القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقوله: ﴿بَلَّ وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

والخلق يطلق ويراد به أمران:

أحدهما: إيجاد الشيء وإبداعه على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْلَئِرِبَا  
أَنَا حَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَوْلَتْ أَنْدِيَنَا أَغْنَمَا فَهُمْ لَهَا مَنْلَكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ  
لَخَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى ② وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢ - ٣]،  
وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

والثاني: بمعنى التقدير، ومنه قولهم: خلق الأديم، أي: قدره، وقول الشاعر:

ولا أنت تفري ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري

أي: أنت إذا قدرتَ أمراً أمضيته، وغيرك يقدر ثم لا يُمضي الشيء الذي  
قدّرْه، قوله: ﴿وَتَخَلَّفُونَ إِنَّكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٧] أي: تقدرون وتهيئونه.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلَقِينَ﴾ [المؤمنون: ٤]، فالخلق في  
نعوت الآدميين معناه التقدير، أما الخلق الذي هو إبداع الشيء وإيجاده على غير مثال  
سابق فمتفرد به رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال  
تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرْوَفْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾  
[لقمان: ١١]، وفي الآية تحدّي لجميع الخلق، بل أثبت سبحانه عجز الناس أجمعين ولو  
اجتمعوا عن آخرهم عن خلق ذباب واحد وهو من أضعف الحيوان وأحقره، قال  
تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ صُرِبَ مَثَلُ فَاسْتَمِعُوا لِهِ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ  
يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَلَنْ يَسْتَهِنُوا الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الْطَّالِبِ  
وَالْمَطْلُوبُ ٢٣﴾ [ما قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرُهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌ عَزِيزٌ] [الحج: ٧٣ - ٧٤].

ثم إنّ خلق الله هذه المخلوقات لم يكن لهوا أو عبأً أو لعباً، تنزيه الرب  
وتقدّس عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينَ ١٦﴾  
أن تُنْجِدَ لَهُوا لَا تُنْجِدُنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ١٧﴾  
بَلْ نَقْذِفُ بِالْمُغْرِبَةِ عَلَى الْبَنِطِيلِ فِي دَمَّهُ فَإِذَا  
هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِنَّا نَصِيبُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ١٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَتُمْ أَنَّا  
خَلَقْنَاكُمْ عَبْسَا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ ١٩﴾  
﴿فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلَكُ الْعَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، بل خلق سبحانه الخلق ليعرفوه ويعبدوه.

ودليل الأول قوله تعالى: ﴿الَّهُ الَّلَّهُ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزَلُ الْأَمْرُ  
بِيَنْهِ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَمًا﴾  
[الطلاق: ١٢].

ودليل الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقد ضل أكثر الخلق في هذا الباب، فعرفوا أن الذي خلقهم هو الله وحده لا شريك له، وأنه وحده سبحانه تفرد بخلقهم وخلق السماء والأرض والجبال والأشجار وغيرها من المخلوقات، ومع هذا الإقرار صرموا العبادة لغيره، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ٦١٠].

قال ابن عباس حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ: «من إيمانهم: إذا قيل لهم: من خلق السماء، ومن خلق الأرض، ومن خلق الجبال؛ قالوا: الله، وهم مشركون».

وقال عكرمة: «تسألهם من خلق السموات والأرض فيقولون: الله، فذاك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، قال ابن عباس حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ: «يريد: عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام بعد أن أقرروا بنعمتي وربوبتي»<sup>(٢)</sup>.

ويكثر في القرآن الكريم الاستدلال على الكفار باعترافهم بأن الله وحده هو الخالق الرزاق المنعم المنصرف؛ على وجوب إفراده وحده بالعبادة وإخلاص الدين له، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما ذكر إقرارهم بهذا وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله: ﴿فَأَنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فلما ذكر

(١) انظر: «جامع البيان» لأبي جرير (٨/٧٧-٧٩).

(٢) أورده ابن القيم في «إغاثة اللهيفان» (٢/٢٢٦).

اعترافهم بهذا وبخهم منكرا عليهم شركهم بقوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُسْتَحِكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شَرِكَابِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، ولا شك أن الجواب الذي لا جواب له غيره هو: لا، أي: ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، فلما تعين هذا الاعتراف وبخهم الله سبحانه بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ ﴾٤٤﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾٤٥﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّمَاءِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾٤٦﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُورُونَ ﴾٤٧﴿ قُلْ مَنْ يَبْيَسُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيْرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ ﴾٤٨﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّمَا تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿أَللَّهُ خَيْرُ أَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾٤٩﴿ أَمْنَنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُنْ أَنْ تُنْتَرِأْ شَجَرَهَا أَوْ لَهُ مَعَ أَلَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠ - ٥٩]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١].

وهنا يعجب العاقل أشد العجب من عقول المشركين كيف عدلوا من لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بالذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ﴿أَيُشَرِّكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُظْلَقُونَ ﴾٥١﴿ وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَقْسَمُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٢ - ١٩١]، وكيف سروا

التراب برب الأرباب، وكيف سووا العبيد بهالك الرقاب، وكيف سووا عباداً  
أمثالهم بالرب العظيم والخالق الجليل سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ  
أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ،  
تعالى الرب عما يصفه هؤلاء وسبحانه عما يشركون.



## الخالق، الباري، المصور

وقد جمع الله هذه الأسماء الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، أي: هو المنفرد بخلق جميع المخلوقات، وبراً بحكمته جميع البريات، وصور بإحكامه وحسن خلقه جميع الكائنات، فخلقها وأبدعها وفطرها في الوقت المناسب لها، وقدر خلقها أحسن تقدير، وصنعتها أتقن صنع، وهداها لصالحها، وأعطى كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق لما هيئ وخلق له.

فالخالق هو المقدر للأشياء على مقتضى حكمته، والباري الموجد لها بعد العدم، والمصور أي المخلوقات والكائنات كيف شاء. فالباري المصور فيهما كما قال ابن القيم تفصيل لمعنى اسم الخالق<sup>(١)</sup>، فالله عزوجل إذا أراد خلق شيء قدره بعلمه وحكمته ثم برأه أي: أوجده وفق ما قدر في الصورة التي شاءها وأرادها سبحانه.

قال ابن كثير رحمه الله: «الخلق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عزوجل...» وقوله تعالى: ﴿الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئاً قال

(١) «شفاء العليل» (٣٦٦ / ١).

له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الانفطار: ٨]؛ ولهذا قال المصور، أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها<sup>(١)</sup>.

فتفسير الخلق هنا بالتقدير يتنظم به ذكر هذه الأسماء الثلاثة بهذا الترتيب الوارد في الآية؛ فالخلق أولاً وهو تقدير وجود المخلوق ثم بريه وهو إيجاده من العدم ثم جعله بالصورة التي شاءها سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِّمَّ صَوَرْنَاكُم﴾ [الأعراف: ١١]، فالخلق أولاً ثم التصوير، كما أن الخلق أولاً ثم البري، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَفْسَحِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّا قُيلَ إِنَّ نَبَرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والبرية هم الخليقة، وقد خلقهم الله فجعل منهم الكافر ومنهم المؤمن كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنِئُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بِصَيْرٌ﴾ [التغابن: ٢]، فمن كان منهم مؤمناً مطيناً فأولئك خير البرية، ومن كان منهم كافراً مشركاً فأولئك شرُّ البرية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شُرُّ الْبَرِّيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِنْ دَرَبِهِمْ جَثَثٌ عَذَنِ تَجْزِيَّ مِنْ قَبْلِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٦ - ٨].

ولابد من التنبيه هنا إلى أن شرك هؤلاء بتخاذ الأنداد والشركاء مع الله في العبادة مع أن الذي برأهم هو الله وحده أمر في غاية السفه ونهاية الضلال، بل إنه

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/١٠٦).

أعظم الظلم وأكبر الجرم، ولهذا ذمَّ بنى إسرائيل في عبادتهم العجل وجعله شريكاً مع الله، والعجل حيوان بهيم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاًً عن أن يملك شيئاً من ذلك لغيره، وأن عملهم هذا ظلم وأي ظلم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُمْ إِنَّكُمْ طَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِأَنَّحَادِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ فَأَفْلَوْا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقال قبل هذا بأيتين: ﴿ثُمَّ أَنْهَدْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥١]، فالشر لك أشنع الظلم وأفظعه إذ كيف يسوى المخلوق الناقص بمن أوجد الخليقة وبرأ النسم سبحان الله عما يشركون.

قال ابن كثير رحمه الله: «وفي قوله تعالى هنا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾ تنبية إلى عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره»<sup>(١)</sup>.

فكونه سبحانه البارئ وحده برهان جلي على وجوب توحيده وإفراده بالعبادة، وكذلك كونه سبحانه المصور وحده برهان على وجوب توحيده وإخلاص الدين له.

قال الله تعالى: ﴿أَللّٰهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ هُوَ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُ عُوْهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ يَحْمُدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤ - ٦٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

(١) «تفسير ابن كثير» (١/١٣٠).

ولهذا حَرَم سُبْحَانَه عَلَى عِبَادِه تَصْوِيرَ ذُوَاتِ الْأَرْوَاح لِمَا فِيهِ مِن مُضاهَاة لِخَلْقِ اللَّهِ، وَمَا فِيهِ مِن فَتْحٍ لِأَبْوَابِ الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ.

ففي «الصحيحيْن» عن عبد الله بن مسعود جَلَّ لِهُنَفِعُهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أَشَدَ النَّاسَ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ»<sup>(١)</sup>. وفيهما عن عائشة حَمَلَتْهُنَّا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَشَدُ النَّاسَ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وفيها من حديث أبي هريرة: «يقول رب سُبْحَانَه: «وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى خَلْقِي، فَلَيَخْلُقُوا ذَرْةً، أَوْ لَيَخْلُقُوا حَبْةً، أَوْ لَيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»<sup>(٣)</sup>. وفيها من حديث عبد الله بن عمر حَمَلَتْهُنَّا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يَعْذَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقَالُ لَهُمْ أَحْيِوْا مَا خَلَقْتُمْ»<sup>(٤)</sup>. وفي هذا الحديث الأخير بيان لصفة تعذيب المصور يوم القيمة بأنه يكلف نفخ الروح في الصورة التي صورها وهو لا يقدر على ذلك فيستمر تعذيبه.

ثم إن هذه الأسماء الثلاثة تنقسم إلى قسمين: فالبارئ اسم مختص بالله عَزَّوجَلَّ فلا يجوز أن يطلق على غيره بأي حال لأنّ البرأ - وهو الإيجاد من العدم - أمر مختص به سبحانه فهو الذي برأ الخليقة وأوجدها من العدم، وأمّا الخالق المصوّر فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلّا على رب ك قوله تعالى: ﴿الْخَلِقُ الْبَارِئُ﴾

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ٥٦٠٦)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢١٠٩).

(٢) «صحيح البخاري» (رقم: ٥٦١٠)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢١٠٧).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم: ٥٦٠٩)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢١١١).

(٤) «صحيح البخاري» (رقم: ٥٦٠٧)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢١٠٨).

الْمُصَوِّرُ》， وإن استعملما مقيدين أطلقنا على العبد كما يقال لمن قدر شيئاً: إنه خلقه،  
قال الشاعر:

ولأنك تفري ما خلقت وبـ عرض القوم يخلق ثم لا يفرى

أي لك قدرة تمضي وتنفذ بها ما قدرته، وغيرك يقدر أشياء وهو عاجز عن  
إنفاذها وإمضائها، وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى:

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلِيقَينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] أي: أحسن المصورين والمقدرين، ومن لم  
يدرك هذا التفصيل أخطأ في هذا الباب؛ إما بنفي إطلاق خالق ومصور بهذا  
الاعتبار على المخلوق، أو أن يثبت للمخلوق ما يختص بالله من ذلك وهو تفرده  
سبحانه بخلق وإيجاد جميع هذه المخلوقات دقائقها وجليلها، والله تعالى يقول:  
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَحْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يَحْلُقُونَ ﴾ ١١١ ﴿ وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصَراً وَلَا أَنفَسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾﴾

[الأعراف: ١٩٢ - ١٩١].



## الملك، الملِيك

وقد ورد اسم الملك في القرآن الكريم في خمسة مواضع منها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِيكُ الْقَدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِيكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وورد اسم الملِيك في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّتِ وَهَرَبِ﴾ ٥٤  
 في مَقْعَدِ صَدِيقٍ عَنْدَ مَلِيكٍ مُّقَنِّدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وهذا النص دالٌّ على أنَّ الله سبحانه وتعالى ذو الملك، أي الملك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، والملك يرجع إلى أمور ثلاثة:

الأول: ثبوت صفات الملك له التي هي صفات العظيمة من كمال القوّة، والعزّة، والقدرة، والعلم المحيط، والحكمة الواسعة، ونفوذ المشيئة، وكمال التصرف، وكمال الرأفة والرحمة، والحكم العام للعالم العلوي والسفلي، والحكم العام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ أَسْمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقال تعالى: ﴿الْمَلِيكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِرَحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمَلِيكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدَةُ الْفَهَارِ﴾ [غافر: ١٦].

الثاني: أنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مَالِيْكُهُ وَعَبِيْدُهُ، وَمُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ، وَمُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ فِي  
جَمِيعِ شَوْنَهُمْ، لَيْسَ لِأَحَدٍ خَرُوجٌ عَنْ مُلْكِهِ، وَلَا لِخَلْقٍ غَنِيًّا عَنْ إِيجَادِهِ وَإِمْدادِهِ،  
وَنَفْعُهُ وَدَفْعُهُ، وَمِنْهُ وَعْطَائُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَبَارَكَ اللَّهُوَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا  
وَعَنْهُ أَنْتُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزُّخْرُف: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُ  
الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٥ [إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِيْكُمْ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ١٦] وَمَا ذَلِكَ  
عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِهِ ١٧ [فاطِر: ١٥ - ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانُوا مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحِيلُّ رِزْقَهَا اللَّهُ  
يَرْزُقُهَا وَإِيْكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الْعَنكَبُوت: ٦٠].

الثالث: أنَّ لِهِ التَّدْبِيرَاتِ النَّافِذَةِ، يَقْضِيُ فِي مُلْكِهِ بِمَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ فِيهِ بِمَا يَرِيدُ،  
لَا رَادٌّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مَعْقُبٌ لِحَكْمِهِ، لِهِ الْحُكْمُ فِيهِ تَقْدِيرًا وَشَرْعًا وَجَزَاءً.

١- فَلِهِ الْأَحْكَامُ الْقَدِيرَةُ حِيثُ جَرَتِ الْأَقْدَارُ كُلُّهَا وَالْإِيجَادُ وَالْإِعْدَادُ،  
وَالْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ عَلَى مَقْتضَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ.

٢- وَلِهِ الْأَحْكَامُ الشَّرِيعَةُ حِيثُ أَرْسَلَ رَسْلَهُ، وَأَنْزَلَ كَتْبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ،  
وَخَلَقَ الْخَلْقَ لِهَذَا الْحُكْمِ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَمْشُوا عَلَى حُكْمِهِ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ  
وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مُجاوِزَةِ هَذَا الْحُكْمِ الشَّرِيعِيِّ.

٣- وَلِهِ الْأَحْكَامُ الْجَزَائِيَّةُ وَهِيَ الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا فِي الدُّنْيَا  
وَالآخِرَةِ وِإِثَابَةِ الطَّائِعِينَ، وَعِقَوبَةِ الْعَاصِينَ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَحْكَامِ تَابِعَةٌ لِعَدْلِهِ  
وَحُكْمِتَهُ وَكُلُّهَا مِنْ مَعْنَى مُلْكِهِ.

وَمِنْ مَعْنَى مُلْكِهِ: إِنْزَالُ كَتْبِهِ، وَإِرْسَالُ رَسْلَهُ، وَهُدَايَةُ الْعَالَمِينَ، وَإِرْشَادُ  
الضَّالِّينَ، وَإِقَامَةُ الْحَجَةِ وَالْمُعْذِرَةِ عَلَى الْمَعْنَدِينَ الْمَكَابِرِينَ، وَوَضْعُ الثَّوَابِ وَالْعَقَابِ

مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها إلى غير ذلك من التدبير والتصرف في مملكته بها شاء سبحانه.

قال ابن القيم رحمه الله: «إن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام والإهانة، والإثابة والعقوبة، والغضب والرضا، والتولية والعزل، وإعزاز من يليق به العز، وإذلال من يليق به الذل، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ شَاءَ وَتُعِزُّ مَنْ شَاءَ وَتُذَلِّلُ مَنْ شَاءَ بِسِدْكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِّي الْأَيْلَلَ فِي النَّهَارِ وَتُنْوِلِّي النَّهَارَ فِي الظَّلَلِ وَتُخْرِجُ الْحَمَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْأَعْيُّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويكشف غمًا، وينصر مظلومًا، ويأخذ ظالماً، ويفك عانياً، ويغني فقيراً، ويُجبر كسيراً، ويشفى مريضاً، ويقيل عشرة، ويستر عورة، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزاً، ويعطي سائلاً، ويذهب بدولته، ويأتي بأخرى، ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقفها فلا يتقدم شيء منها ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه، وجرى به تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم، تام الملك، لا ينافيه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في المملكة دائرة بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرحمة، فلا يخرج تصرفه عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد تكرر في القرآن الكريم بيان أن تفرد الله بالملك لا شريك له دليل

(١) «طريق الهجرتين» (ص ١١٥-١١٦).

ظاهر على وجوب إفراده وحده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَلَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ نُصَرَّفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعْلَمَ أَلَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وأنَّ عبادة من سواه من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا حيَاةً ولا موتاً ولا نشورًا أصل الصالٰ وأبطل الباطل، وقد ورد في القرآن آيات عديدة تقرر هذه الحقيقة وتجلي هذا الأمر.

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْذُوا مِنْ دُونِهِ مَا لَهُ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمَّى ذَلِكُمْ أَلَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمَيْرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنِيبُنَّكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤ - ١٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الْأَضْرَارِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الْأَسْمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ هُنْمٌ مِنْ ظَاهِرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، أي: لا يملك مثقال ذرة استقلالاً، ولا يملكه على وجه المشاركة، ولا يملك الإنسان في

هذه الحياة شيئاً إلا بتمليك الله له، قال تعالى: ﴿قُلْ أَللَّهُمَّ مَنِيكَ الْمَلَكُ تُؤْتِي الْمَلَكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلَكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُبَرِّئُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذْلِلُ مَنْ تَشَاءُ يَسِدِّكَ الْغَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَوْزٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ومن لا يملك في هذا الكون ولا مثقال ذرة لا يجوز أن يُصرف له شيء من العبادة، إذ العبادة حق للملك العظيم والخالق الجليل والرب المدبر لهذا الكون لا شريك له عز شأنه وعظم سلطانه وتعالى جده ولا إله غيره.



## الرَّازِقُ، الرَّازِقُ

وقد ورد اسم الله «الرَّازِقُ» في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْفَوْءَةِ الْمَيِّنَ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أَنْشَاءٍ لَهُمُ الْخَيْرُ الْرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْزَقْنَا وَلَكُمْ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

وورد اسم «الرَّازِقُ» في السنة النبوية، ففي «السنن» و«مسند الإمام أحمد» عن أنس بن مالك حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: «غلا السُّعْدُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ سَعَرَتْ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ الْمَسْعُرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ بِمُظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِيَّاهُ فِي دِمٍ وَلَا مَالٍ»<sup>(١)</sup>.

فالله سبحانه هو الرَّازِقُ أي: المتكفل بأرزاق العباد، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَائِقٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ دَائِقِينَ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّمَا كُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْمُطُ

(١) «سنن أبي داود» (رقم: ٣٤٥١)، والترمذى (رقم: ١٣١٤)، وابن ماجه (رقم: ٢٢٠٠)، و«مسند أحمد» (١٥٦/٣) وغيرهم بإسناد صحيح.

الْرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿الإِسْرَاءٌ: ٣٠﴾.

هذا؛ وقد ذُكِر سبحانه وتعالى عباده في مواضع عديدة من القرآن الكريم أنه هو وحده رازقهم المتکفل بأقواتهم وأرزاقهم، وقد جاء التذكير بهذا في القرآن في مقامين: مقام التفضل والامتنان، ومقام الدعوة إلى الطاعة والخير والإحسان.

فمن أمثلة الأول قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَرْوَاحًا وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَيْنَ وَهْدَةً وَرِزْقَكُم مِنَ الظَّيْبَاتِ أَفِي الْبَطْلِيْلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَمَنَا بَنِي آدَمَ وَجَلَّتْهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الظَّيْبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَقْضِيَّاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصَوَرَكُمْ فَلَأَخْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الظَّيْبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وأما الأمثلة على الثاني فإنَّ القرآن الكريم يكثر فيه تذكير الله عباده بذلك في مقام أمرهم بالعبادة وأنواع الطاعة، ومن ذلك قوله تعالى في أمره لهم بالتوحيد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ ﴿١٥﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمَاءِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْنَبُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وقوله تعالى في إبطال الشرك: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ مَيَسَرَ كُمْ هَذِهِ مِنْ شُرَكَاءِكُمْ مَنْ يَقْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْتَهُنَّهُ وَتَعْلَمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

الْسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ [فاطر: ٣].

وقوله تعالى في الأمر بالإنفاق في سبيله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَعْلَمُ فِيهِ وَلَا حُلَمٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى في الأمر بالشكرا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَآشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيمَانًا تَبْدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقوله تعالى في النهي عن قتل الأولاد خوف الفقر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَئِكُمْ خَشْيَةً إِلَّا لِتَرْفُقُهُمْ وَإِنَّا كُنُّ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقوله تعالى في بيان أثر لزوم تقواه: ﴿وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَغْرِبًا ﴿١﴾ وَرِزْقًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وقوله تعالى في ثواب الإيمان والعمل الصالح: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا أَصْنَلَهُنَّ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج: ٥٠].

وقوله تعالى في ذم من قال عليه بلا علم في باب الحلال والحرام: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظِّبَابَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَالَهُ أَذْنُكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ قَنْتُرُونَ﴾ [يوحنا: ٥٩].

وقوله تعالى في الحث على السعي في طلب الرزق الحلال: ﴿فَامْشُوا فِي مَا كَيْبَأَهَا وَلَا كُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْشُّورُ﴾ [الملك: ١٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً. ورزق الله لعباده نوعان:

الأول: رزق عام يشمل البر والفاجر، المؤمن والكافر، والأولين والآخرين،

وهو رزق الأبدان ﴿وَمَا مِنْ دَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رُزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ولا يعني رزقه سبحانه للكافر توسيعه عليه بالأموال والأولاد ونحو ذلك رضاه عنه فإنه سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ حَنَّ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا حَنَّ بِمَعْدِيْنَ ﴾ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تَفَرِّجُكُمْ عَنْ دُرْقِي إِلَّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُولَئِكَ هُمْ جَزَاءُ الْأَصْعَفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغَرْفَةِ إِمَامُونَ﴾ [سبأ: ٣٧ - ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُنَذِّهُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَنِ ﴾ ﴿٦٠﴾ نُسَاجِعُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالى: ﴿كُلَّا نِيدَهُ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ﴿٦١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلآخرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَقْضِيَّاً﴾ [الإسراء: ٢١ - ٢٠].

وليس كثرة العطاء في الدنيا دليلاً على كرامة العبد عند الله، كما أن قوله ليس دليلاً على هوانه عنده، قال تعالى: ﴿فَامَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبَّنِي أَكْرَمَنِ ﴾ ﴿٦٢﴾ وَامَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَنِ ﴾ ﴿٦٣﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧]، أي: ليس كُلُّ من نعمته في الدنيا فهو كريم عليٍّ، ولا كل من قدرتُ عليه رزقه فهو مهان لディ، وإنما الغنى والفقير والسعنة والضيق، ابتلاء من الله، وامتحان، ليعلم الشاكرون من الكافر والصابر من الجازع.

النوع الثاني: رزق خاص، وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان والرزق الحال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته، ويتم سبحانه كرامته لهم، ومنه عليهم بإدخالهم يوم القيمة جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَلِحًا يُدْخِلَهُ

جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَعْرِيقَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿الطلاق: ١١﴾، وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُسْتَقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ ﴾٤٦﴿ جَنَّتِ عَدْنِ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾٤٧﴿ مُتَّكِّئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِنَكِيرَهُ كَثِيرَهُ وَشَرَابٍ ﴾٤٨﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَنَ الْأَطْرَافِ أَزْرَابٌ ﴾٤٩﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لَيَوْمَ الْحُسَابِ ﴾٥٠﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا اللَّهُ مِنْ شَفَادٍ ﴾ [ص: ٥٣ - ٥٤].

وقد حذر سبحانه عباده من الانشغال برزق الدّنيا الفاني عن رزق الآخرة البالقي فقال سبحانه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِاقِ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾٥١﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾٥٢﴿ [الأعلى: ١٦ - ١٧]، والعاقل لا يشغله رزق الدّنيا وإن كثر عن الغاية التي خلق لأجلها وأوجد لتحقيقها وهي عبادة الله وإخلاص الدين له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾٥٣﴿ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾٥٤﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ دُوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥ - ٥٨]، بل يجعل ذلك سبيلاً لنيل رضا الله وبلوغ جنات النعيم ﴿جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ، بِالْعَيْنِ إِنَّهُ، كَانَ وَعْدُهُ، مَأْتِيًا ﴾٥٥﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا إِلَّا سَلَامًا وَلَمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيشًا ﴾٥٦﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُرِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦١ - ٦٣].

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَقِينَ، وَأَوْرَثَنَا بِمِنْهُ وَكَرَمِهِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ إِنَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى سَمِيعٌ مُحِيبٌ.



## الْأَحَدُ، الْوَاحِدُ

أَمَّا اسمه تبارك «الْأَحَدُ» فقد ورد في موضع واحد من القرآن في سورة الإخلاص:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، وهي السورة العظيمة التي ورد في السنة عن النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن لكونها أخلصت لبيان أسماء الرب الحسنى وصفاته العظيمة العليا، وأما اسمه الواحد فقد تكرر مجئه في مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُنْ لِلَّهِ إِلَّا هُوَ أَرَحَمُ الرَّحِيمِ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مُتَّقِرٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَمْلَكَتِ النَّجَارِ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا هُوَ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وهما اسمان دالان على أحديه الله ووحدانيته، أي أنه سبحانه هو المفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته لا شبيه له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير، وواحد في ألوهيته فليس له ندى في المحبة والتعظيم والذل والخضوع، وهو الواحد الذي عظمت صفاتة حتى تفرد بكل كمال، وتغدر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئاً من نعوتة، فضلاً عن أن يماطله أحد في شيء منها.

وقد كان تكرّر ورود اسم الله الواحد في القرآن الكريم في مقامات متعددة في سياق تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.

فقال سبحانه في تقرير الوحدانية ووجوب إخلاص الدين له: ﴿وَإِنَّهُ كُلُّ إِلَهٍ  
وَحْدَةٌ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِّرٌ  
وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَحْدَةُ  
الْفَهَارُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوْحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ  
الْمَسَرِقِ﴾ [الصفات: ٤ - ٥]، وقال سبحانه في بيان أن هذه الوحدانية هي خلاصة دعوة الرسل وزبدة رسالتهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَةٌ فَهُمْ  
أَنَّمَاءُ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنياء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثْلُكُرٌ يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا  
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَةٌ فَاسْتَقِمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ وَوَلِّ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

وقال تعالى في سياق الدعوة إلى الإسلام الله والاستسلام لعظمته والخضوع لجنباه: ﴿فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ إِلَهٌ وَحْدَةٌ فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَيَشِّرِّقُ الْمُحْتَبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ  
إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَةٌ فَهُمْ أَنَّمَاءُ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنياء: ١٠٨]، وقال  
تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا وَإِنَّهُمْ وَحْدَةٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى في تنزيه  
نفسه عما ادعى في حقه من اتخاذ الولد وأنه ثالث ثلاثة تنزه وتقديس عن ذلك فقال:  
﴿لَوْزَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا صَطْفَنِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحْدَةُ الْفَهَارُ﴾  
[الزمر: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ [النساء: ١٧١]،  
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا كَانَ مِنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾  
[المائدة: ٧٣]، وقال تعالى في إبطال عقائد المشركين: ﴿قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ  
يَعْلَمُ بَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنْ أَيْنَكُمْ لَشَهَدُونَ أَنَّهُ  
مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخْرَى قُلْ

لَا أَشْهُدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخُذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَإِنَّمَا فَارَّهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿أَرَبَابُ مُتَقْرِفُونَ حَسْرٌ أَمِّ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال تعالى في مقام بيان عظمته وكمال ملكه وخصوص الخلائق له يوم القيمة: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالْأَسْمَاءُ كُلُّهُنَّ وَبَرِزُونَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

هذا وقد أفاد هذان الاسمان: «الواحد» «الأحد» توحيد الرب سبحانه بجميع الكلمات بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وأن الواجب على العباد توحيد عقداً وقولاً وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية ويفردوه بأنواع العبادة، ويمكن تلخيص دلالات هذين الاسمين في النقاط التالية:

١- نفي المثل والنذر والكافر من جميع الوجوه، فهو تبارك وتعالى الأحد الذي لا مثيل له ولا نظير، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسْمَى مِنْ أَنْ يُبَصِّرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢- بطلان التكليف، وهو خوض الإنسان بعقله القاصر محاولاً معرفة كيفية صفات الرب سبحانه وهذا محال؛ لأنَّ الربَّ سبحانه متعدد بصفات الكمال متفرد بنعوت الع神性 والجلال فلا يشركه فيها مشارك وليس له فيها شبيه أو مثيل، فأنى للعقول أن تعرف كنه صفاته سبحانه، بل كل ما يخطر بالبال من الكمال فالله أعظم من ذلك وأجلّ.

- ٣- إثبات جميع صفات الكمال بحيث لا يفوته منها صفة ولا نعت دال على الجلال والجمال لتفريده جل وعز بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.
- ٤- أنَّ له من كُلِّ صفة من تملك الصفات أعظمها وغایتها ومتهاها ﴿وَأَنَّ إِلَيْكَ الْمُنْهَى﴾ [النجم: ٤٢]، فله من السمع أكمله ومن البصر أكمله ومن كل صفة أكمل وصف وأتمه كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَهُ الْمَثُلُ أَلَاَعْلَى﴾ [التحل: ٦٠].
- ٥- تنزيهه سبحانه عن النعائص والعيوب إذ هي تلحق أوصاف المخلوقين، أما الأحد سبحانه فقد تفرد بالكمال والعظمة والجلال بلا شبيه ولا مثال، ولهذا قال تعالى في تنزيهه نفسه عن الولد: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].
- ٦- وجوب الإقرار بتفرده سبحانه بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله واعتقاد ذلك في القلب، وهذا هو التوحيد العلمي.
- ٧- وجوب إفراده سبحانه وحده بالعبادة وإخلاص الدين له، وأنَّ تفرده سبحانه وحده بالخلق والرزق والعطاء والمنع والخفض والرفع والإحياء والإماتة يوجب أن يفرد وحده بالعبادة، وهذا هو التوحيد العملي.
- ٨- الرد على المشركين وجميع صنوف المبطلين من لم يقدروا الله حق قدره، ولم يقروا له بتفرده وكما له فاتخذوا معه الشركاء وضرروا له الأمثال وظنوا به ظن السوء وانتقصوا جناب الربوبية وناقضوا مقصود الخلق وهو التوحيد وإنفراد الله بالذل والخضوع وسائر أنواع العبودية فاشمأزت قلوبهم من التوحيد، ونفرت نفوسهم من الحق والهدى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا

ذَكَرَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدَبِنِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ يَأْنَهُ  
إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرُتُمْ وَإِن يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحَكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

رزقنا الله تحقيق توحيده، وحسن الإيمان بتفريده ووحدانيته؛ إنه سميع مجيب.



## الصَّمْد

وقد ورد هذا الاسم في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ أَللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص]، وهي السورة التي أخبر النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، ففي «صحيف البخاري»<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أي عجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟! فشق ذلك عليهم وقالوا: أينما يُطيق ذلك يا رسول الله؟! فقال: الله الواحد الصَّمد ثلث القرآن».

و«الصَّمد» معناه: السيد العظيم الذي قد كمل في علمه وحكمته وحلمه وقدرته وعزته وعظمته وجميع صفاته، فهو واسع الصفات عظيمها، الذي صمدت إليه جميع المخلوقات، وقصدته كل الكائنات بأسرها في جميع شؤونها، فليس لها رب سواه، ولا مقصود غيره تقصده وتلجأ إليه في إصلاح أمورها الدينية، وفي إصلاح أمورها الدنيوية، تقصده عند النوائب والمزعجات، وتضرع إليه إذا أصابتها الشدائد والكربات، وتستغيث به إذا مسّتها المصاعب والمشقات؛ لأنها تعلم أن عنده حاجاتها، ولديه تفريح كرباتها، لكمال علمه، وسعة رحمته ورأفته وحنانه، وعظيم

(١) (رقم: ٤٧٢٧).

قدرته وعزته وسلطانه.

روى ابن جرير الطبرى في «تفسيره»<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرْفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حَلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غَنَانِهِ، وَالْجَبَارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبْرُوْتَهِ، وَالْعَالَمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرْفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ، هَذِهِ صَفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ». .

وهو يفيد أن هذا الاسم العظيم من جملة أسماء الله الحسنى الدالة على عدة صفات لا على معنى مفرد، ففيه الدلالة على كثرة صفات الله وعظمتها وكماها.

قال ابن القيم رحمه الله: «الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَهُنَّا كَانَتِ الْأَرْبَابُ تُسَمَّى أَشْرَافُهُ بِهَذَا الْإِسْمِ، لِكَثْرَةِ الصَّفَاتِ الْمُحْمُودَةِ فِي الْمُسَمَّى بِهِ، قَالَ شَاعِرُهُمْ:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِيْ بْنِيْ أَسَدْ      بِعَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

فإن الصَّمَدُ من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة، وذلك لكثره خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له، وهذا قال جمهور السلف، منهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: الصَّمَدُ: الَّذِي قَدْ كَمُلَ سُؤْدَدِهِ، فَهُوَ الْعَالَمُ الَّذِي كَمُلَ عِلْمُهُ، الْقَادِرُ الَّذِي كَمَلَتْ قَدْرَتُهُ، الْحَكِيمُ الَّذِي كَمَلَ حِكْمَتَهُ، الرَّحِيمُ الَّذِي كَمَلَتْ رَحْمَتُهُ، الْجَوَادُ

---

(١) ٢٤ / ٧٣٦ - ط. التركي). وعزاه السيوطي في «الدر المنشور» (١٥ / ٧٨٠) له ولا ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

الذى كمل جوده»<sup>(١)</sup>.

وبيَّنَ رَحْمَةَ اللَّهِ أَنَّ اشتقاقه يدل على هذا؛ فإنه من الجمع والقصد، فهو الذي اجتمع القصد نحوه، واجتمعت فيه صفات السُّؤدد، وهذا أصله في اللغة، والعرب تسمى أشرافها بالصمد لاجتماع قصد القاصدين إليه واجتماع السيادة فيه<sup>(٢)</sup>.

ولأجل ذا تنوَّع عبارات السلف في تفسير هذا الاسم، فمنهم من قال: الصمد: هو الذي ليس بأجوف ولا يأكل ولا يشرب، ومنهم من قال: هو الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهن ومسائلهم، ومنهم من قال: هو الذي لا يخرج منه شيء، أي: لا يخرج منه عين من الأعيان فلا يلد، ومنهم من قال: هو السيد الذي انتهى سُؤدده، ومنهم من قال: هو الذي لا أحد فوقه.

وقد أورد جميع هذه الأقوال ابن جرير الطبرى في «تفسيره»<sup>(٣)</sup>، وذكر من قال بها من أئمَّة السلف رحمهم الله، وأوردها كذلك الحافظ ابن كثير في «تفسيره»<sup>(٤)</sup> وغيرهما من المفسرين، وكل ذلك حق؛ لأن هذا الاسم دال على جملة أوصاف عديدة لا على معنى مفرد، كما سبق بيان ذلك.

ولهذا نقل الحافظ ابن كثير، عن أبي القاسم الطبراني في كتاب «السنَّة» له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد أنه قال: «وكل هذه صحيحة، وهي من صفات ربِّنا عَزَّوجَلَّ، وهو الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي انتهى سُؤدده».

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/٢٥٠).

(٢) «فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسني» (ص/٢١ - ٢٢).

(٣) (٧٣٧ - ٧٣١) / ٢٤.

(٤) (٨/٥٤٨).

وهو الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه»<sup>(١)</sup>.

وقال البغوي رحمه الله: «والأولى أن يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه؛ لأنَّه محتمل له، فعلى هذا يقتضي أن لا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى، العظيم القادر على كل شيء، وأنَّه اسم خاص بالله تعالى انفرد به، له الأسماء الحسنى والصفات العليا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم، وعلى الشيء المصمت الذي لا جوف له...، فالله تعالى هو السيد الذي وحده الملجأ عند الشدائيد وال حاجات، وهو الذي تنزَّه وتقديس عن صفات المخلوقين كأكل الطعام ونحوه سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرا»<sup>(٣)</sup>.

وإذا علم العبد اتصف ربه بهذا الكمال والجلال، وأنَّه سبحانه لا شيء فوقه، ولا شيء يعجزه، وأنَّه سبحانه مفرغُ الخلائق ومملجؤُها، فلا ملجاً ولا منجاً منه إلَّا إليه، وإلَّا وحده المفتر، وهو وحده الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها ومسائلها ورغباتها؛ وجب عليه أن لا يلجأ إلَّا إليه، ولا يطلب حاجته إلَّا منه، ولا يصرف عبادته إلَّا له، ولا تكون استعانته إلَّا به، ولا يكون توكله إلَّا عليه ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ  
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الْسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئَلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَيْلَأَ مَا  
تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) نفسه.

(٢) «معالم التنزيل» (٧/٣٢١).

(٣) «أضواء البيان» (٢/١٨٧).

## الهادي

وقد ذكر الله هذا الاسم في موضعين من القرآن، وهما: قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ  
اللَّهَ لَهَادِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الحج: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا  
وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

و«الهادي»: هو الذي يهدي عباده ويرشدهم ويديهم إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم، وهو الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته إلى طاعته ورضاه، وهو الذي بهدايته اهتدى الحيوان لما يصلحه واتقى ما يضره.

فالله هو الذي خلق المخلوقات وهدتها ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٦) وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢ - ٣]، فهداها الهداية العامة لصالحها، وجعلها مهيئةً لما خلقت له، وهدى هداية البيان، فأنزل الكتب وأرسل الرسل، وشرع الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وبين أصول الدين وفروعه، وهدى وبين الصراط المستقيم الموصل إلى رضوانه وثوابه، ووضّح الطرق الأخرى ليحذرها العباد، وهدى عباده المؤمنين هداية التوفيق للإيمان والطاعة، وهداهم إلى منازلهم في الجنة كما هداهم في الدنيا إلى سلوك أسبابها وطرقها، فقوله: ﴿الَّذِي قَدَرَ فَهَدَى﴾ يتناول جميع هذه الأنواع من الهداية.

قال ابن عطية في «تفسيره»<sup>(١)</sup>: «وقوله: ﴿فَهَدَى﴾ عام لجميل المدائح في الإنسان والحيوان، وقد خصص بعض المفسرين أشياء من المدائح فقال الفراء: معناه: هدى وأصلّ، واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى، قال: وقال مقاتل والكلبي: هدى الحيوان إلى وطء الذكور الإناث، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مصّ الثدي، وقال مجاهد: هدى الناس إلى الخير والشر، والبهائم للمراتع، قال: وهذه الأقوال مثالات، والعموم في الآية أصوب في كُل تقدير وفي كُل هداية...». وقد قوَّى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تقرير ابن عطية وأيده فقال: «والأقوال الصحيحة هي من باب المثالات، كما قال ابن عطية، وهكذا كثير من تفسير السلف، يذكرون من النوع مثلاً لينبهوا به على غيره أو لحاجة المستمع إلى معرفته، أو لكونه هو الذي يعرفه»<sup>(٢)</sup>.

وهاهنا وقفة لبيان أنواع المداية المضافة إلى الرب سبحانه ويتناولها اسمه جل وعلا «المادي».

**أولاً:** المداية العامة: وهي هداية كُل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمه، وهي هداية شاملة للحيوان كله ناطقة وبهيمه، طيره ودوابه، فصيحه وأعجمه، ومن ذلكم هدايته سبحانه الحيوان البهيم إلى إيقام الثدي عند خروجه من بطن أمّه، وإلى معرفته بأمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت، وإلى قصد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه، ومن ذلكم هداية الطير والوحش والدواب إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان، كهداية النحل إلى سلوك السبل التي فيها مراعيها

(١) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٨ / ٥٩٠ - ٥٩١).

(٢) «الفتاوى» (١٤٧ / ١٦).

على تباينها، ثم عودها من مسافة بعيدة إلى بيتها من الشجر والجبال وما يعرش بنو آدم، وكهداية النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وإن بعدت عليها الطريق، فإذا ظفرت به حملته وساقته في طريق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط ووعورة حتى تصل إلى بيتها، فتخزن فيه أقواتها، وهذا باب واسع، ويكتفي فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَفِيلٍ يَطِيرُ إِلَيْنَا هِيَ أَمْ أُمُّ أَمْلَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا إِلَيْنَا رَجُورٌ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعِيَّاتِنَا صُدِّقَ وَبِكُمْ فِي الظُّلْمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضَلِّلُهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ۳۸ - ۳۹].

ثانياً: هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، وهي حجة الله على خلقه التي لا يُعدُّ أحداً منهم إلَّا بعد إقامتها عليه ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسَرَةٍ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي جَنَاحِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لِيَنَّ السَّخَرِيْنَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَرَى اللَّهَ هَدَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ﴾ [الزمر: ۵۶ - ۵۷]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ۱۷]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُضِلِّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُوْنَ﴾ [التوبه: ۱۱۵]، أي: أنه هداهم هداية البيان والدلالة فلم يهتدوا، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاتهاد.

ثالثاً: هداية التوفيق والإلهام وشرح الصدر لقبول الحق والرضى به، قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَتَّدُ﴾ [الكهف: ۱۷]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَّ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا نَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَتِنَّ﴾ [فاطر: ۸]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَيْهُمْ وَلَا كَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ۲۷۲]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْتَنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَدَهَا﴾ [السجدة: ۱۳]، وقال تعالى:

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

ولذا أمر سبحانه عباده كلَّهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كلَّ يوم وليلة في الصلوات الخمس، وصحَّ في السنة النبوية عن النبي ﷺ دعوات كثيرة فيها سؤال الله الهداية والثبات والصلاح والسداد والتوفيق، وسؤاله الوقاية من الضلال وزين القلوب، وهو أمرٌ بيده سبحانه وحده، يهدي من يشاء، ويصل من يشاء ﴿مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُصْرِلُهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

رابعاً: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيمة، أما الهداية إلى الجنة فقد أخبر الله عزَّوجلَّ عن أهلها أنهم يقولون حين تتمّ عليهم النعمة بدخولها ﴿لَمَحْمُدَ اللَّهُ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِهُنَّدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وأما الهداية إلى النار فيقول سبحانه: ﴿أَخْشِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجُهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴽ٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْمَدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِّمِ﴾ [الصفات: ٢٢ - ٢٣].

إنَّ تفكُّر العبد في هذا الاسم العظيم وتأمله في دلالاته يكشف للعبد عن شدة افتقاره واضطراره إلى ربِّه في كلِّ أحواله وجميع شؤونه الدينية والدنيوية بأن يهديه إلى صالح أمره، وأن يقيه من الانحراف والضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولما كان العبد في كُلَّ حال مفتقرًا إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويدرره؛ من أمور قد أتتها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمور هُدِي إلى أصلها دون تفاصيلها، أو هُدِي إليها من وجه دون وجه، فهو يحتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هدًى، وأمور هو يحتاج إلى أن يحصل له

من الهدایة فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمور هو حالٍ عن اعتقادٍ فيها فهو محتاج إلى الهدایة فيها، وأمور لم يفعلها فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهدایة، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات إلى أنواع الهدایات؛ فرض الله عليه أن يسأله هذه الهدایة في أفضل أحواله، وهي الصلاة مرّات متعدّدة في اليوم والليلة، وقد بيّن أنَّ أهل هذه النعمة مغايرون للمغضوب عليهم اليهود والنصارى الصالين»<sup>(١)</sup>. اهـ كلامه.

اللهم اهدا إلينا صراطًا مستقيماً، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.



---

(١) «بيان الدليل على بطلان التحليل» (ص/٥).

## الوهاب

وهو اسم تكرر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُغْرِي  
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَنَّهُ  
عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةٍ رَبِّكَ الْعَزِيزُ الْوَهَابُ﴾ [ص: ٩]، وقال تعالى في ذكر دعاء نبي الله سليمان  
عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [ص: ٣٥].

**والوهاب:** هو كثير الهمة والمنتهى والعلمية، و«فعال» في كلام العرب للمبالغة، فالله جل وعلا وهاب، يهب لعباده من فضله العظيم، ويواли عليهم النعم، ويوسّع لهم في العطاء، ويحجز لهم في النوال، فجاءت الصفة على «فعال» لكثرة ذلك وتواليه وتنوعه وسعنته، وهو سبحانه بيده خزائن كل شيء وملائكة السماء والأرض ومقاييس الأمور، يتصرف في ملكه كيف شاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، يعطي من يشاء، ويمتنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فهو سبحانه يهب لمن يشاء ما يشاء، ولا تزال هباته على عبده متواتلة، وعطياته له متتالية، في عطاء دائم، وسخاء مستمر، يجود بالنّوال قبل السؤال، من حين وضع النطفة في الرحم، فنعمه وهباته للجنين في بطنه أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه، ورباه بنعمه حتى يبلغ أشدّه، يتقلب في نعم الله ومواهبه مدة

حياته، وإذا كانت حياته على الإيهان والتقوى فهذه أشرف هبة، وإذا توفاه الله على ذلك نال من المواهب أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتّقين، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد ذكر الله ﷺ في القرآن الكريم أنواعاً من هباته، وذكر توجّه أنبيائه والصالحين من عباده إليه في طلبها ونيلها.

فذكر سبحانه من هباته الرّحمة التي من نالها نال سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّنْ رَّحْمَنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّنْ رَّحْمَنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿رَبِّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَنْتَ عِنْدَهُرْ خَرَائِنَ رَّحْمَةَ رَبِّكَ الْعَزِيزُ الْوَهَابُ﴾ [ص: ٩].

وذكر سبحانه من هباته الحكم والملك، قال تعالى: ﴿وَهَبَ لِي رَبِّ حَكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حَكْمًا وَالْحِقْرَى بِالْأَصْنَلِحَى﴾ [الشعراء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَهَبَ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾ [ص: ٣٥].

وذكر سبحانه من هباته الملة على العبد بالزوجة الصالحة، والذرية الطيبة ما يكون به قرّة عين الإنسان، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعْهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [ص: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتْنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلنُّقَيْنِ إِمَاماً﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكَلَّا جَعَلْنَا صَنِيلِحَى﴾ [الأنياء: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحِيَّ وَاصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاؤَدَ شَيْئَنْ نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلَعُ﴾ [ص: ٣٠].

وهذه الهبات المتنوعة بيده سبحانه، فهو المالك لهذا الكون، المتصرف فيه سبحانه كما شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهَا وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذِكْرُ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]، وفي هذا دلالة على أنَّ وجود الولد وصلاحه هبة ربانية، ومنه من الله تعالى، المتفرد بالتصرف والتدبير في هذا الكون لا شريك له، فالامر له سبحانه مِنْ قَبْلٍ ومن بعد، ما شاء كان، وما لم يشاً لم يكن، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو جلٌّ وعلا يعطي من يشاء من خلقه الأولاد، ويمنع من يشاء، وهو العليم القدير.

وقوله: ﴿يَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهَا﴾ أي: يرزقه بناتٍ فقط ليس معهنَّ ذكور، وقوله: ﴿وَيَهْبِطُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذِكْرُ﴾ أي: يرزقه البنين فقط ليس معهم إناث، وقوله: ﴿أَوْ يُزَوْجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّهَا﴾ أي: يجمع لمن شاء الذكور والإإناث في العطاء، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ أي: لا يولد له أصلًا.

فقسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام: منهم مَنْ يُعطيه البنات، ومنهم مَنْ يُعطيه البنين، ومنهم مَنْ يعطيه من النوعين ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيماً لا يُنسلَّ له ولا يولد له.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

متقابلات كلها بوزان	والله خالق نوعنا من أربع
وكذلك من أنثى بلا ذكران	ذكر وأنثى والذى هو ضدّه
هي أربع معلومة التبيان	والعكس أيضاً مثل حوا أمّنا

وَمَنْ مِنَ الْهُنَادِ عَلَيْهِ بِالْوَلْدِ وَأَكْرَمَهُ بِصَلَاحِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِدَ الْوَهَابَ سَبِّحَانَهُ عَلَى  
 إِفْضَالِهِ وَإِنْعَامِهِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ سَبِّحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ  
 لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَيِّدُ الدُّّعَاءِ﴾ [إِبْرَاهِيمٌ: ٣٩].

وَالْحَمْدُ نَفْسَهُ هَبَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى حَمْدٍ، رَوَى ابْنُ أَبِي الدِّنَّى فِي كِتَابِ «الشَّكْرٍ»<sup>(١)</sup> عَنْ  
 بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ قَالَ: «مَا قَالَ عَبْدُ قَطْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا وَجَبَتْ عَلَيْهِ نَعْمَةٌ بِقَوْلِهِ:  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَمَا جَزَاءُ تَلْكَ النَّعْمَةِ؟ جَزَاؤُهَا أَنْ يَقُولَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَجَاءَتْ أُخْرَى، وَلَا  
 تَنْفَدِ نَعْمَةُ اللَّهِ عَنْ قَوْلِهِ».  
 وَلَذَا قَالَ الشَّافِعِي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُؤْدِي شَكْرَ نَعْمَةٍ مِنْ نَعْمَةٍ إِلَّا  
 بِنَعْمَةٍ حَادِثَةٍ تَوْجِبُ شَكْرَهُ عَلَيْهَا».

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارِكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيُرِضِي، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ وَلَا  
 يَبْيَدُ وَلَا يَفْنِي عَدْدُ مَا حَمَدَ الْحَامِدُونَ، لَهُ الْحَمْدُ شَكْرًا، وَلِهِ الْمَنْ فَضْلًا، بِيَدِهِ الْأَمْرُ فِي  
 الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.




---

(١) (رقم: ٧٩٩).

## الفتاح

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمِعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سباء: ٢٦]،  
وقال تعالى: ﴿وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبِّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنَّا  
خَيْرُ الْفَتَّاحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومعنى هذا الاسم: أي: الذي يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي فيهم بما يريده، ويمنّ على من يشاء منهم بما يشاء، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه وأمره،  
قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

قال ابن القيم رحمه الله في «نوينته» في بيان هذا الاسم وإيضاح مدلوله ومعناه:

وكذلك الفتاح من أسمائه	والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكمٍ وهو شرع إلهنا	والفتح بالأقدار فتح ثان
والربُّ فتاح بذين كليهما	عدلاً وإحساناً من الرحمن

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في شرحه لهذه الأبيات: «فالفتاح هو الحكم المحسن الجoward، وفتحه تعالى قسمان: أحدهما: فتحه بحكمه الديني وحكمه

الجزائى، والثانى: الفتاح بحكمه القدرى، ففتحه بحكمه الدينى هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون ويستقيمون به على الصراط المستقيم، وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفتهم وبين أوليائه وأعدائهم، بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوبتهم، وكذلك فتحه يوم القيمة وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله.

وأما فتحه القدرى فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزَيزُ الْحَكَمِ﴾ [فاطر: ٢]، فالرب تعالى هو الفتاح العليم، الذى يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله<sup>(١)</sup>.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «للفتح معنian: الأول: يرجع إلى معنى الحكم الذى يفتح بين عباده، ويحكم بينهم بشرعه ويحكم بينهم بإثابة الطائعين وعقوبة العاصين في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا إِلَيْهِ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيُّ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا إِلَيْهِ وَأَنَّ حَيْرَ الْفَتَّاهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

فالآلية الأولى: فتحه بين العباد يوم القيمة، وهذا في الدنيا بأن ينصر الحق وأهله، ويذل الباطل وأهله، ويوقع بهم العقوبات.

المعنى الثانى: فتحه لعباده جميع أبواب الخيرات، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ الآية، يفتح لعباده منافع الدنيا والدين، فيفتح لمن اختصهم

(١) «الحق الواضح المبين» (ص / ٤٤ - ٤٥).

بلطفه وعنايته أقفال القلوب، ويدر عليها من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ما يصلح أحواها وتستقيم به على الصراط المستقيم، وأخص من ذلك أنه يفتح لأرباب محبه والإقبال عليه علوماً ربانية وأحوالاً روحانية وأنواراً ساطعة وفهمًا وأدواتاً صادقة، ويفتح أيضاً لعباده أبواب الأرزاق وطرق الأسباب، ويهيئ للمتقين من الأرزاق وأسبابها ما لا يحتسبون، ويعطي المتوكلين فوق ما يطلبون ويؤملون، ويسير لهم الأمور العسيرة، ويفتح لهم الأبواب المغلقة»<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان رسول الله يتوجّهون إليه بطلب الفتح بينهم وبين أقوامهم فيما حصل بينهم من الخصومة.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: «قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ ﴿١٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِ وَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبَخِيَ وَمَنْ مَعَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾» [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]، وذكر سبحانه من دعاء شعيب عليه السلام: «رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَتَّاحِينَ ﴿٣﴾» [الأعراف: ٨٩]، وقال تعالى: «وَاسْتَفْتَحُوْ وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» [إبراهيم: ١٥]، أي: استنصرت الرسل رجها على قومها، وقيل: استفتحت الأمم على أنفسها، أي: استعجلوا فتح الله وفرقانه بين أوليائه وأعدائه.

قال ابن كثير رحمه الله: «ويحتمل أن يكون هذا مراداً وهذا مراداً»<sup>(٢)</sup>.

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص/٤٨). وتسمية الشيخ رحمه الله كتابه بهذا الاسم فيه مراعاة لهذا المعنى، واستشعار هذه الملة، وقد سبق إلى التسمية بفتح الله عز وجل في العلم بعض العلماء مثل: «فتح الباري» لابن رجب، و«فتح الباري» لابن حجر، و«فتح القدير» للشوكياني، و«فتح المجيد» لعبد الرحمن بن حسن رحم الله الجميع.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٠٣).

وقد استجاب الله دعوات رسله عليهم صلوات الله وسلامه بالفتح بينهم وبين أقوامهم بالحق، فجاء أمره سبحانه بنصر الرسل ﷺ والمؤمنين، وإهلاك أعدائهم من الكفار الظالمين المعذين.

ومن فتحه سبحانه حكمه بين العباد يوم القيمة فيما كانوا فيه مختلفون، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رِبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾، أي: أنه سبحانه يحكم بينهم حكماً يتبيّن به الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، والمستحق للثواب من المستحق للعقاب، وهذا سمي تبارك وتعالى يوم القيمة بيوم الفتح في قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُظْرَفُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]، أي: يوم القيمة الذي يحصل به عقابكم إذا جاء انقضى الأمر ولم يحصل لكم فيه إمهال ولم يكن فيه للتدارك أي مجال.

هذا؛ وإنَّ إيمان العبد بأنَّ رَبَّه سبحانه هو الفتاح يستوجب من العبد حسن توجُّهٍ إلى الله وحده بأن يفتح له أبواب الهدى وأبواب الرزق وأبواب الرحمة، وأن يفتح على قلبه بشرح صدره للخير، قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدَرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوِيلٌ لِّلْفَاسِيَّةِ قُلُّهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

قال القرطبي: «وهذا الفتح والشرح ليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ، ففاز منه الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم الأولياء، ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»<sup>(٢)</sup> عن أبي حميد أو عن أبيأسيد رحمه الله قال: قال رسول

(١) «الأسننى في شرح أسماء الله الحسنى» (١/٢٢٥).

(٢) (رقم: ٧١٣).

الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقلْ: اللَّهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقلْ: اللَّهُمَّ إني أسألك من فضلك».

فالرَّحْمَةُ وَالْفَضْلُ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ يَفْتَحُ بِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَسِّرُهُ لَمَنْ يَشَاءُ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ آثَارِ هَذَا الْاسْمِ وَمَقْتَضِيَاهُ.

وَإِنَا لَنَسْأَلُ اللهَ وَنَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِهَذَا الْاسْمِ الْعَظِيمِ وَنَدْعُوهُ بِأَنَّهُ الْفَتَاحُ وَبِأَنَّهُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ أَنْ يَفْتَحَ عَلَى قُلُوبِنَا بِالْإِيْمَانِ الصَّحِيحِ وَالْاَهْتِدَاءِ الْكَامِلِ وَالْيَقِينِ الرَّاسِخِ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ وَأَبْوَابَ كَرْمِهِ وَمَوَاعِدَ بَرِّهِ وَوَاسِعَ فَضْلِهِ وَنَعْمَهُ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.



## السميع

وهو اسم تكرّر وروده في القرآن فيها يقرب من خمسين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُبَحِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَادُورَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَفَاعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَلِسَمْعِيلَ رَبِّنَا نَقْلَهُ مِنَ أَنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

و«السميع»: هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف اللغات وتفنن الحاجات، قد استوى في سمعه سُرُّ القول وجهره ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفِي بِأَيَّلِ وَسَارِبٍ إِلَى التَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وسع سمعه الأصوات كلها، فلا تختلف عليه الأصوات ولا تشتبه، ولا يشغله منها سمع عن سمع، ولا يغلهه تنوع المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين.

روى الإمام أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؛ لقد جاءت المحادلة إلى النبي ﷺ تكلّمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُبَحِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

**نَحَاوْرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾**<sup>(١)</sup>، وفي رواية قالت: «تبارك الذي وسع سمعه كلّ  
شيء»<sup>(٢)</sup>.

بل لو قام الجنّ والإنس كلّهم من أوّلهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها  
في صعيد واحد، وسألوا الله جمِيعاً في لحظة واحدة، وكلّ عرض حاجته، وكلّ تحدّث  
بلهجهة ولغته لسمعهم أجمعين دون أن يختلط عليه صوت بصوت أو لغة بلغة أو  
حاجة بحاجة، ومن الدلائل على هذا قوله سبحانه في الحديث القديسي: «يا عبادي  
لو أنَّ أولكم وآخركم وإنكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسائلوني، وأعطيتُ  
كلَّ إنسان مسأله ما نقص ذلك ما عندي شيئاً إلَّا كما ينقص المحيط إذا دخل  
البحر»<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصّحيحين»<sup>(٤)</sup> عن أبي موسى الأشعري حَدَّثَنَا قال: «كُنَّا مع النَّبِيِّ ﷺ  
في سفر، فكنا إذا علّونا كُبُرَنا، فقال: إِرْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصْمَّ وَلَا  
غَائِبًا، وَلَكُنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا».

وقوله: «إِرْبَعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ» أي: ارفعوا بأنفسكم فلا تتكلفوها برفع  
أصواتكم، فإنه لا حاجة إلى ذلك، فإنَّ مَنْ تُكَبِّرُونَه سميع بصير يسمع الأصوات  
الخفية كما يسمع الجهرية.

وقد أنكر الله سبحانه ظنَّ من ظنَّ من المشركين أنَّ الله لا يسمع السُّرُّ والنَّجْوَى،

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٤٦)، والنسائي (رقم: ٣٤٦٠)، وابن ماجه (رقم: ١٨٨، ٢٠٦٣)  
بإسناد صحيح.

(٢) كما في الرواية الثانية لابن ماجه.

(٣) طرف من حديث رواه مسلم (رقم: ٢٥٧٧) عن أبي ذر حَدَّثَنَا.

(٤) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٣٨٤)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٢٧٠٤).

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَيَخْوَفُهُمْ بِلَّا وَرُسُلًا لَدِيهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وفي «الصّحيحين»<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اجتمع عند البيت قرشيان وثقفيان وقرشي، كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أنَّ الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عزوجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَأْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَصْنَعُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكُنْ ظَنَنَتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

وفي هذا السّياق المبارك دلالة على أن فساد الاعتقاد فيها يتعلق بصفات الرب وأسمائه يترب عليه فساد الأعمال وانحلال الدين والوقوع في الهلاك والردى والخسران، ولذا قال سبحانه: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُوكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَنُكُمْ فَأَصَبَّهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٣٣]، فـإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَعَاهُمْ مِنَ الْمُعَتَبِينَ [فصلت: ٢٣ - ٢٤].

ثم إن السّمع المضاف إلى الله عزوجل ينقسم إلى قسمين:  
 الأول: سمع يتعلّق بالسموعات، فيكون معناه إدراك الصوت.  
 والثاني: سمع بمعنى الاستجابة، أي: أنه سبحانه يجيب من دعاه، ومنه قوله:  
 ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: «سمع الله لمن حمده»، أي:  
 أجاب، وليس المراد سمعه مجرد سمع فقط.

والسماع الذي بمعنى إدراك الصوت ينقسم إلى ثلاثة أقسام:  
 الأول: ما يقصد به التهديد، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾

(١) «صحیح البخاری» (رقم: ٤٨١٧)، و«صحیح مسلم» (رقم: ٢٧٧٥).

وَبَخْوَتُهُمْ ﴿ [الرَّحْمَن: ٨٠] ، وَقُولُهُ: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

الثاني: ما يقصد به التأييد، كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ إِنِّي مَكِّنْتُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦] ، أراد سبحانه أن يؤيد موسى وهارون بذكر كونه معهما يسمع ويرى.

الثالث: ما يقصد به بيان الإحاطة، كقوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١].

وقد أبطل الله في القرآن شرك المشركين بتوجههم إلى أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى شيئاً، وبين سبحانه أن المستحق للعبادة هو الله السميع البصير الذي له كمال السمع وكمال البصر، وقد ورد هذا المعنى في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ إِشْتِيَّ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَذْتَرَ فِي الْكِتَبِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا ﴿ ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَإِذْ عُهِمُ فَلَيَسْتَجِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿ ١٩١﴾ أَللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْسُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدِي يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذْانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاهُمْ كُمْ كُمْ كَيْدُونَ فَلَا نُنَظِّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٥].

ولبيان العبد بأن ربه سميع يورثه حفظاً للسانه وصيانة لكلامه ومواظبة على ذكر ربه وشكره، والإكثار من مناجاته وسؤاله، ويتوسل إليه بهذا الاسم العظيم أن يحقق رجاءه ويعطيه سؤله، وقد كثر في القرآن توسل الأنبياء إلى الله في دعائهم بهذا

الاسم، ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وقوله هو وإسماعيل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا فَقِيلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وفي دعاء زكرياء أن يرزقه النزية الصالحة قال: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وفي دعاء امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها محراً قالت: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

فأجابهم سبحانه وأجمعين، وقد قال تعالى في سياق ذكر دعاء نبيه يوسف عليه السلام أن يصرف عنه كيد النسوة: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كِيدَهْنَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]، وأمر سبحانه بالاستعاذه به من نزع الشيطان مذكراً عباده بأنه جل وعلا سميع عليم فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].



## البصیر

وهو اسم تكرّر وروده في القرآن الكريم في مواضع تزيد على الأربعين، منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كُمِثْلِهِ، شَنَّءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِأَعْمَابِادٍ﴾ [آل عمران: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يُكْلِ شَجَعَ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يُعَبَّادُهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

و«البصیر» أي: الذي يرى جميع المبصرات، ويبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى مجري الفوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى تبارك وتعالى تقلبات الأجفان، وخيانات العيون.

قال ابن القیم رحمۃ اللہ علیہ: «البصیر: الذي لكمال بصره يرى تفاصیل خلق الذرة الصغيرة وأعضاءها ولحمها ودمها ومخها وعروقها، ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «طريق المجرتين» (ص / ٢٣٤).

ولقد أحسن من قال:

يَا مَنْ يَرِى صَفَّ الْبَعْوَضِ جَنَاحَهُ  
وَيَرِى مَنَاطِ عَرْوَقَهَا فِي نَحْرِهَا  
أُمِنْنَ عَلَيْ بِتُوبَةٍ تَحْوِبُهَا<sup>(١)</sup>

وَمَا يُحِبُّ الْإِيمَانَ بِهِ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَبْصُرُ بَعْيَنِينَ تَلِيقَانَ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ  
سَبِّحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِمُحَكَّرِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيَنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَّلْتَهُ  
عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِّرْ ﴿١٢﴾ تَجْرِي بِأَعْيَنِنَا جَزَاءً لِئَنَّ كَانَ كُفَّرَ﴾ [القمر: ١٣ - ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿وَالْقَيْمَتُ عَلَيْكَ مَحْبَبَةً مَّنِي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ عَيْنِينِ حِينَ وَصَفَ  
الدَّجَالَ الْأَكْبَرَ، وَقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكَمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ» مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>. وَتَنْزِيهُهُ  
سَبِّحَانَهُ عَنِ الْأَعْوَرِ دَلِيلٌ عَلَى ثَبَوتِ الْعَيْنَيْنِ لَهُ سَبِّحَانَهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَبِيلَ بِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ خَزِيمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَحْنُ نَقُولُ: لِرَبِّنَا عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهَا مَا تَحْتَ  
الشَّرِّ وَتَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السَّفْلِيَّةِ، وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ،  
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَّةٌ، فَهُوَ تَعَالَى يَرَى مَا فِي جَوْفِ الْبَحَارِ وَلَجَجَهَا كَمَا يَرَى عَرْشَهُ  
الَّذِي هُوَ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَسْمَاعِ الْعَظِيمِ مَقْتَضِيَاتِهِ مِنَ الذَّلِّ وَالْخُضُوعِ وَدَوْمَ الْمَرَاقِبَةِ  
وَالْإِحْسَانِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْبَعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَمِنْ يَتَأْمِلُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ

(١) أَوْرَدَهَا الْقَرْطَبِيُّ فِي «الْتَذَكْرَةِ» (١/٤٦٤ - ط. دَارُ الْمَهَاجِ).

(٢) «صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ» (رَقْمٌ ٧١٣١)، و«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (رَقْمٌ ٢٩٣٣) مِنْ حَدِيثِ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «كِتَابُ التَّوْحِيدِ» (ص/٥٠).

في القرآن الكريم مختومة بهذا الاسم - وهي تزيد على الأربعين - يتبيّن له ذلك، ولنقف من ذلك على بعض الأمثلة:

ختم جلّ وعلا بهذا الاسم قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْكُلُ اللَّهَ يُولِجُ الْيَتَمَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَتَمِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، وهذا يقتضي سمعه لجميع أصوات ما سكن في الليل والنّهار، وبصره بحركاتهم على اختلاف الأوقات وتباطئ الحالات.

وختم به قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَعَوَا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]، منبهًا بذلك أنّه سبحانه وبحماته بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير بمن يستحقُّ الهدایة من لا يستحقُّها، بصير بمن يصلح حاله بالغنى والمال، وبين يفسد حاله بذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْمُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [الإسراء: ٣٠].

وختم به قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، أي: بصير بالصالح والطالح والمؤمن والكافر، ويجري كلامًا يستحقّ.

وختم به قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي فِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شَتَّمُ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، مهديداً ومتوعّداً من يلحدون في آياته بأنه بصير بهم مطلعاً عليهم، وسيجازيهم يوم القيمة على ما اقترفوه من إلحاد في آيات الله.

وختم به قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَنِّدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَنٍ أَتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِنَلِيغِهِ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]،

أي: السميع لجميع الأصوات على اختلافها، البصير بجميع المرئيات بأي محل ووضع وزمان كانت، ومن ذلكم رؤيته واطلاعه على من يجادل في آياته ليبطلها، وهو أمر لا يتم لهم وليسوا ببالغيه.

وختتم به قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْرِئُ بِالْحُقْقِ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْءًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وفي هذا دلاله على أن العبادة حق للسميع البصير، الذي له كمال السمع وكمال البصر، وأما الأصنام فإن من دلائل بطلان عبادتها أنها لا تسمع ولا تبصر، وهذا قال إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه: ﴿رَبَّتِي لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُغْنِي عَنِكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢].

وختتم به قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْرَاتِ إِلَيَّ أَهْلَهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمَةٌ يَعْظِلُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [ النساء: ٥٨]، وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما؛ لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفي عليه خافية ويعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون. وفي ذلك أيضاً ترغيب في الوفاء بذلك، وترهيب من عدم الوفاء.

وختتم به قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّا نَرَكُوكُمْ وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ حَثَّٰرٍ يَحْدُوُهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]، وهذا فيه وعد منه سبحانه أن لا يضيع عنده شيء من أعمال الخير التي قدموها لأنفسهم، وأنه بصير بهم وسيشيئهم على ذلك عظيم الثواب.

وبهذه الأمثلة يعلم أن استحضار العبد لكون الله سبحانه بصيراً به مطلعاً عليه يفيده فائدة عظيمة في جنبي الترغيب والترهيب، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة، فإذا أحسن العبد في عبادته لربه ومحابيته لمعاصيه مستحضرًا رؤية الله له

واطلاعه عليه، فهذا مقام الإحسان، وهو أعلى مقامات الدين كما قال عليه الصلاة والسلام في بيان حقيقة الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وكم من شخص كف عن مقارفة المعاصي وغشيان الذنوب لاستحضاره رؤية الله له.

قال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: «رأود رجل امرأة في فلالة ليلاً، فأبىت، فقال لها: ما يرانا إِلَّا الكواكب، قالت: فأين مكوكيها؟!»<sup>(١)</sup> أي: ألا يرانا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ بِإِنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وكفى بهذا زاجراً ورادعاً.



---

(١) «شرح كلمة الإخلاص» (ص/٤٩).

## العِلْم

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في أكثر من مائة وخمسين موضعًا، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْفَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ [النساء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَرِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيعُ عَلَمٍ﴾ [البقرة: ١٨١].

أي: الذي أحاط علمه بالظواهر والباطن والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، بالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علها، وأحصى كل شيء عدداً.

وقد جاء في القرآن الكريم بيان واسع عن علم الله ﷺ، وأنه وسع كل شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً.

فذكر سبحانه سعة علمه في آيات، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَقَبَةً كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَمَا إِنْتُمْ كُمُّ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْنَا﴾ [طه: ٩٨].

وذكر سبحانه إحاطة علمه بكل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ رَبِّ إِيمَانٍ تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

وذكر تبارك وتعالى إحاطة علمه بالسّرائر والمعلمات والغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَخْفِي وَمَا نُفِيلُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَمَّا يَأْتِيَنَّ وَمَا يَحْفِظُ الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلِمَ مَا تُوَسِّعُ مِنْ بَطْنِهِ فَقَسَمَهُ وَجَنَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ جَنِّ الْأَوْرَيْدِ﴾ [ق: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَخْذُمُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُشْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَمَ الْغُيُوبِ﴾ [التوبه: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَرَّدُوكُ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنِتَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: ١٠٥].

وذكر سبحانه علمه بما في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيَّبَ الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَسْمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يِمَا يَعْلَمُ شَيْءٌ عَلِيهِ﴾ [الحجرات: ١٦].

وذكر سبحانه اختصاصه بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا

يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي الْأَرْضِ لَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿الأنعام: ٥٩﴾، وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَرَى الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّا ذَا تَكُونُ سِبْطًا غَدَّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ ﴿لقمان: ٣٤﴾، وقال تعالى: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ كُلُّ شَيْءٍ عَنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِمَ الْغَيْثُ وَالشَّهَدَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ ﴿الرعد: ٩-٨﴾.

وللإيمان بهذا الاسم العظيم آثار مباركة على العبد، بل هو أكبر زاجر وأعظم واعظ.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «أجمع العلماء على أنه أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السماء إلى الأرض، وضربوا لذلك مثلا - والله المثل الأعلى - قالوا: لو فرض أن هذا البراح من الأرض فيه ملك قاتل للرجال إن انتهكت حرماته، ذو قوة وعزوة ومنعة، وحوله جيوشه، وحول هذا الملك بناته ونساؤه وجواريه، أيخطر ببال أحد من أولئك الحاضرين مجلس هذا الملك أن يقوم بريته، ولو قيل لأهل بلد: إنَّ أمير ذلك البلد يبيت عالما بكل ما يفعلونه في الليل من الخسائس لباتوا متأدبين.

وهذا خالق السموات والأرض، الملك الجبار، يخبرهم في آيات كتابه، لا تكاد تقلب ورقة واحدة من أوراق المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»، «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَيْرٌ»، «يَعْلَمُ مَا شَرُونَ» [النحل: ١٩]، «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا» [الأنعام: ٥٩]، «وَلَقَدْ خَلَقْنَا أَلْفَنَنَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسِّعُ بِهِ نَفْسُهُ» [ق: ١٦]، «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَخْذُرُوهُ» [البقرة: ٢٣٥]، «وَمَا تَكُونُ فِي شَاءٍ وَمَا تَنْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْمَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْيِضُونَ فِيهِ» [يونس: ٦١].

فينبغي علينا جميعاً أن نعتبر بهذا الزّاجر الأكبر، والواعظ الأعظم، وأن لا ننساه لئلا نهلك أنفسنا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب رضي الله عنه: «أكره رجل امرأة على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، فقال لها: هل بقي باب لم يُغلق؟ قالت: نعم؛ الباب الذي بيننا وبين الله، فلم يتعرّض لها، ورأى بعضهم رجلاً يكلّم امرأةً فقال: إِنَّ اللَّهَ يرَاكُمْ سترنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، فمن تأمل هذا وتدبره كان له فيه أعظم زاجر وأكبر رادع.

قال ابن كثير رضي الله عنه في معنى الآية: «ينبّه تعالى عن علمه التّام للمحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبیرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحیوا من الله حق الحیاء، ويتّقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العین الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصّدور من الضّمائّر والسرائر»<sup>(٣)</sup>.

وكثيراً ما يأتي اسم الله «العليم» في سياق الأفعال وجزئها، ليوقظ القلوب وينبه العباد على أهمية إكمالها وإصلاحها، وليرغبهم ويرهبون، والله وحده الموفق لا رب سواه، ولا إله غيره.



---

(١) «العنبر النمير» /١١ - ٣٣٣ - ٣٣٤/ بتصرف.

(٢) «شرح كلمة الإخلاص» /٤٩/ (ص).

(٣) «تفسير ابن كثير» /٧ - ١٢٧/.

## اللطيف، الخبر

وهما اسماً تكرر ورودهما مجتمعين في عدة آيات من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿لَا تُدِرِّكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدِرِّكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْلَطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَرَ أَبْرَأَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَعْلَمُ فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِذْ أَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيِّرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، وقال تعالى في ذكر وصية لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَنْبُغِي إِلَيْهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيِّرٌ﴾ [لقمان: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْنَاهُ مَا يُشَائِرُ فِي يَوْمٍ كُثُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْمُحْكَمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَيِّرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

أما الخبر: فمعناه: الذي أدرك علمه السرائر، واطلع على مكنون الضمائر، وعلم خفيات البدور، ولطائف الأمور، ودقائق الذرات، فهو اسم يرجع في مدلوله إلى العلم بالأمور الخفية التي هي في غاية اللطف والصغر، وفي غاية الخفاء، ومن باب أولى وأحرى علمه بالظواهر والجليلات.

وقد مضى الكلام عن صفة العلم وإحاطة علمه سبحانه بكل شيء، وأنه عَزَّ ذِكْرُهُ أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عدداً.

وأَمَّا الْلَّطِيفُ فَلَهُ مَعْنَى:

أحدهما: بمعنى الخبر، وهو أن علمه دقٌّ ولطفٌ حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات.

والمعنى الثاني: الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها.

قال ابن القيم رحمه الله في «نوينته»<sup>(١)</sup>:

وَهُوَ الْلَّطِيفُ بَعْدُهُ وَلَعْبِهِ  
وَاللَّطِيفُ فِي أَوْصَافِهِ تَوْعِانٌ  
إِدْرَاكٌ أَسْرَارِ الْأَمْرِ وَبَخْرَةٌ  
وَاللَّطِيفُ عِنْدُ مَوْاقِعِ الْإِحْسَانِ  
وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ الدِّرَشَانِ  
فَيُرِيكَ عَزَّتَهُ وَيُبَدِّي لُطْفَهُ

فلطف الله بعده هو من الرحمة، بل هو رحمة خاصة، فالرحمة التي تصل إلى العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف.

يقال: لطف الله بعده، ولطف له: أي تولاه ولایة خاصة، بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكرورهات من الأمور الداخلية، والأمور الخارجية، فالآمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد، فإذا يسر الله أمور عبده وسهّل له طرق الخير وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيض له أسباباً خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له؛ وهذا في قصة يوسف عليه السلام حيث قدر الله أموراً كثيرة خارجية عادت عاقبتها الحميضة إلى يوسف وأبيه، وكانت في مبادئها مكرورة للنفس، ولكن صارت عواقبها أحمد العاقد، وفوائدها أجمل الفوائد؛ ولذا قال عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّ الْلَّطِيفِ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]،

---

(١) (ص/ ٢٤٤ - ط. دار ابن خزيمة).

أي: إن هذه الأشياء التي حصلت، لطفُ لطفي الله له، فاعترف بهذه النّعمة.  
ولطف الله بعده وله بابٌ واسع، ويتفضّل الله بما شاء منه على من يشاء من  
عباده من يعلمه محلاً لذلك وأهلاً له، والفضل بيد الله يؤتّيه من يشاء، والله ذو  
الفضل العظيم.

ومن لطفه بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بلطفيه فيخرجهم من الظلمات إلى  
النّور، من ظلمات الجهل والكفر والبدع والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة.  
ومن لطفه بهم أنه يقيهم طاعة أنفسهم الأمارة بالسوء التي هذا طبعها  
فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء مع توافر أسباب  
الفتنة وجواذب المعاصي والشهوات، فيمُنْ عليهم ببرهان لطفه ونور إيمانهم الذي  
منَّ عليهم به، فيَدْعُونَها مطمئنةً لتركها نفوسُهم، منشحة للبعد عنها صدورُهم.  
ومن لطفه بعباده أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم، لا بحسب  
مراداتهم، فقد يريدون شيئاً وغيره أصلح، فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفاً بهم،  
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ۱۹].

ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواعاً من المصائب وضروباً من البلايا والمحن  
سوقاً لهم إلى كلامهم وكمال نعيمهم.  
ومن لطفه بعده أن يقدر له أن يتربّى في ولاية أهل الصلاح والعلم والإيمان،  
وبين أهل الخير، ليكتسب من أدبهم وتأديبهم، وأن ينشأ كذلك بين أبوين صالحين،  
وأقارب أتقياء وفي مجتمع صالح، فهذا من أعظم اللطف بالعبد؛ فإنَّ صلاح العبد  
موقوف على أسباب كثيرة من أعظمها نفعاً هذه الحالة.

ومن لطف الله بعده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود،

ولا يشغله عمّا خلق له من العبادة والعلم والعمل به، بل يعينه على ذلك.  
ومن لطف الله بعده أن يقيض له إخواناً صالحين ورفقاء متّقين يعينونه على  
الخير، ويشدّون من أزره في سلوك سبيل الاستقامة، والبعد عن سبل الالاك  
والانحراف.

ومن لطف الله بعده أن يبتليه بعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر  
فيها، فينيله رفيع الدرجات وعالی الرتب، وأن يكرمه بأن يوجد في قلبه حلاوة روح  
الرجاء وتأمیل الرحمة وانتظار الفرج وكشف الضّر، فيخفف ألمه وتنشط نفسه.

قال ابن القیم رحمۃ اللہ علیہ: «إِنَّ انتظارَهُ و مطالعتَهُ و ترقبَهُ يخففُ حَمْلَ المَشَقَّةِ، و لَا  
سِيَّما عندَ قُوَّةِ الرَّجَاءِ أَوِ القَطْعِ بِالْفَرْجِ إِنَّهُ يَجِدُ فِي حَشُوِّ الْبَلَاءِ مِنْ رُوحِ الْفَرْجِ  
و نَسِيمِهِ و راحَتَهُ مَا هُوَ مِنْ خَفْيِ الْأَلْطَافِ و مَا هُوَ فَرْجٌ مَعْجَلٌ، وَبِهِ وَبِغَيْرِهِ يَفْهَمُ  
مَعْنَى اسْمِهِ الْلَّطِيفِ»<sup>(۱)</sup>۔

وكم هو نافع للعبد أن يعرف معنى هذا الاسم العظيم ودلالة، وأن يجاهد  
نفسه على تحقيق الإيمان به والقيام بما يقتضيه من عبودية لله عزوجل، فيمتلىء قلبه رجاء  
وطمعاً في نيل فضل الله والظفر بنعمه وعطايته، متحرّياً في كلّ أحواله الفوز  
بالعواقب الحميدة والمالات الرشيدة، واثقاً بربه اللطيف، ومولاه الكريم، ذي النعم  
السوابع والعطاء والنوال، ومن يتحرّر الخير يعطيه، ومن يتوقّع الشّرّ يوقعه، والفضل  
بيد الله وحده يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.



---

(۱) «مدارج السالكين» (۲/۱۶۷).

## العفو، الغفور، الغفار، التوّاب

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ لَعْفُوٌ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْتِلِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا عَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَوْبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ لَعْفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَمَاءَنَ وَعَمَلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

والعفو: هو الذي يمحو السيّئات، ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه؛ فإنّ الغفران ينبغي عن السّتر، والعفو ينبغي عن المحو، والمحو أبلغ من السّتر، وهذا حال الاقتران، أما حال انفرادهما فإنّ كل واحد منها يتناول معنى الآخر.

والتوّاب: هو الذي يتوب على من يشاء من عباده بال توفيق للتوبة، كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِتُشْوِبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبه: ١١٨]، وبالقبول لها، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَيَعْفُوْ عَنِ الْسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ﴾ [الشورى: ٢٥].

والعفو والمغفرة من لوازم ذاته لا يكون إلا كذلك، ولا تزال آثار ذلك ومتعلقاته تشمل الخليقة آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته وسعت المخلوقات والذنوب والجرائم، فهو سبحانه لم يزل ولا يزال بالعفو والتتجاوز معروفاً وبالصفح والغفران موصوفاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

والتفصير الواقع من الخلق يقتضي العقوبات المتنوعة، ولكن عفو الله ومغفرته تدفع هذه الموجبات والعقوبات ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ كَمِنْ دَأْبَتِهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا أَجَلٍ مُّسْمَىٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يُعْبَادُهُ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥]، وهذا من كمال عفوه، فلو لا كمال عفوه وحلمه ما ترك على ظهر الأرض من دابة، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَأْبَتِهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا أَجَلٍ مُّسْمَىٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾ [التحل: ٦١]. ومن هذا الباب ما ورد في «الصحيحين»<sup>(١)</sup> من حديث أبي موسى الأشعري عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد - أو ليس شيء - أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليغافيهم ويرزقهم». وعفوه تعالى نوعان:

النوع الأول: عفوه العام عن جميع المجرمين من الكفار وغيرهم، بدفع العقوبات المنعدلة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالسب والشراك وغيرها من أصناف المخالفات، وهو يغافيهم ويرزقهم ويذر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وي sist لهم الدنيا، ويعطيهم من نعيمها ومنافعها ويمهلهم ولا يهملهم بعفوه وحلمه سبحانه.

---

(١) « صحيح البخاري» (رقم: ٦٠٩٩)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢٨٠٤).

والنوع الثاني: عفوه الخاص، ومغفرته الخاصة للتابين والمستغفرين والداعين والعابدين، والمصابين بالمصائب المحتسبين، فكل من تاب إليه توبة نصوحاً - وهي الخالصة لوجه الله العامة الشاملة التي لا يصحبها تردد ولا إصرار - فإن الله يغفر له من أي ذنب كان، من كفر وفسوق وعصيان، وكلها داخلة في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَفْتَنُوهُمْ لِمَنْ رَحْمَةُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِلَّاهٌ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد توالت النصوص من الكتاب والسنّة في قبول الله التوبة من عباده من أي ذنب كان، وكذلك الاستغفار المجرد يحصل به من مغفرة الذنوب والسيئات بحسبه، وفي الحديث القدسي، قال الله تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان فيك ولا أبيالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غرفت لك ولا أبيالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقربها مغفرة». رواه الترمذى<sup>(١)</sup>.

وكذلك من عفوه سبحانه أن الحسنات والأعمال الصالحة تکفر السيئات والخطايا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وفي الحديث: «وأَتَيْعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تُحْكَمُ هُنَّا» رواه أحمد والترمذى والحاكم وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

(١) في «جامعه» (رقم: ٣٥٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: «غريب» وفي بعض النسخ: «حسن غريب» وفي إسناده جهالة، ولكن له شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه؛ ولذلك حسنه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٢٧).

(٢) «المسنّد» (٥/١٥٣)، و«جامع الترمذى» (رقم: ١٩٨٧)، و«مستدرك الحاكم» (١٥٤) وهو طرف من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الترمذى والحاكم.

وكذلك من عفوه أنّ المصائب التي تصيب العبد في نفسه أو ولده أو ماله تكفر سيّاته، خصوصاً إذا احتسب ثوابها وقام بوظيفة الصبر أو الرّضى.

ومن عظيم عفوه سبحانه أنّ العبد يبارز ربّه بالعظام والجرائم فيلطف به ربّه، ويحل عليه عفوه، فيشرح صدره للتوبة، ويقبل منه متابه، بل إنّه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب مع أنه غني حميد، لا تنفعه طاعةٌ مَنْ أطاع، ولا تضره معصيةٌ مَنْ عصى.

روى مسلم في «صحيحة»<sup>(١)</sup> من حديث أنس بن مالك حَفَظَهُ اللَّهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلّها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال - من شدّة الفرح - اللهم أنت عبدي وأنا ربّك، أخطأ من شدّة الفرح».

ويتبغي هنا أن يعلم أنّ علماً العبد بهذه الأسماء العظيمة باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها، من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودؤام التوبة، ورجاء المغفرة، وبعد عن القنوط وتعاظم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفو غفور لا يتعاظمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم، والعبد على خير عظيم ما دام طالباً عفو ربّه، راجياً غفرانه.

وتتأمل في هذا المقام ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيها»<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة حَفَظَهُ اللَّهُ، عن النبي ﷺ فيما يحكى عنه ربّه عَزَّوجلَّ قال: «أذنب عبد ذنبًا، فقال:

---

(١) (رقم: ٢٧٤٧).

(٢) « صحيح البخاري» (رقم: ٧٥٠٧)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢٧٥٨) واللفظ له.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبْ عَبْدِي ذَنْبًاً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبٌّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبْ ذَنْبًاً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبٌّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبْ عَبْدِي ذَنْبًاً فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شَئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» أَيُّ مَا دُمْتَ تَائِبًاً أَوْ أَهْمَلْتَ مِنْ يَدِي.

وَأَبْوَابُ عَفْوٍ وَغَفْرَانِهِ مُفْتَوحةٌ، وَلَمْ يَزُلْ وَلَا يَزَالْ عَفْوًا غَفُورًا، وَقَدْ وَعَدَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْعَفْوِ لِمَنْ أَتَى بِآسِبَابِهَا، كَمَا قَالَ سَبِّحَانَهُ: ﴿وَلِي لَغَفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَمَاءَمَ وَعَمَلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

اللَّهُمَّ مُنْ عَلَيْنَا بِعْفُوكَ وَأَكْرَمْنَا بِغَفْرَانِكَ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنْتَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ.



## العليّ، الأعلى، المتعال

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّهُ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿سَيِّدُ أَسْمَاءِ رِبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ابْنَيَّاهُ وَجَهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ وَالشَّهَدَةَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ﴾ [الرعد: ٩]<sup>(١)</sup>.

وهذه الأسماء تدلّ على علوه المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات: فهو العليّ علو ذات، قد استوى على العرش، وعلا على جميع الكائنات، وبابايتها، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْمَرْقَبِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى في ست آيات من القرآن: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَرْقَبِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي: علا وارتفع عليه علوًّا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه.

وهو العلي علو قدر، وهو علو صفاته وعظمتها، فإنّ صفاته عظيمة لا يimitها ولا يقاربها صفة أحد، بل لا يطيق العباد أن يحيطوا بصفة واحدة من صفاته.

وهو العلي علو قهر، حيث قهر كلّ شيء، ودانت له الكائنات بأسرها،

(١)قرأ ابن كثير: «المتعال» بباء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين. انظر: «المفتاح في اختلاف القراء السبع» لأبي القاسم القرطبي (٦٣٩/٢).

فجميع الخلق نواصيهم بيده، فلا يتحرّك منهم متحرّك، ولا يسكن ساكن إلّا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

هذا وقد تنوّعت الدلائل، وتكاثرت البراهين، وتعددت الشواهد على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه، حتّى إنّ القرآن الكريم فيه أزيد من ألف دليل على علوّ الله سبحانه، وهي من درجة تحت أنواع عديدة، بيانها فيما يلي:

**الأول:** التصرّح بالغوفية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَاعِرُ فَوَقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أنّ سعداً حكم علىبني قريظة أن يقتل منهم كلّ من جرّت عليه الموسي، وأن تسبّي ذراريهم، وأن تقسم أمواهم، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فوق سبع سموات» رواه النسائي في «الكتاب» والبزار والحاكم وغيرهم<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** التصرّح بالعروج إليه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَنَّ اللَّهَ ذِي الْعَمَارِجِ ۖ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ - ٤].

**الثالث:** التصرّح بالصعود إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكِبِيرُ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْصَّالِحُ يَرَفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) «ال السنن الكبرى» (رقم: ٥٩٠٦) - واللفظ له -، و«مسند البزار» (رقم: ١٠٩١)، و«مستدرك الحاكم» (٢/١٢٤). وحسنه الحافظ ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (٤٣٩/٢)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٢٧٤٥).

وفي «الصّحّيحةين»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب؛ فإن الله يتقبلها بيديه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل».

الرابع: التّصرّح برفع بعض المخلوقات إليه، قال تعالى: ﴿بَلْ رَفِعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّيْكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

الخامس: التّصرّح بتنزيل الكتاب منه، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [الذّمّ: ١]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ لِهِ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

السادس: التّصرّح بأنّه تعالى في السماء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَنْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْفِيَ بِكُمُ الْأَرْضَ إِنَّمَا هُوَ تَمُورٌ﴾ [٦٦] أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

وفي «صحيحة مسلم»<sup>(٢)</sup> من حديث معاوية بن الحكم حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنّها مؤمنة».

وفي الترمذى<sup>(٣)</sup>، عن عبد الله بن عمرو حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

(١) «صحيحة البخاري» (رقم: ٧٤٣٠) – واللفظ له – و«صحيحة مسلم» (رقم: ١٠١٤).

(٢) (رقم: ٥٣٧).

(٣) في «جامعه» (رقم: ١٩٢٤) وصحّحه، ورواه أيضًا: أبو داود (رقم: ٤٩٤١)، وأحمد (١٦٠ / ٤)، والحاكم (٤ / ١٥٩) وغيرهم.

**السابع:** التّصریح برفع الأيدي إلیه، روی الترمذی<sup>(۱)</sup> عن سلمان الفارسی  
**جَهْنَمَنَّفِه** قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَبِّيْ كَرِيمٌ يُسْتَحْسِيْ إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدِيهِ أَنْ يَرْدَهَا صَفْرًا خَائِبَتِينَ».

**الثامن:** الإشارة إلیه حسًّا إلى العلو كما أشار إلیه من هو أعلم به، لما كان صلوات الله وسلامه عليه بالمجتمع الأعظم في اليوم الأعظم، قال للناس: «وأنتم تُسألون عنِّي فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحّت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد - ثلاث مرات» رواه مسلم<sup>(۲)</sup>.

**التاسع:** إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربّه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربّه، ثم يعود إلى موسى عدّة مرار، وحديث المعراج مخرج في «الصحيحين»<sup>(۳)</sup> وغيرهما.

**العاشر:** إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى، فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السموات: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَا مَنْ لِي صَرْحًا لَعَلِيَّ أَبْلَغُ أَلْأَسْبَابَ ﴾<sup>(۴)</sup> أَسْبَابَ الْأَسْمَاءِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ مُوسَى وَلَمْ يَلْظُهُ كَيْذَبَأَ وَكَيْذَلَكَ زُرِّيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّدَ عَنِ الْأَسْبَابِ وَمَا كَيْدَ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ۳۶-۳۷].

(۱) في «جامعه» (رقم: ۳۵۵۶) وصحّحه، ورواه أيضاً: أبو داود (رقم: ۱۴۸۸)، وابن ماجه (رقم: ۳۸۶۵)، وأحمد (۵/۱۳۸)، وابن حبان (رقم: ۸۷۶، ۸۸۰)، والحاکم (۱/۴۹۷) وصحّحه.

(۲) (رقم: ۱۲۱۸) وهو جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجّة النبي ﷺ.

(۳) «صحيح البخاري» (رقم: ۳۴۲)، و«صحيح مسلم» (رقم: ۱۶۳) من حديث أنس بن مالك، عن أبي ذر الغفاری **جَهْنَمَنَّفِه**.

أي: إِنِّي لِأَظُنَّ مُوسَى كاذبًاٌ فَيَا أَخْبِرْ بِهِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَمَنْ نَفَى عَلَوْ اللَّهَ فِيهِ شَبَهَ مِنْ فَرْعَوْنَ، وَمَنْ أَثْبَتْ عَلَوْ اللَّهَ فَهُوَ عَلَى نَحْجِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَهْجُ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ.

فهذه الأدلة ونظائرها كثير في الكتاب والسنة؛ تضمنت إثبات علو الله تبارك وتعالى، وأنه عالٍ على كل شيء، وفوق كل شيء، ولا شيء فوقه، بل هو فوق العرش المجيد كما أخبر بذلك عن نفسه، وكما أخبر بذلك عن رسوله ﷺ، وهو أمرٌ متقررٌ مجتمعٌ عليه بين سلف الأمة وأئممة المسلمين.

قال أبو نصر السجزي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «الإِبَانَةُ»: «وَأَئَمَّتْنَا كَسْفِيَانَ الثُّورِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنْسٍ، وَسَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمَبَارِكَ، وَفَضِيلَ بْنَ عِيَاضَ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ، وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهْوَيْهِ؛ مُتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ»<sup>(١)</sup>.

والإيمان بعلو الله على خلقه يورث العبد تعظيمها لله وذلاًً بين يديه، وانكساراً له، وتنتزهاً له عن النقصان والعيوب، وإخلاصاً في عبادته، وبعدهاً عن اتخاذ الأنداد والشركاء، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْدُلُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوكُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ هُنْمٌ مِنْ ظَهِيرٍ ۝ وَلَا نَفْعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُمْ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ حَقٌّ إِذَا فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

(١) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (٢٦٢ / ٣).

## الكبير، العظيم

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَعْمَلُونَ مِنْ دُونِهِ أَبْنَاطٌ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَخَّكُمْ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَسَيَّعَ إِلَيْمَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٥٢]. والكبير العظيم أي: الذي له الكبرياء نعتاً والعظمة وصفاً، قال تعالى في الحديث القدسي: «الكرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعني واحداً منها قدفته في النار»، رواه أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup>.

ومعاني الكرياء والعظمة نوعان: أحدهما: يرجع إلى صفاته سبحانه، وأنّ له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوّة، والعزّة، وكمال القدرة، وسعة العلم، وكمال المجد، وغيرها من أوصاف العظمة والكرياء، ومن عظمته أنّ السموات السبع والأرضين السبع في يد الله كخردلة في يد أحدنا، كما قال ذلك ابن عباس حَمِيلَةَ عَنْهُ.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقّ فَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٤٨/٢)، و«سنن أبي داود» (رقم: ٤٠٩٠) وغيرهما من حديث أبي هريرة حَمِيلَةَ عَنْهُ، وإسناده حسن.

وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتٌ بِيمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧]، فله سبحانه وتعالي الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقادر قدرهما، ولا يبلغ العباد كنهما، وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول في رکوعه وسجوده: «سبحان ذي الخبروت، والملکوت، والکبریاء، والعظمة»، رواه أحمد وأبو داود والنسائي<sup>(١)</sup>.

النوع الثاني: أنه لا يستحق أحد التّعظيم والتّكبير والإجلال والتّمجيد غيره، فيستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعماهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبّته والذّل له والخوف منه، ومن تعظيمه سبحانه أن يطاع فلا يعصى، وذكر فلا يُنسى، ويُشكّر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، وأن لا يُعرض على شيء من خلقه أو على شيء من شرعه، ومن تعظيمه تعظيم ما عظمه واحترمه من زمان ومكان وأشخاص وأعمال، والعبادة روحها تعظيم الباري وتكبيره؛ ولهذا شرعت التّكبيرات في الصّلاة في افتتاحها وتنقلاتها لیستحضر العبد معنى تعظيمه في هذه العبادة التي هي أجل العبادات.

بل إن التّكبير مصاحب للمسلم في عبادات عديدة وطاعات متنوعة، فال المسلم يكبّر الله عندما يكمل عدة الصّيام، كما قال تعالى: ﴿وَلَتُكَبِّرُوا أَلَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَّكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويكبّر الله في الحجّ، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَهُمَا لَا دِمَاؤُهَا وَلَا يَنَالُهُمْ أَنْتَوْا مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشَكَرُوا أَلَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وبهذا تبيّن مكانة التّكبير وجلالة قدره، وعظم شأنه من الدين، والتّكبير يراد

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٢٣/٢)، و«سنن أبي داود» (رقم: ٨٧٣)، و«سنن النسائي» (رقم: ١٠٤٩)، وغيرهم من حديث عوف بن مالك الأشجعي حَمَّامَةَ، وإسناده صحيح.

به أن يكون الله عند العبد أكبر من كل شيء، كما قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم: «ما يُفْرُكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سُوَى اللَّهِ؟» قال: قلت: لا. قال: ثم تكلّم ساعةً، ثم قال: إِنَّمَا تَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَتَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟» قال: قلت: لا» الحديث. رواه أحمد والترمذى وابن حبان<sup>(١)</sup>.

وبه يتبيّن معنى (الله أكبر) أي من كل شيء، فلا شيء أكبر ولا أعظم منه، ولهذا يقال: إنَّ أَبْلَغَ لِفَظَةَ الْعَرَبِ فِي مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ هِيَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، أي صَفْهُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلَّ شَيْءٍ، وَاعْتَقْدُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلَّ شَيْءٍ.

وكما تقدّم؛ التكبير معناه: التّعظيم، لكنه ليس مرادفًا له، فالكبرياء أكمل من العظمة؛ لأنَّه يتضمّنها ويزيد عليها في المعنى، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وفي قوله «الله أكبر» إثبات عظمته، فإنَّ الكبرياء تتضمّن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل. وهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: «الله أكبر»، فإنَّ ذلك أكمل من قول: «الله أَعْظَمُ»، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزارني، فمن نازعني واحداً منها عذبيه»، فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرّداء، ومعلوم أنَّ الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرّح بلفظه، وتضمّن ذلك التعظيم»<sup>(٢)</sup> اهـ.

وهاهنا أمر ينبغي التنبيه له وعدم إغفاله، وهو أنَّ المسلم إذا اعتقاد وآمن بأنَّ الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء، وأنَّ كل شيء مهما كبر يصغر عند كبرياء الله

(١) «مسند الإمام أحمد» (٤/٣٧٨)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٢٩٥٣) - واللفظ له - و«صحيح ابن حبان» (رقم: ٧٢٠٦) وغيرهم. وحسنه الترمذى.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٥٣).

وعظمته، علم من خلال ذلك علم اليقين أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وجماله وسائر أوصافه ونحوته أمر لا يمكن أن تخيط به العقول أو تتصوره الأفهام، أو تدركه الأ بصار والأفكار، فالله أعظم وأكبر من ذلك ﴿وَقُلْ لِمَحْمُدٌ لِّلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْجِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الْأَذْلِ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وأمر آخر، ألا وهو أن من علم مدلول هذين الاسمين ذل لربه وانكسر بين يديه، وصرف له أنواع العبادة، واعتقد أنه المستحق لها دون سواه، وعرف أن كل مشرك لم يقدر رب العظيم حق قدره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَتُ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تُرْجِعُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [١٣] ﴿أَوْ قَدْ خَلَقْتُكُمْ أَطْوَارًا﴾ [١٤] ﴿أَلَمْ تَرَوْ أَكْيَفَ خَلْقَ اللَّهِ سُبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا﴾ [١٥] وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [١٦] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [١٨] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا﴾ [١٩] ﴿إِنْتَسَلَكُمْ مِّنْهَا مِسْبَلًا فَجَاجًا﴾ [٢٠] [نوح: ١٣ - ١٤].

وسبحان الله! أين ذهبت عقول هؤلاء المشركين حين صرفوا ذلهم وخصوصهم وانكسارهم ورجاءهم وخوفهم ورغبتهم ورهبهم وحبّهم وطمعهم إلى مخلوقات ضئيلة، وكائنات ذليلة، لا تملك لنفسها شيئاً من النفع والضر، فضلاً عن أن تملكه غيرها، وتركوا الخضوع والذلة للرب العظيم والكبير المتعال، والخالق الجليل تعالى الله عما يصفون، وسبحان الله عما يشرون، وهو وحده المستحق للتعظيم والإجلال والتَّائِلَة والخضوع والذلة، وهذا خالص حقه، فمن أقبح الظلم أن يعطي حقه لغيره، أو يشرك بينه وبين غيره فيه، ومن اتخاذ الشركاء والأنداد له ما قدر الله حق قدره، ولا عظمته حق تعظيمه، سبحانه وتعالى الذي عنت له الوجوه، وخشت له الأصوات، ووجلت القلوب من خشيته، وذلت له الرُّقاب، تبارك الله رب العالمين.

## القوى، المتين

وقد جاء اسم الله «القوى» في عدّة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَللّٰهُ لطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله: ﴿كَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَا أَنَا وَرَسُولِي إِذْ أَنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

واسم الله «المتين» لم يرد إلّا في موضع واحد مقتولناً بوصف الله بأنه ذو القوّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّازِفُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومعنى «المتين» أي: شديد القوّة، ومعنى «القوى» أي: الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، ينفذ أمره ويمضي قضاوته في خلقه، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، فالقوّة لله جميّعاً، لا منصور إلّا من نصره، ولا عزيز إلّا من أعزه، وكذلك المخدول من خذله الله، والدليل من أذله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلٰى اللّٰهِ فَلِتَوَكّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ إِلَّا جَمِيعًا وَأَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وهي حقيقة سوف يدركها المشركون يوم القيمة، يوم يرون عذاب الله بأبصارهم،

فيعلمون حينئذ على جازماً أن القوة لله جميعاً. وقد عميت أبصارهم في الدنيا عن رؤية شواهد قوته ودلائل قدرته فاتخذوا الأنداد وعبدوا الأوثان وتعلقت قلوبهم بما لا يعطي ولا يمنع ولا يخفي ولا يرفع ولا يملك لنفسه نفعاً ولا دفعاً فضلاً عن أن يملك شيئاً من ذلك لغيره.

هذا ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه وتأييده لأوليائه وفي قصص الأنبياء في القرآن خير شاهد على هذا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْنَا بِيَقِنَّا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنْنَا وَمِنْ حَزْنِي يَوْمِي مِنْ إِنَّ رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَسْتَرِكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيُّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ومن شواهد قوته إهلاكه للظالمين وانتقامه من المجرمين وإحلاله بهم أنواع العقوبات وصنوف المثلات، قال تعالى: ﴿كَذَابُ إِلَيْ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا إِنْ يَعْلَمُوا إِنَّ اللَّهَ يَدْعُو بِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ كَافُرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَإِثْرَاءً فِي الْأَرْضِ فَلَأَخْذُهُمُ اللَّهُ يَدْعُو بِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍِ ٢١ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا تَأْتِيَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبِيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢ - ٢١].

ومن شواهد قوته قيام السماء والأرض بأمره وحفظه لها ولما فيها بقدرته فلا يعجزه شيء قال تعالى: ﴿وَلَا يَتُؤْدِهِ حَفْظُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعِجزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيهِمَا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

ومن شواهد قوته أن الرزق بيده يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّиِّنُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ولا حول للعبد في جلب نفع أو دفع ضر ولا قوة إلا بالله، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

ومن شواهد قوته أنه لا مفر إلا إليه ولا ملجأ للعبد ولا منجا منه إلا إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الأనفال: ٥٩]، وقال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا أَظَنَّنَا أَنَّ لَنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هُرَبًا﴾ [الجن: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُحِبِّبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيَسْ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيَسْ لَهُ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿فَقِرْبًا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لِكُمْ مِّنْ نَذِيرٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات: ٥٠].

ومن شواهد قوته أنه الفعال لما يريد، لا يقع شيء في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، أو عطاء أو منع إلا بإذنه، يفعل ما يشاء ولا يبانع ولا يغالب، بل قهر كل شيء، ودان له كل شيء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ لِّلْأَمْنِ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

هذا وإن إيمان العبد بهذا الاسم يثمر فيه انكساراً بين يدي الله وخصوصاً لجانبه وحفاً منه سبحانه ولجوءاً إليه وحده، وحسن توكل عليه، واستسلاماً لعظمته، وتقويض الأمور كلها إليه، والترءُ من الحول والقوة إلا به.

ولهذا كانت كلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» جليلة الشأن، كبيرة القدر، عظيمة الأثر، قال الله لأبي موسى الأشعري عليه السلام: «يا عبد الله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنها من كنوز الجنة»، متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد من حديث أبي ذر عليه السلام، قال: «أمرني خليلي عليه السلام بسبع، فذكرها، قال: «وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنهن من كنوز تحت العرش»<sup>(٢)</sup>.

وهي كلمة إسلام واستسلام، وتفويض والتجاء، وتبرار من الحول والقوة إلا بالله، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوة في جلب خير إلا بإذن الله، ولا تحول للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقص إلى زيادة إلا بالله، ولا قوة للعبد على القيام بأي شأنٍ من شؤونه إلا بالله.

ومن قال هذه الكلمة محققاً ما دلت عليه من التوكّل والتفويض وحسن الاتجاء هدي وُوقي وكفي، وكان من أقوى الناس قلباً وأحسنهم حالاً ومالاً، وفي الأثر: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أو ثق منه بما في يده»<sup>(٣)</sup>.

(١) «صحیح البخاری» (رقم: ٦٣٨٤)، و«صحیح مسلم» (رقم: ٢٧٠٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٥٩/٥) وغيره بإسناد حسن. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢١٦٦).

(٣) ذكره ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٢٢). ويرى حديثاً مرفوعاً ولا يصح. انظر: «السلسلة الضعيفة» (رقم: ٥٤٢١).

## الشّهيد، الرّقيب

أمّا «الشّهيد» فقد تكرر في مواضع عديدة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُنْتَ بِاللّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ إِنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وأمّا «الرقيب» فقد ورد في ثلاثة مواطن، قرن معه في أحدها اسم الشهيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّتِنِي كُنْتَ أَنْتَ الْرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ومعنى الشّهيد أي: المطلّع على كُلِّ شيءٍ الذي لا يخفى عليه شيءٌ، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليتها، صغيرها وكبیرها، وأحاط علمه بكل شيءٍ، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

ومعنى الرقيب أي: المطلّع على ما أكتَتَهُ الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير، رقيب للمبصرات ببصره الذي لا يغيب عنه شيءٌ، ورقيب للمسنونات بسمعه الذي وسع كل شيءٍ، ورقيب على جميع المخلوقات بعلمه المحيط بكل شيءٍ.

ومن يتأنّى مدلول هذين الاسمين يجد بينهما شيئاً من الترافق؛ ولهذا قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «الرقيب والشهيد متراافقان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالسموعات وبصره بالمبصرات وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر وما تحركت به اللواحد، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]؛ ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله أو جب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه»<sup>(١)</sup>. اهـ

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَلَا خَدْرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعْلُومٌ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَصِيرُ لِمُحْكَمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصَّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي حديث جبريل عليه السلام أنه سأله النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) «الحق الواضح المبين» (ص / ٣١ - ٣٢).

(٢) (رقم: ٨) من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه مطولاً.

فتأملُ هذه النصوص وما في معناها يحرّك في العبد مراقبة الله ﷺ في كل أعماله وجميع أحواله، إذ المراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على عمله في كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين.

والمراقبة منزلة عالية من منازل السائرين إلى الله والدار الآخرة، وحقيقةتها دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي مراقبة الله عند أمره ليفعله العبد على أحسن حال، ومراقبة له عند نهيه ليجتنبه العبد وليحذر من الوقوع فيه. كما قال الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدَّهْرَ يوْمًا فَلَا تَقُلْ      خلوتُ ولكنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ  
وَلَا تَحْسِنَ اللَّهَ يَغْفِلُ سَاعَةً      ولا أَنْ مَا يَخْفِي عَلَيْهِ يَغْيِبُ

وهذه المراقبة تحتاج من العبد إلى حضور القلب واجتناب الغفلة ودoram الذكر، وهذا يثمر سرور القلب وانشراح الصدر وقرة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجل يناله العبد في دنياه قبل آخراء.

قال ابن القيم رحمه الله: «إِنَّ سرورَ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، وَفَرَحَهُ بِهِ، وَقَرْةُ الْعَيْنِ بِهِ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِّنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا بِالْبَتَّةِ، وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يَقْاسِ بِهِ، وَهُوَ حَالٌ مِّنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «إِنَّهُ لَتَمْرِبٌ أَوْقَاتٌ أَقْوَلُ فِيهَا: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِلَيْهِمْ لَفِي عِيشٍ طَيْبٍ». وَلَا رِيبٌ أَنَّ هَذَا السرورَ يَبْعَثُهُ عَلَى دَوَامِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ ﷺ، وَبِذَلِّ الْجَهْدِ فِي طَلَبِهِ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا السرورَ وَلَا شَيْئًا مِّنْهُ فَلِيَتَهُمْ إِيمَانٌ وَأَعْمَالٌ، فَإِنَّ لِلإِيمَانِ حَلَاوةً مِّنْ لَمْ يَذْقُهَا فَلَيُرْجِعَ وَلِيَقْبِسَ نُورًا يَجِدْ بِهِ حَلَاوةً الإِيمَانِ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ ذُوقَ طَعْمِ الإِيمَانِ وَوَجْدَ حَلَاوَتِهِ فَذَكَرَ الذُّوقَ

والوجود وعلقه بالإيمان فقال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسوله»<sup>(١)</sup>، وقال: «ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يحبُّ المرأة لا يحبُّه إلَّا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»<sup>(٢)</sup>.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجذب للعمل حلاوةً في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإنَّ الربَّ تعالى شكور، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدُّنيا من حلاوةٍ يجدها في قلبه وقوّةٍ وانشراحٍ وقرةٍ عين؛ فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخل»<sup>(٣)</sup>.




---

(١) رواه مسلم (رقم: ٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلب حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) رواه البخاري (رقم: ١٦)، ومسلم (رقم: ٤٣) من حديث أنس حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) «مدارج السالكين» (٣/٦٧ - ٦٨).

## المهِيمِنُ، الْمَحِيطُ، الْمَقِيتُ، الْوَاسِعُ

أَمَّا «الْمَهِيمِنُ» فقد ورد في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومعنى «الْمَهِيمِنُ» أي: المطلُع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً، الشاهد علىخلق بآعماهم، الرقيب عليهم فيما يصدر منهم من قول أو فعل، لا يغيب عنه من أفعالهم شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وأما «الْمَحِيطُ» فقد ورد في عدّة مواضع، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَصْنَعُو مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَفِيرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩].

وهو اسم دال على إحاطة الله بكل شيء علماً وقدرةً وقهرًا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْنَقَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨].

وإحاطته سبحانه بالمخلوقات إحاطة علم، فلا يعزب عنه من خلقه مثقال ذرة، وإحاطة قدرة فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإحاطة قهر فلا يقدرون على فوته أو الفرار منه، قال تعالى: ﴿يَمْعَنُرَ لِّجَنَ وَالْأَنْيَنِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَذُوا لَا تَنْفَذُونَ إِلَّا إِشْلَاطِنِ﴾ [الرحمن: ٣٣]، أي: لا تستطعون من أبداً من أمر الله وقدره لأنَّه حبيط بكل شيء علمًا وقدرة وقهرًا.

وأما «المقيت» فقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ كَفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ [النساء: ٨٥]، قيل في معناه: الذي أوصل إلى كل الموجودات ما به تقتات، وأوصل إليها أرزاقها، وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده، أي: أنه سبحانه هو الذي ينزل الأقوات للخلق ويقسم أرزاقهم صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْنَدَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، وكل هذه الأرزاق والأقوات قدرها سبحانه عند خلقه للأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَيَّا مِنْ فَرْقَهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، أي: قدر فيها ما يحتاجه أهلها من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس وما يصلح لعاشهم من التجارة والأشجار والمنافع.

وذكر في معنى «المقيت» معانٍ أخرى، قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ [النساء: ٨٥]، قال ابن عباس وعطاء وعطاء وقناة ومطر الوراق: ﴿مُقِينًا﴾ أي: حفيظاً، قال مجاهد: شهيداً، وفي رواية عنه: حسيباً، قال سعيد ابن جبير والسدي وابن زيد: قديراً، وقال عبد الله بن كثير: المقيت: الواصب، وقال

الضحاك: المقيت: الرزاق»<sup>(١)</sup>.

ولا يمنع أن يكون هذا الاسم متناولًا لجميع هذه المعاني، بأن يكون معناه: الذي أحاط علماً بالعباد وأحوالهم، وما يحتاجون إليه، وأحاط بهم قدرة، فهو على كل شيء قادر، وتولى حفظهم ورزقهم وإمدادهم، الذي يقيت الأبدان بالأطعمة والأرزاقي، ويقيت قلوب من شاء من عباده بالعلم والإيمان، كما قيل:

فقوت الروح أرواح المعاني      وليس بأن طعمت وأن شربتا

وأما «الواسع» فقد تكرر في عدة مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [آل بقرة: ٢٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تُؤْلُوا فَيَهُمْ وَجْهُ اللَّهِ إِذَا هُوَ وَسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ [آل بقرة: ١١٥].

ومعناه: الواسع الصفات والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يخصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثني على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

قال تعالى في بيان سعة علمه: ﴿وَسَعَ رَبِّكُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آلأنعام: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [آلأنعام: ٩٨].

وقال تعالى في بيان سعة رحمته: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [آلأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسَعْةٍ﴾ [آلأنعام: ١٤٧]، وقال تعالى في بيان سعة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٤). وينظر: «تفسير الطبرى» (٧/ ٢٧٢).

رزقه: ﴿وَإِن يَنْفَرُّوا يُعِنَّ اللَّهُ كُلَّاً مِنْ سَعْتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]،  
 وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقال  
 تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فَقَرَاءً يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٣٢].  
 وقال تعالى في بيان سعة مغفرته: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
 عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى:  
 ﴿قُلْ يَعْبُدُونَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْسِطُ لَوْمَنَ رَحْمَةً اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعِفُّ عَنِ الذُّنُوبِ جَيْعَانًا إِنَّهُ  
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى في بيان سعة ثوابه: ﴿مَثُلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
 أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمْثُلَ حَجَةٍ أَنْبَتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مَائِهَةً حَجَةً وَاللَّهُ يُصَدِّعُ لِمَنْ  
 يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ومن شواهد اسمه «الواسع» أنه سبحانه واسع على عباده في دينهم فلم  
 يكلفهم ما ليس في وسعهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مُسْعَهَا﴾ [البقرة:  
 ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]  
 وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ عَنْكُمْ وَحْلُقَ الْأَنْسَنْ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

فلله الحمد على ما منّ ويسّر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى.



## الحافظ، الحفيظ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ [هود: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾ [سباء: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلَاهُ اللَّهُ حَفِظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظًا وَهُوَ أَرَحَمُ الْأَرْجَحَيْنَ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظَيْنَ﴾ [الأنياء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَتَنْعَطُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهذا الاسمان العظيمان دالان على أن الله سبحانه موصوف بالحفظ، وهذا الوصف يتناول أمرين:

الأول: الحفظ بعلمه جميع المعلومات؛ فلا يغيب عنه شيء منها، وفي مقابل ذلك النسيان، وقد نزع الله نفسه عنه لكمال علمه وحفظه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿قَالَ عَلِمْهَا إِنَّ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَسْئِي﴾ [طه: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَحَصَّنَهُ اللَّهُ وَسُوْهٌ﴾ [المجادلة: ٦].

فهو تبارك وتعالى يحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفي عليه خافية، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوْهُ فِي الْزُّبُرِ﴾ ٥٥ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ

ووكل سبحانه ملائكة كراماً كاتبين يحفظون على العباد أعمالهم، قال تعالى:

﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَيْنَاهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا عَلِيَّكُمْ لَهُنَّفِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كَيْبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وهذا المعنى من حفظه سبحانه يقتضي إحاطة علمه بأحوال العباد كلها؛ ظاهرها وباطنها، سرّها وعلنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها وكماها ونقصها ومقادير جزائها في الثواب والعقاب، ثم مجازاتهم عليها بفضله وعدله.

الثاني: أنه تعالى الحافظ للمخلوقات من سماء وأرض وما فيها، لتبقى مدة بقاءها، فلا تزول ولا تندثر ولا تمد ولا يسقط شيء على شيء، ولا يشله ولا يعجزه شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْعُودُ حَفَظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يحفظ سبحانه السماء أن تقع على الأرض، قال تعالى: ﴿وَمِسْكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِنِّهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقَفاً مَحْفُظًا وَهُمْ عَنْ أَيْمَانِهَا مُعَرِّضُونَ﴾ [الأنباء: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُوْلَ﴾ [فاطر: ٤١].

وتتكلّل سبحانه بحفظ كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلا يطوله تحريف، ولا يلحقه تبديل، ولا يغير فيه حرف، ومع تطاول الأيام وامتداد الزمان بقي القرآن كما هو، وبقيت آياته كما أنزلها الله على نبيه ﷺ، وسيظل محفوظاً بحفظ الله عزوجل.

ومن معاني هذا الاسم أنه سبحانه الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون وحفظه

لهم نوعان عام وخاص.

فالعام: حفظه لهم بتيسيره لهم الطعام والشراب والهواء، وهدايتهم إلى مصالحهم، وإلى ما قدر لهم وقضى لهم من ضرورات و حاجات وهي الهدایة العامة التي قال عنها سبحانه: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وحفظهم بدفع أصناف المكاره والمضار والشروع عنهم، وهذا الحفظ يشترك فيه البر والفاجر، بل الحيوانات وغيرها، وقد وكل ببني آدم ملائكة يحفظونهم بأمر الله، كما قال سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتُ مِنْ يَنِينَ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، أي: يدفعون عنه بأمر الله كل ما يضره ما هو بصدق أن يضره لو لا حفظ الله.

والخاص: حفظه لأوليائه - إضافة إلى ما تقدم - بحفظ إيمانهم من الشبه المضلة والفتنة الجارفة والشهوات المهلكة، فيعافيهم منها، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيد الأعداء ومكرهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الظَّالِمِينَ إِنَّمَا يَأْمُرُوا بِالْحُكْمِ وَلَا يَنْهَا عَنِ الْمُحْكَمِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْلَمُ﴾ [الحج: ٣٨]، وعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه.

ولهذا قال النبي ﷺ كما في وصيته لابن عباس عليهما السلام: «احفظ الله يحفظك». رواه أحمد والترمذى<sup>(١)</sup>، أي: احفظ أوامرها بالامثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك وفي جميع ما آتاك الله من فضله.

وقد مدح الله عباده الذين يحفظون حقوقه وحدوده فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢٩٣/١)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٢٥١٦) وغيرهما. وقال الترمذى: حسن صحيح.

﴿لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَسِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبه: ١١٢]، وقال: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِظِ﴾ ⑬

مَنْ خَشِيَ الرَّجْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّبِينٍ﴾ [ق: ٣٣ - ٣٢]، ويدخل في هذا حفظ التوحيد من نواقه ونواصيه؛ إذ هو أعظم ما ينبغي أن يحفظ ويصان، وحفظ شعائر الإسلام ولا سيما الصلاة ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَىٰ وَقُوْمًا لِلَّهِ قَنْتِيْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وحفظ السمع والبصر والفؤاد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتَحْوِلًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وحفظ الفروج ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ ⑭ إلأاعنة عنهم مسئولاً [ال المؤمنون: ٥ - ٧]، إلى غير ذلك مما أمر الله عباده بحفظه، وجعل ثوابهم على ذلك حفظه لهم ودفاعه عنهم ووقايتهم من كل ضر وبلاء.

ولا حافظ للعبد في دينه ودنياه وفي أي أمر من أمره إلا الله ﴿فَآلَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّحِيمِ﴾ [يوسف: ٦٤].

وكم هو جميل بالعبد مع حفظه لما أمره الله بحفظه أن يتوجه إلى الله بالدعاء أن يعاذه في دينه ودنياه وأن يحفظه من كل شر وبلاء، وفي «المسندي»<sup>(١)</sup> وغيره عن ابن عمر رحمه الله قال : «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يسمى وحين يصبح: اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وامن رواعتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقني وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

(١) (٢٥/٢) وإسناده صحيح.

## الولي، المولى

وَهُمَا اسْبَانْ تَكَرَّرْ وَرُوْدَهُمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ أَخَذْنَا مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَهُ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يَعْلَمُ الْمَوْتَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشُورى: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشُورى: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَفَ إِلَيْهِ وَلِيَا وَكَفَ إِلَيْهِ تَعِيزِرًا﴾ [النَّسَاء: ٤٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانُكُمْ فَقَعْدَ الْمَوْلَى وَيَعْمَلُ النَّصِيرُ﴾ [الْحِجَّة: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَانُكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْمَتَصَرِّفِينَ﴾ [آلِ عُمَرَ: ١٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَانُكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التَّحْرِيم: ٢].

وَوِلَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْلِيهِ لِعَبَادِهِ نُوعَانْ:

وَلَايَةُ عَامَةٍ: وَهِيَ تَصْرِيفَه سَبْحَانَه وَتَدْبِيرَه لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، وَتَقْدِيرِه عَلَى الْعَبَادِ مَا يَرِيدُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَنَفْعٍ وَضَرٍّ، وَإِثْبَاتُ مَعْنَى الْمَلِكِ كُلِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْعَبَادَ كُلُّهُمْ طَوْعَ تَدْبِيرِهِ لَا خَرُوجَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْ نَفْوِهِ مَشِيتَهِ وَشَمُولِ قَدْرَتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، وَالْبَرَ وَالْفَاجِرَ، يَدْلِيْلُهُمَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا دُرُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحَكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْخَسِيْفِينَ﴾ [الْأَنْعَام: ٦٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوُ كُلُّ نَفِيسٍ مَا أَسْلَفْتَ وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَنْتَرِبُونَ﴾ [يُونُس: ٣٠].

ومعنى كونه سبحانه مولى الكافرين أي: أنه مالكهم، المتصرف فيهم بما شاء، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكُفَّارِ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]; إذ الولاية المنافية هنا هي ولادة المحبة والتوفيق والنصر والتأييد، وهي خاصة بالمؤمنين، وليس للكافرين منها نصيب، بل حظهم الخسran، ونصيبهم الحرمان، ووليهم الشيطان، ومولامهم النار، وبئس المصير، قال تعالى: ﴿فَرَبِّنَ لَهُمْ أَشَّيْطَلُنْ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَنَكُمْ أَنَّارٌ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥].

النوع الثاني: الولاية الخاصة والتولي الخاص؛ وهذا أكثر ما يرد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، وهي ولاية عظيمة وتولٌّ كريم، احتضن الله به عباده المؤمنين، وحزبه المطيعين، وأولياءه المتقين.

وهذا التوليُّ الخاص يقتضي عنایته ولطفه بعباده المؤمنين، وتوفيقهم بالتربيّة على الإيمان والبعد عن سبل الضلال والخسران، قال تعالى: ﴿أَللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمُ الظَّاغُونُ مُتَّخِذُو هُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنَارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُوْنَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وتنقضي غفران ذنوبهم ورحمتهم، قال تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيْرُ الْغَنِيِّنَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وتنقضي التأييد والنصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿مَبِّلِ اللَّهُ مَوْلَانِكُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْتَّنَصِّرِيْنَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، ولما قال أبو سفيان يوم غزوة أحد: لنا العزى ولا

عَزِّي لَكُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلصَّحَابَةِ: «أَجِيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: «الله مُولَانَا وَلَا مُولَى لَكُمْ»، رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَتَقْتَضِي كَذَلِكَ مِنْهُ عَلَيْهِمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِدُخُولِ الْجَنَانِ وَالنِّجَاهَةِ مِنَ النِّيرَانِ،

قَالَ تَعَالَى: «لَمْ يَأْتِ دَارُ السَّلَكِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَإِيمَانُهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ١٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رِبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْبَمُوا تَسْرِلُ عَيْنَهُمُ الْمَلِئَةُ كَمَا أَلَا تَحَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا يَشْرُوْا بِالْحَيَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» <sup>٣٠</sup> نَعَنْ أَوْلَيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشَاءُ هِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ <sup>٣١</sup> نُزِّلَ مِنْ عَفْوٍ رَّحْمَةً» [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْأَسْبَابَ التِي نَالَ بِهَا هُؤُلَاءِ وَلَاهِيَ اللَّهُ لَهُمْ وَتَوْلِيهِ إِيَاهُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ وَعَوْنَهِ وَتَأْيِيدهِ، قَالَ تَعَالَى: «أَلَا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا يَخْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَجُونَ» <sup>٣٢</sup> الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ <sup>٣٣</sup> لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [يوسُف: ٦٤ - ٦٢]، فَلَا تَنالُ وَلَاهِيَ اللَّهُ إِلَّا بِالإِيمَانِ الصَادِقِ وَتَقْوَى اللَّهُ فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَّةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي التَّقْرِبِ إِلَيْهِ بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ وَرَغَائِبِ الدِّينِ.

رَوَى الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(٢)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَمِيلَدُونَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَّالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنِّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَهُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّذِي يَبْطِشُ بِهَا،

(١) (رقم: ٤٠٤٣).

(٢) (رقم: ٦٥٠٢).

ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيكِ، ولئن استعاذه بِلأعذنكَ». وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون، وأفضل المرسلين هم أولو العزم، وأفضل أولي العزم نبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ خاتمُ النبيين، وإمامُ المرسلين، وسيِّدُ ولد آدم أجمعين، وقد جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون ولِيًّا لله إلا منْ آمن به وبِمَا جاء به، واتبعه ظاهراً وباطناً، ومن ادعى حبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالقه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْنُونَ اللَّهَ فَأَتَيْتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٣١]، فيَّنَّ فيها أنَّ من اتبع الرَّسُولَ ﷺ فإنَّ الله يحبه، ومن ادعى حبة الله ولم يتبع الرَّسُولَ ﷺ فليس من أولياء الله.

وكثيرٌ في الناس مَنْ يظنُّ في نفسه أو في غيره أنه من أولياء الله، وهو في حقيقة الأمر ليس من أوليائه، فاليهود والنصارى يدَّعونَ أنهم أولياء الله وأحبابه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان منهم، وشرکو العرب يدَّعونَ أنهم أهل الله لسكنائهم مكة ومحاورتهم البيت ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أُولَئِكُمْ إِنْ أُولَئِكُمْ هُوَ إِلَّا الْمُنَفَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وكذلك الملاحظة من القائلين بوحدة الوجود أو إن الله حَالٌ في خلقه أو متحد بهم وأنه لا فرق بين الرَّبِّ والعبد، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية لله، وهو في الحقيقة غاية الإلحاد والتعطيل والعداوة لله، فليس كُلُّ من ادعى الولاية وظاهرها يدعُّ ولِيَ الله، فأولياؤه هم المؤمنون المتّقون المحافظون على الفرائض والواجبات، والجانبون للكبائر والمحرمات، ومن ظاهر بالولاية وادعواها وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحaram، بل قد يأتي بها يناقض ذلك أو يزعم سقوط

التكاليف عنه أو نحو ذلك من مسالك أهل الانحلال وطرائق أهل الرّيغ والضلال  
 فهو في الحقيقة ولِيُ للشّيطان، وليس من أهل ولاية الله في شيء، فأهل ولاية الله هم  
 من صلحت أعمالهم بطاعته، وارْدَانْتْ أو قاتُّهُم بعيادته ﴿إِنَّ وَلِيَّ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ  
 وَهُوَ يَوْلِي الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].



## الأَوْلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ

وقد وردت هذه الأسماء الأربع مجتمعة في موضع واحد من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وخير ما تفسّر به هذه الأسماء الحسنى ويبيّن به معناها ما ورد في السنة النبوية في مناجاة النبي ﷺ لربه بهذه الأسماء مناجاةً تتضمن بيان معاني هذه الأسماء وتوضيح مدلولاتها.

روى مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رض قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ  
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالْقَاتِلُ الْحَبُّ وَالنَّوْيُ، وَمُنْزَلُ التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ  
وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخْذُ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلِيُسْ  
قَبْلُكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلِيُسْ بَعْدُكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلِيُسْ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ  
البَاطِنُ فَلِيُسْ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

فيَّنَ عليه الصلاة والسلام في هذا الدّعاء الجامع معنى كل اسم ونفي ما ينافقه، وهذا أعلى درجات البيان، ومدار هذه الأسماء الأربع على بيان إحاطة

(١) (رقم: ٢٧١٣).

الرب تبارك وتعالى بخلقه، وهي إحاطتان: زمانية ومكانية.

فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأولية الله بِرَبِّكُنَّ سابقة على أولية كل شيء، وآخريته سبحانه بقاوته بعد كل شيء، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، فما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، فهو جل وعلا الأول فليس شيء قبله، والآخر فليس شيء بعده، وهذه إحاطة زمانية.

وأما الإحاطة المكانية فقد أحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، فعلا على كل شيء بظهوره، فهو العلي الأعلى الذي ليس شيء فوقه، استوى على عرشه المجيد، والعرش سقف المخلوقات وأعلاها، والله فوق العرش، فظاهريته سبحانه هي فوقيته وعلوه على كل شيء، ودنا من كل شيء ببطونه، فبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، فهو يدل على كمال اطلاعه على السرائر والخفايا، ودقائق الأشياء وخبايا الأمور، كما يدل على كمال قربه ودنوه، فمع علوه على عرشه فهو قريب من خلقه محيط بهم، فلا تواري منه سماءً سماءً، ولا أرضًا أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

وإذا عرف المسلم هذه الأسماء العظيمة، وعرف ما تدل عليه من الكمال والعظمة والإحاطة وجب عليه أن يعامل كل اسم بما يتقتضيه من ذل وعبودية.

فمعرفة أولية الله لكل شيء وسبقه بالفضل والإحسان الأسباب كلّها تقضي

إفراده وحده بالذل والالتجاء، وعدم الالتفات إلى غيره أو التوكل على سواه، وتقضي التجرد من التعلق بالأسباب والالتفات إليها إلى التعلق بمن منه الإمداد ومنه الإعداد، وفضله سابق على الوسائل والأسباب.

ومعرفة آخرية الله تقتضي أن يجعل وحده غاية العبد التي لا غاية له غيره، ولا مطلوب له وراءه، إليه وحده المتهى، وليس وراءه مرمى ولا بعده مقصد، وتقضي عدم الركون إلى الأسباب؛ فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقى بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعد وينقضى، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت، وبالباقي الذي لا يزول.

ومعرفة ظاهرته وأنه فوق عباده يدبر أمورهم، وتصعد إليه أعمالهم؛ تقتضي حسن توجه القلب إليه، و تمام الذل بين يديه والخضوع لجنبه وعظمته والضراعة إليه وحده دون سواه ﴿ذَلِكَ يَأْتِيَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّمَا مَا يَنْتَعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وأماماً من لا يؤمن بظاهرية الله وعلوه فإنه ضائع مشتت القلب، ليس لقلبه قبلة يتوجه نحوها، ولا معبد يتوجه إليه قصده.

ومعرفة باطنية سبحانه وشهادته بإحاطته بالعوالم وقربه من العبيد وعلمه بالبواطن والسرائر والخفيات تقتضي تزكية النفس وإصلاح السريرة وتطهير الباطن وتنقية القلب وعمارته بالإيمان والتقوى.

ففي هذه الأسماء الأربع جماع المعرفة بالله وجماع العبودية له، كما أن فيها قمعاً للوسوسات المهلكة، والشكوك المردية التي يلقاها الشيطان في قلب الإنسان بُغية إهلاكه وصرفه عن الإيمان.

روى أبو داود في «سننه»<sup>(١)</sup> بإسناد جيد عن أبي زميل سماك بن الوليد قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عزوجل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مَمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسَتَّلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، قال: فقال لي: فإذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. فأرشد عليه السلام إلى هذا الذكر الحكيم لطرد الوساوس وقطع الشكوك.




---

(١) (رقم: ٥١١٠).

## الحكيم، الحكم

وقد ورد اسم الله «الحكيم» في القرآن الكريم ما يقرب من مائة مرّة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَيْرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وهذا الاسم العظيم دال على ثبوت كمال الحكم لله وكمال الحكمة.

\* أمّا كمال الحكم فثبتت أنَّ الحكم لله وحده يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي بهم بما يريد، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِإِلَهٍ كُوْنٍ﴾ [الذين: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِيمَيْنَ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وليس لأحد أن يراجع الله في حكمه كما يراجع الناس بعضهم بعضاً في أحكامهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، فحكمه في خلقه نافذ لا راد له.

وثبوت الحكم له سبحانه يتضمن ثبوت جميع الأسماء الحسنة والصفات

العليا؛ لأنَّه لا يكون حكماً إلَّا سميغاً بصيراً عليماً خبيراً متكلماً مدبراً، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات.

وفي هذا إبطال لجعل الحكم لغير الله؛ لأنَّ الحكم لا يكون إلَّا للكامل الصفات، الذي له الأمر، وببيده التصرف، وتأمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلِ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمْتُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُبِينُ﴾ ١٠ ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْثَمِ أَزْوَاجًا يَدْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١١ [له، مقاليد السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: ١٢ - ١٠]، أي: أنَّ الذي له هذه الصفات هو الذي يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، وجعل ذلك لغيره أظلم الظلم وأعظم الجحود ﴿أَفَحُكْمُ الْجَهَنَّمَ يَعْنُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حَكَماً لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

كما أنَّ في ذلك دلالة على أنَّ من هذا شأنه هو المستحق وحده أن يفرد بالذل والخضوع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا إلَّا تَعْبُدُوا إلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ أَلْيَهُنَّ الْقَيْسِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ أَنَّاسِنَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّاهًا إِلَّاهًا لَآ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ومن أسماء الله: «الحاكم»؛ ففي الحديث عن هانئ بن يزيد الحارثي: أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فلِمَ تَكْنِي أَبَا الْحُكْمِ؟» فقال: إنَّ قومي إذا

اختلقو في شيء أتونني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا فما لك من الولد؟»، قال: لي شريح ومسلم وعبد الله، قال: «فمن أكبّرهم؟»، قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»، رواه أبو داود والنسائي والبخاري في «الأدب المفرد»<sup>(١)</sup>.

أمّا كمال الحكمة فثبتوت الحكمة له سبحانه في خلقه وفي أمره وشرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها، ولا يتوجه إليه سؤال ولا يقدح في حكمته مقال.

أمّا الحكمة في الخلق فإنّه سبحانه خلق الخلق بالحق، ومشتملا على الحق، وكان نهاية وغاية الحق، أوجده بأحسن نظام، ورتبه بأكمل إتقان، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته اللائقة به، بحيث لا يُرى فيه شيء من التفاوت والخلل **﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُتٍ فَإِنَّجِعَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾**<sup>(٢)</sup> **﴿ثُمَّ أَتَجِعَ الْبَصَرَ كُرَّنِينَ يَنْقَبِتُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾** [الملك: ٣ - ٤]، ولو اجتمعت عقول الخلق على أن يقرّروا مثلاً أو أحسن من هذه الموجودات لم يقدروا على ذلك **﴿مُصْنَعُ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [النمل: ٨٨].

وإذا كان من المتقرر أنَّ الله سبحانه له الكمال الذي لا يحيط به العباد، وأنه ما من كمال تفرضه الأذهان ويقدرها المقدرون إلَّا والله أعظم من ذلك وأجل؛ فإن أفعاله وجميع ما أوصله إلى الخلق أكمل الأمور وأحسنها وأنظمها وأتقنها، فال فعل يتبع في كماله وحسنه فاعله، والتدبیر منسوب إلى مدبره، والله تعالى كما لا يشبهه

(١) «سنن أبي داود» (رقم: ٤٩٥٥)، و«سنن النسائي» (رقم: ٥٣٨٧)، و«الأدب المفرد» (رقم: ٦٢٣). وصحّحه الألباني في «صحيحة الأدب المفرد» (رقم: ٨١١).

أحد في صفاته في العظمة والحسن والجمال، فكذلك لا يشبهه أحد في أفعاله.  
وأمّا الحكمة في أمره وشرعه فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل  
الرسول ليعرّفه العباد ويعبدوه، فلم يخلقهم هملاً، ولم يوجد لهم سُدًّا، بل خلقهم  
لأكمل مقصد، وأوجدتهم لأجل غاية.

ومعرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له التي هي مقصود الخلق هي أفضل العطاء يا منه تعالى لعباده على الإطلاق، وأجل الاهبات وأشرف المنن لمن يمن الله عليه بها ويكرمه ببلغها وتحقيقها، وهي أكمل السعادة والفلاح والسرور للقلوب والأرواح، بل هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية، والفرح السرمدي.

إضافة إلى هذا فإن شرعيه قد اشتمل على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علمًا وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، ويحصل لها أفضل المعارف وأجل العلوم، وأوامره كلّها منافع ومصالح، وتشمر الأخلاق الجميلة والحسان الكريمة والأعمال الصالحة والطاعات الزاكية، والهدي الكامل، ونواهيه كلها موافقة للعقول الصحيحة والفطر السليمة، فلم ينـه إلـا عـما يضر النـاس في عـقوبـهم وأخـلاقـهم وأعـراضـهم وأبدـانـهم وأموـالـهم.

ومن حكمه وحكمته سبحانه مجازة المحسن بإحسانه، وال المسيء بإساءاته، قال تعالى في شأن المحسن: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال في شأن المسيء: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَذِيقَةً لِّلَّذِينَ أَسْتَوْأُوا السُّوَادَ ﴾ [الروم: ١٠]، فلا يسوّي سبحانه بين محسن ومسيء، لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَعْلَمُهُمْ كُلُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً تَحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٢٥)، وهذا من كمال عدله، وهو مناسب غاية المناسبة لحكمة أحکم الحاكمين سبحانه.

## المؤمن، الصادق

وقد ورد اسم الله «المؤمن» في آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَالِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهَيِّئُ الْمَرِيزُ الْجَبَّازُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

والإيمان يرجع معناه إلى التصديق والإقرار، وما يقتضيه ذلك من الإرشاد وتصديق الصادقين، وإقامة البراهين على صدقهم، فهو تعالى المؤمن الذي هو كما أثني عليه نفسه، وفوق ما يبني عليه عباده، ولهذا قال مجاهد رحمه الله: «المؤمن: الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]». وهي شهادة عظيمة كريمة من أعظم شاهد، وهو الله رب العالمين؛ لأنّه مشهود به، وهو توحيد الله، وإخلاص الدين له.

ومن هذا المعنى ما رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري حديثهما، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد،

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي»<sup>(١)</sup>.  
 قال أبو إسحاق: ثم قال الأغر شيئاً لم أفهمه، قلت لأبي جعفر: ما قال؟ قال:  
 «من رزقهنَّ عند موته لم تمسه النار».

فهذه شهادة عظيمة من الله لنفسه بوحدانيته، وتصديق للشهداء بذلك من عباده، وهذا التصديق من الله لعباده الشاهدين له بالتوحيد، وكذلك تأييده لهم بالحججة والبرهان، كله من دلائل اسمه «المؤمن».

قال ابن القِيم رحمه الله: «من أسمائه المؤمن، وهو في أحد التفسيرين: المصدق، الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسleه وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دلَّ بها على صدقهم قضاء وخلقها، فإنه سبحانه أخبر - وخبره الصدق، وقوله الحق - أنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغت رسleه حق، فقال تعالى: ﴿سَرِّيْهُمْ إِيمَانَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي: القرآن؛ فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُتُمْ بِهِ﴾ [فصلت: ٥٢]، ثم قال: ﴿أَوْلَمْ يَكْفِ يَرَيْكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فشهد سبحانه لرسوله بقوله أن ما جاء به حق، ووعده أن يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل وهو شهادته سبحانه على كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

(١) «جامع الترمذى» (رقم: ٣٤٣٠)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٣٧٩٤). وحسنه الترمذى.  
 وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٣٩١).

(٢) «مدارج السالكين» (٤٨٥/٣).

وهذا معنى قول قتادة رَجُلَ اللَّهِ: «المؤمن آمن لقوله أنه حق»<sup>(١)</sup>.

كما أنّ من دلائل اسمه «المؤمن» تأمين الخائف، وذلك بإعطائه الأمان وهو ضد الإخافة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُم مِنْ خَوْفٍ﴾ [قرش: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَكْبِدُنَّهُم مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المؤمن: أي: آمن خلقه من أن يظلمهم»<sup>(٢)</sup>.

فكل خائف يصدق في لجوئه إلى الله يجده سبحانه مؤمناً له من الخوف، فآمن العباد وأمن البلاد بيده سبحانه.

وبما تقدّم يعلم أن اسم الله «المؤمن» يدل على معانٍ عظيمة وأمور جليلة، يمكن تلخيص أهمها في النقاط التالية:

فمن دلائل اسمه «المؤمن» شهادته سبحانه لنفسه بالتوحيد، وهي أعظم شهادة، من أعظم شاهد، لأعظم مشهود به.

ومنها تصديقه سبحانه للشاهدين له بالتوحيد، والشهادة لهم بأن ما قالوه حق وصدق.

ومنها تصديقه لأنبيائه بالحجج والبيانات بأن ما قالوه وبلغوه عن الله حق لا ريب فيه، وصدق لا امتراء فيه.

ومنها أنه يصدق عباده ما وعدهم من النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْتُهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْتُهُمْ وَمَنْ نَشَاءَ﴾ [الأنياء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَوْلَوْا الصَّرْلَاحَتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمْكِنَّ

(١) رواه ابن جرير الطبرى فى «تفسيره» (٢٢/٥٥٢).

(٢) ذكره ابن كثير فى «تفسيره» (٨/١٠٥).

لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَهُمْ لَهُمْ وَلَكُبَدُلَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَ فَلَا يُشْرِكُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾ [النور: ٥٥].

ومنها: أنه يؤمن عباده المؤمنين وأولياءه المتقيين من عذابه وعقابه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ وَلَمْ يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ يُظْلَمُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ شَهِيدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَنْ يَلْقَنَ فِي الْأَنَارِ خَيْرًا مَمَنْ يَأْتِيَنَّ إِيمَانًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوهُ فَلَا حَوْفٌ عَيْنَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَرُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، ومنها أنه ينجزهم ما وعدهم من الفوز العظيم ودخول جنات التّعيم، قال تعالى: ﴿وَقَاتَلُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَرْثَنَا الْأَرْضَ نَبْرَأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَدِيلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

ومنها تأمّنه سبحانه الخائفين بإعطائهم الأمان وهو ضد الإخافة، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

وأما اسم الله «الصادق» فقد ورد في آية واحدة من كتاب الله ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُلْفٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَيْنِ حَرَمَنَا عَيْنَهُمْ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُلْمُوْرُهُمَا أَوِ الْحَوَابِيَا أَوْ مَا اخْتَطَلَ بِعَظَمٍ ذَلِكَ جَرِيَّتُهُمْ بِرَبِّيْهِمْ وَإِنَّا لَكَارِدُوْنَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

أي الصادق في وعده ووعيده، وفي كلّ ما يخبر به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا ريب أنّ الله تعالى وعد المطاعين بأن يشبعهم، ووعد السائلين بأن يجيبهم، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢١٨/١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم أنَّ المحسن لا يخاف لديه سبحانه ظلماً ولا هضماً، ولا يخاف بخساً ولا رهقاً، أو أن يضيع له مثقال ذرَّة؛ لأنَّ الله عَزَّوجَلَّ وعد - وهو الصادق - بتوقيته العاملين أجورهم، وإن كان مثقال ذرَّة جازاه بها ولا يضيعها عليه بل يضاعف لمن يشاء ويؤتي من لدنه أجرًا عظيماً، وأمّا المسيء فيجازيه بسيئة مثلها، ويجعلها عنه بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصائب. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقِبُ عَنْهُمْ أَحَسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَنْجَاوْرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَنِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].



## الغني

وقد ورد هذا الاسم في ثمانية عشر موضعًا من القرآن، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ دُوَّلَ الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

فهو تبارك وتعالى الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن إلا أن يكون غنيًّا؛ لأن غناه من لوازمه ذاته، فكما لا يكون إلا خالقا رازقا رحيمًا محسنا؛ فلا يكون إلا غنيا عن جميع الخلق، لا يحتاج إليهم بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكونوا كلهم إلا مفتقرين إليه من كل وجه، لا يستغنون عن إحسانه وكرمه وتدبيره وتربيته العامة والخاصة طرفة عين، وكل من في السموات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصروفون بمشيئته، لو أهلتهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة.

فمن كمال غناه أنه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فلو آمن أهل الأرض كلهم جميعا ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو كفروا جميعا لم ينقص

ذلك من ملكه شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يُشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّمَا يُجْهَدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّا وَأَسْعَتْهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَمْدِهِ﴾ [التغابن: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ بِحَمْدِهِ﴾ [إبراهيم: ٨].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»، وقال: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضرونني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن كمال غناه أن إنفاق المنفقين وبذل الباذلين في سبيله وابتغاء مرضاته لا ينفعه بشيء، وكذلك شح الشّيحيين وبخل البخلاء لا يضره شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَلْغَيْتُمُ الْفُقَرَاءَ وَلَمْ تَتَوَلَّا يَسْتَبِيلَ وَمَا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيْمِمُوا الْغَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِعَاجِزٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِحَمْدِهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومن كمال غناه تنزهه تبارك وتعالي عن الناقص والعيوب، فمن نسب إليه تعالى نقصا فقد نسب إليه ما ينافي غناه، قال تعالى: ﴿قَاتَلُوا أَتَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ أَعْلَمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

(١) (رقم: ٢٥٧٧) وهو طرف من حديث طويل عن أبي ذر رض.

ومن كمال غناه تنزّهه تبارك وتعالى عن الشركاء والأنداد؛ إذ كيف يسوّي التراب برب الأرباب، وكيف يسوى الفقير بالذات، الضعيف بالذات، العاجز بالذات، المحتاج بالذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم؛ بالغنى بالذات، القادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته، وكيف يسوى العبيد بهالك الرقاب، الذي جمّع رقاب العبيد تحت قبضته وطوع تدبّره، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الظِّينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّ أَرَادَ أَنْ يُهَلِّكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَمْكَمَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلَلَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

ومن كمال غناه أن خزائن السموات والأرض بيده، وأن جوده على خلقه متواصل آناء الليل والنهار، وأن يديه سحاء في كل وقت ﴿لَلَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

ومن كمال غناه أنه يدعو عباده إلى سؤاله كُلّ وقت، ويعدهم عند ذلك بالإجابة منها عظم السؤال، ويأمرهم بعبادته ويعدهم القبول والإثابة، وهو تبارك وتعالى واسع الفضل، جزيل النوال، وقد آتاهم من كل ما سألوه، وأعطاهم كل ما أرادوه وتمنوه.

ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض وأول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه كل ما تعلقت به مطالبهم فأعطاهم سؤلهم لم ينقص ذلك مما عنده، ففي الحديث القدسي يقول تعالى: «يا عبادي لو أَنْ أُولَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ، قاموا في صعيد واحد، فسألوهني، فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسأله، ما نقص ذلك

مَا عَنِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا أَدْخَلَ فِي الْبَحْرِ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن كمال غناه العظيم الذي لا يقادر قدره ولا يمكن وصفه ما يبسطه تبارك وتعالى على أهل الإيمان في جنات النعيم من صنوف اللذات وأنواع النعم وأطابيب المन ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ قَسْطًا مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٌ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فمن عرف ربَّه بهذا الوصف العظيم عرف نفسه، من عرف ربَّه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقير المطلق، ومن عرف ربَّه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربَّه بالعزَّ التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربَّه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، وعلِّمُ العبد بافتقاره إلى الله الذي هو ثمرة هذه المعرفة هو عنوان سعادة العبد وفلاحه في الدُّنيا والآخرة.



---

(١) طرف من حديث أبي ذر حَذِيفَةَ المتقدم.

## الكريم، الأكرم

أما «الكريم» فقد ورد في ثلاثة مواضع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِفَسِيهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبَّهُ عَنِّي كَبِيرٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، على قراءة من قرأ ببرفع «الكريم» على أنه صفة للربّ.

وأما «الأكرم» فقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْمَ﴾ [العلق: ٣].

و«الكريم»: هو الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضلُه، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم كما في الآيات المتقدمة.

ووصف كلامه بالكرم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْمٌ كَبِيرٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، أي: كثير الخير غزير العلم، فكل خير وعلم إنما يستفاد من القرآن.

ووصف عرشه بذلك كما في قوله: ﴿فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، على قراءة من قرأ بالكسر على أنه صفة للعرش، أي: حسن المنظر بهي الشكل.

ووصف بذلك ثوابه العظيم ونعمته المقيم الذي أعده لعباده المؤمنين،  
قال تعالى: ﴿لَمْ دَرَجْتُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةً وَرِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأنفال: ٤]، وقال  
تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَنُوا كَيْأَرَ مَا تُهْنَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُذْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، والمدخل الكريم هو الطيب الحسن السالم من الآفات  
والعاهات ومن المهموم والأحزان ومن المنغصات والمكدرات.

ووصف بذلك ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره كما في قوله  
تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧].

ولفظ «الكرم» لفظ جامع للمحسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء،  
بل الإعطاء من تمام معناه، وللذا ورد عن أهل العلم في معنى هذا الاسم أقوال  
عديدة، فقيل: معناه: أي: كثير الخير والعطاء، وقيل: الدائم بالخير، وقيل: الذي  
له قدر عظيم وشأن كبير، وقيل: أي: المنزه عن الناقص والآفات، وقيل: معناه:  
المكرم المنعم المتفضل، وقيل: الذي يعطي لا لعوض، وقيل: الذي يعطي لغير  
سبب، وقيل: الذي يعطي من يحتاج ومن لا يحتاج، وقيل: الذي إذا وعد وفَّى،  
وقيل: الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة أو كبيرة، وقيل: الذي لا يضيع من  
التجأ إليه، وقيل في معناه: الذي يتجاوز عن الذنوب ويغفر السيئات، إلى غير  
ذلك مما قيل في معنى هذا الاسم العظيم، وكل ذلك حقٌّ؛ لأن هذا الاسم من  
الأسماء الحسنة الدالة على معانٍ عديدة لا على معنى مفرد، وإذا اعتبرت جميع ما  
قيل في معنى هذا الاسم علمت أن الذي وجب لله تعالى من ذلك لا يحصل من  
جلائل المعاني وكرائم الأوصاف.

فإذا قلنا: الكريم: هو الكثير الخير والعطاء؛ فمن أكثر خيرا من الله؟

لعموم قدرته وسعة عطائه، بل الخير كله في يديه.

وإذا قلنا: إنه الدائم بالخير؛ فذلك بالحقيقة لله وحده، فإن كل شيء ينقطع إلا الله وإحسانه، فإنه دائم متصل في الدنيا والآخرة.

وإذا قلنا: إن الكريم هو الذي له قدر عظيم وشأن كبير؛ فالله جل وعلا لا يقدر قدره ولا يدرك العباد كنه صفاتة وكمال نعوتة.

وإذا قلنا: إن الكريم هو المنزه عن النقائص والآفات فهو الله وحده بالحقيقة القدوس السلام، الذي لا يلحق النقص شيئاً من صفاتة، المنزه عن النقائص والعيوب.

وإذا قلنا: إن الكريم معناه المكرم المنعم المتفضل؛ فمن المكرم المنعم المتفضل إلا الله وحده، الذي بيده مقايد السموات والأرض، وخزائن كل شيء، والفضل كله بيده، يؤتى به من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يكرمه الله فمن الذي يكرمه ﴿وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مُكْرِمٌ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وإذا قلنا: معناه: الذي يعطي لا لعوض؛ فليس كذلك إلا الله وحده، فالخلق خلقه، والملك ملكه، والعطاء عطاوه، ولا يبلغ العباد نفعه بشيء، فهو الغني الحميد.

وإذا قلنا: معناه: الذي يعطي لغير سبب فهو الله وحده المتفضل بالنوال من غير سؤال، بدأ الخلق بالنعم، وأوسع عليهم العطاء تفضلاً منه وكرماً.

وإذا قلنا: معناه الذي يعطي من يحتاج ومن لا يحتاج؛ فهو الله وحده يعطي المحتاج حاجته ويزيهه إنعاماً منه وتفضلاً.

وإذا قلنا: معناه الذي إذا وعد وفي؛ فإن كل من يعد يمكن أن يفي

ويمكن أن يقطعه عذر، ويحول بينه وبين الوفاء أمر، والباري صادق الوعد  
لعموم قدرته وعظم ملكته، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع.  
وإذا قلنا: معناه الذي ترفع إليه كل حاجة صغيرة وكبيرة فهو الله وحده

﴿يَسْأَلُهُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وإذا قلنا: معناه أي: الذي لا يضيع من التجأ إليه؛ فهو الله وحده القائل  
عن نفسه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرًا مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]، والقائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ إِنَّا سَمِيعُونَ﴾ [غافر: ٦٠].

وإذا قلنا: معناه الذي يتجاوز عن الذنب ويفتر السينات؛ فهو الله وحده،  
وهو من كرمه سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فمن كرمه أنه هو الذي جاد  
وتفضل بالتوبة على التائب، ومن كرمه تفضيله سبحانه بقبوها منها عظم الذنب  
وكم الجرم، ومن كرمه أنه يبدل سينات التائبين حسنات، ومن كرمه سبحانه أنه  
يفتح بتوة التائبين وإنابة المنيبين، ومن كرمه سبحانه أنه يستحيي من عبده إذا مد  
يديه إليه سائلا متذللا أن يرد هما صفرًا خائبتين<sup>(١)</sup>.

وأعظم أسباب نيل كرامة الكريم سبحانه تقواه جل وعلا في السر  
والعلن، فالأكرم عنده سبحانه الأتقى له من عباده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

جعلنا الله من عباده المتقيين، ومن أوليائه المكرمين، إنه سميع مجيب.



---

(١) انظر: «الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (١/٣٣-٣٩).

## السلام

وهو اسم ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمَّيْتُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَشَرِّكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومعنى هذا الاسم الكريم أي: السلام من جميع العيوب والنقائص، لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو جل وعلا السلام الحق بكل اعتبار، سلامٌ في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيّله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم و فعل واقع على غير وجه الحكمة، وهو سبحانه السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكافء والسميّ والمأثم، والسلام من الند والشريك.

وهو اسم يتناول جميع صفات الله تعالى، فكل صفةٍ من صفاته جل وعلا سلام من كل عيب ونقص، وفي تفصيل هذا وتقريره يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفةٍ سلامًا ما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت ومن السُّنَّة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللَّغُوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكير، وإرادته سلامٌ من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من

الكذب والظلم، بل تمت كلماته صدقاً وعدلاً، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غنيٌّ عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاونٍ مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه، وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلاّ هو.

وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذلٌّ أو مصانعةٍ كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلماً أو تشفيًا أو غلطة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمته، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضاً لحكمته ولعزته، فوضعه العقوبة مواضعها هو من حمده وحكمته وعزته، فهو سلام مما يتوجه وأجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضايا وقدره سلامٌ من العَبَث والجُور والظلم ومنْ تَوَهُمْ وُقُوعِه على خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل.

وكذلك عطاوه سلام من كونه معاوضة أو حاجة إلى المعطى، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملأاق، بل عطاوه إحسان محض لا معاوضة ولا حاجة، ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوٌّ على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش وعن

حملته وعن كل ما سواه، فهو استواءٌ وعلوٌ لا يشوبه حصرٌ ولا حاجةٌ إلى عرش ولا غيره ولا إحاطةٌ شيءٌ به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه ولا عرش ولم يكن به حاجةٌ إليه وهو الغني الحميد، بل استواءٌ على عرشه واستيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجةٍ إلى عرش ولا غيره بوجه ما.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلامٌ مما يضادُّ علوَّه، وسلامٌ مما يضادُّ غناه وكماله، وسلامٌ من كل ما يتوهّم معطلٍ ومشبهٍ، وسلامٌ من أن يصير تحت شيءٍ أو مخصوصاً في شيءٍ تعالى الله ربنا عن كل ما يضاد كماله وغناه.

وسمعه وبصره سلامٌ من كل ما يتخيله مشبهٍ أو يتقوله معطلٍ، وموالاته لأوليائه سلامٌ من أن تكون عن ذلٍ كما يوالي المخلوقُ المخلوقَ، بل هي موالاة رحمةٍ وخيرٍ وإحسانٍ وبرٍ، كما قال: ﴿وَقُلْ لِلَّهِمَّ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَنَعَّذْ وَلَدَّا وَقَرْ يَكْنَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأَذْلِ﴾ [الإسراء: ١١١]، فلم ينفِ أن يكون له ولِيٌّ مطلقاً، بل نفي أن يكون له ولِيٌّ من الذل.

وكذلك محبته لمحبّيه وأوليائه سلامٌ من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجةٍ إليه أو تملّق له أو انتفاع بقربه، وسلامٌ مما يتقوله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه فإنه سلامٌ عما يتخيّله مشبهٍ أو يتقوله معطلٍ.

ثم ختم رحمه الله تعالى هذا التقرير الوافي بقوله: «فتتأمل كيف تضمن اسمه «السلام» كل ما نُزِّه عنه تبارك وتعالى، وكم من حفظ هذا الاسم لا يدرى ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني»<sup>(١)</sup>.

ومن دلائل هذا الاسم أنه تبارك وتعالى ذو السلام، أي: المسلم على عباده،

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/١٣٥ - ١٣٧).

فهو المسلم على رسالته وأنبيائه عليهم صلاة الله وسلامه؛ لإيمانهم وكمال عبوديتهم وقيامهم بالبلاغ المبين، قال تعالى: ﴿قُلْ لَحْمَدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَا﴾ [النمل: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَتَمَاءِ﴾ [الصفات: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفات: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصفات: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلَيْسَائِنَ﴾ [الصفات: ١٣٠]، والمسلم على عباده وأوليائه في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَيْمًا﴾ [الأحزاب: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا يَأْذِنُ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحْمَةٍ﴾ [يس: ٥٨].

وجعل تبارك وتعالى جنته دار السلام لعباده من الموت والأسقام والأحزان والآلام والهموم وغير ذلك من الآفات، قال تعالى: ﴿هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

وجعل تبارك وتعالى إفشاء هذا الاسم في الدنيا سبيلاً لدخول دار السلام في الآخرة، قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفسحوا السلام بينكم»<sup>(١)</sup>.




---

(١) رواه مسلم (رقم: ٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## القدُّوس، السُّبُوح

أما اسمه تبارك وتعالى «القدوس» فقد ورد في القرآن مرتين: قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿يُسَيِّدُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْكَلِيلُ الْعَظِيمُ﴾ [الجمعة: ١].

وأما «السبوح» فقد ورد في السنة، وذلك فيما رواه مسلم في «صحيحة»<sup>(١)</sup> عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول في رکوعه وسجوده:

«سُبُوح قُدُّوس رب الملائكة والروح».

وقد جمع عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بين التسبيح والتقديس كما جُمع بينهما في قوله تعالى في ذكر تسبيح الملائكة وتقديسهم لله: ﴿وَنَحْنُ نُسِيَّحُ حَمْدَكَ وَنُنَقِّدُسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

و«السبوح القدس» اسمان عظيمان دالان على تنزيه الله عن الناقص والعيب، وتبれته عن كل ما يضاد كماله وينافي عظمته، كالسنة والنوم واللغوب والوالد والولد وغيرها، وعن أن يشبهه أحد من خلقه أو أن يشبه هو أحدا من خلقه، تعالى وقدس وتنزه

(١) (رقم: ٤٨٧).

عن الشبيه والنظير والمثال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسَمَّى الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ۱۱].

ومجموع ما ينَزَّهُ عنه تبارك وتعالى شيئاً:

أحد هما: أنه متنَّزَّهُ عن كلٍّ ما ينافي صفاتِ كماله، فإن له المتنَّى في كل صفة كمال، فهو الموصوف بكمال العلم وكمال القدرة، متنَّزَهُ عما ينافي ذلك من النّسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ومتَّنَّزَهُ عن العجز والتعب والإعياء واللّغوب، وموصوف بكمال الحياة والقيوميَّة، متنَّزَهُ عن ضدها من الموت والسُّنة والنوم، موصوف بالعدل والغنى التام، متنَّزَهُ عن الظلم وال الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، متنَّزَهُ عما يضادُ ذلك من العبث والسفَّه، وأن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة والرحمة، وهكذا جميع صفاتِه متنَّزَهُ عن كل ما ينافيها ويضادُها.

الثاني: أنه متنَّزَّهُ عن ماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له ند بوجه من الوجوه، فالمخلوقات كلها وإن عظمت وشرفت وبلغت المتنَّى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها؛ فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري، بل جميع أوصافها تضمحل إذا نسبت إلى صفات باريها وحالتها، بل جميع ما فيها من المعانى والنعمات والكمال هو الذي أعطاها إياها، فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علمها وألهمنها، وهو الذي نماها ظاهراً وباطناً وكملاً لها. فهو المتنَّزَهُ عن كل ما ينافي صفاتِ المجد والعظمة والكمال، وهو المتنَّزَهُ عن الضد والنَّد والكافر والأمثال.

وينبغي أن يعلم هنا أن تسبِّحَ الله وتقدِّسه إنما يكون بتبرئة الله وتنزيهه عن كل سوء وعيب، مع إثباتِ المحامد، وصفاتِ الكمال له سبحانه على الوجه اللائق به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأمر بتسبيحه يقتضي تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه وتحميده وتكبیره وتوحیده»<sup>(١)</sup>.

وبه يعلم أنَّ ما يفعله المعطلة من أهل البدع من تعطيلٍ للصفات وعدم إثبات لها وجحد لحقائقها ومعانيها بحججة أنها مسبحون الله وينزهونه فهو في الحقيقة ليس من التسبيح والتقديس في شيء، بل هو إنكار وجحود، وضلال وبهتان.

قال ابن رجب رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿فَسَيِّخَ بِمَحْمَدٍ رَّبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨]: «أي: سبحة بها حمد به نفسه، إذ ليس كل تسبيح بمحمود، كما أن تسبيع المعتزلة يقتضي تعطيل كثير من الصفات»<sup>(٢)</sup>.

فقوله رحمه الله: «إذ ليس كل تسبيع بمحمود» كلامٌ في غاية الأهمية، إذ إن تسبيع الله بإنكار صفاته وجحدها وعدم إثباتها أمر لا يحمد عليه فاعله، بل يلزم غاية الذم، ولا يكون بذلك من المسبحين بحمد الله، بل يكون من المعطلين المنكريين الجاحدين، من الذين نزعوا الله نفسه عن قولهم وتعطيلهم بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ١٨٠ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٨١ ﴿وَلَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢]، فسبح الله نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه في حق الله من النقص والعيوب. إن تسبيع الله وتقديسه وتنزيهه وتعظيمه يجب أن يكون وفق دلائل الكتاب والسنة وفي ضوء فهم سلف الأمة، ولا يجوز بحال أن يبني على الأهواء المجردة أو الطعون الفاسدة أو الأقىسة العقلية الكاسدة كما هو الشأن عند أرباب البدع

(١) «دقائق التفسير» لابن تيمية (٥٩ / ٥).

(٢) «تفسير سورة النصر» (ص / ٧٣).

المعطلين لصفات الرب سبحانه زعماً منهم أن هذا من باب التسبيح والتقديس، ومن كان يعتمد في باب التسبيح والتعظيم على هواه بغير هدى من الله فإنه ينزل في هذا الباب ويقع في أنواع من الباطل وصنوف من الضلال، ومن عافاه الله من هذا السبيل في تسبيحه فقد هدي إلى صراط مستقيم.

إذ التسبيح طاعة عظيمة وعبادة جليلة حبية إلى الرحمن، ثقيلة في الميزان، كما قال ﷺ: «كلمتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهو صلاة جميع المخلوقات كما قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِمَهْدِهِ وَلَكِنَّ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمُ اللَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، وبه ترزق، كما صح عن عبد الله بن عمرو بن العاص حفظها ، عن النبي ﷺ أن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: «آمرك بـ «لا إله إلا الله»؛ فإن السموات السبع، والأرضين السبع لو وضعتم في كفة، ووضعت «لا إله إلا الله» في كفة رجحت بهن «لا إله إلا الله». ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع كن حلقة مُبهمة قصمتهن «لا إله إلا الله»، و«سبحان الله وبحمده»؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق الخلق» رواه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»<sup>(٢)</sup>.

جعلنا الله من المسبحين بحمده، المؤمنين بأسمائه وصفاته، المحققين لتوحيده وتعظيمه، إنه سميع مجيب.

(١) البخاري (رقم: ٦٠٤٣)، ومسلم (رقم: ٢٦٩٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١٧٠)، و«الأدب المفرد» (٥٤٨) وغيرهما وإنسناه صحيح. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم: ١٣٤).

## الحمد

وقد تكرر ورود هذا الاسم في القرآن الكريم سبع عشرة مرّة، قال الله تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: **﴿وَهُدُوا إِلَى الْأَطِيبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾** [الحج: ٢٤]، وقال تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾** [البقرة: ٢٦٧]، وقال تعالى: **﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾** [لقمان: ١٢]، أي: الذي له الحمد كله، المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح، وأعظم الثناء؛ لأن جميع أسماء الله تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله وإحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده، وكان الغاية منه هي حمد، فحمده سبحانه سبب ذلك وغايته ومظهره، فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره أمر مشهود بالبصائر والأبصار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأيضاً فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّ له الحمد، وأنَّه حميد مجید، وأنَّ له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع المحامد.

والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده، وهو من الشّكر.

وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال<sup>(١)</sup>.

أما حمده سبحانه على إحسانه إلى عباده فلأن النعمة موجبة لحمد المنعم، والنعم كلها من الله، وهذا النوع من الحمد مشهود للخليقة بِرُّها وفاجرها، مؤمنها وكافرها من جزيل موهابته، وسعة عطياته، وكريم أياديها، وجليل صنائعها، وحسن إكرامه لعباده، وسعة رحمته لهم، وبره ولطفه، وإجابتة لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ورحمته للعلمين، وابتدائه بالنعم قبل السؤال، ومن غير استحقاق، بل ابتداءً منه بمجرد فضله وكرمه وإحسانه، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال، وهدايته خاصته وعباده إلى سبيل دار السلام، ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمايتهم من الوقوع في الآثام، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وفتح لهم أبواب الهدى، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه، إلى غير ذلك من نعمه التي لا تمحى، وألائيه التي لا تستقصى، ومن أراد مطالعة أصول النعم وما توجبه من حمد الله وذكره وشكره وحسن عبادته فليُدْمِ سرَّ الذِّكر في رياض القرآن الكريم، وليتَمَّلْ ما عَدَ الله فيه من نعمه وتعرَّف بها إلى عباده من أول القرآن إلى آخره.

فلله الحمد شكرًا، وله الحمد فضلاً، له الحمد بالإسلام، وله الحمد بالإيمان، وله الحمد بالقرآن، وله الحمد بالأهل والمال والمعافاة، له الحمد بكل نعمة أنعم بها

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٨٣ - ٨٤).

في قديم أو حديث، أو سرّ أو علانية، أو خاصة أو عامة، حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضي.

وأمام حمده سبحانه لما له من الأسماء والصفات ولما يستحقه من كمال النعموت فأمّر متواتر؛ فإنه سبحانه قد حمد نفسه في كتابه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية، وحمد نفسه على كمال أسمائه وعظمته صفاتة، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بها لا يليق به من اتخاذ الولد والشريك وموالاة أحد من خلقه حاجته إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْجِدْ لَدَنَّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ النَّذِلِ وَكِبِيرٌ تَكَبِّيرًا﴾ [الإسراء: 111].

وحمد نفسه على عظمته وكبرياته، كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا الْحَمْدُ رِبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمَيْنِ ﴾ [وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: 36-37]، وحمد نفسه في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان الحمد في العالم العلوي والسفلي ونبيه على ذلك كله في كتابه في آيات عديدة تدلّ على تنوع حمده سبحانه وتعدد أسباب حمده، وقد جمعها الله في مواطن من كتابه وفرقها في مواطن أخرى ليتعرف إليه عباده، ول يعرفوا كيف يحمدونه وكيف يثنون عليه، ول يحبب إليهم بذلك، ويحبهم إذا عرفوه وأحبّوه وحمدوه.

وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعًا، جمع في بعضها أسباب الحمد، وفي بعضها ذكرت أسبابه مفصلة.

فمن الآيات التي جمع فيها أسباب الحمد قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنِ﴾ [الفاتحة: ۲]، وقوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ۷۰]، وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سباء: ۱].

ومن الآيات التي ذكر فيها أسباب الحمد مفصلة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانُوا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وفيها حمده على نعمة دخول الجنة، وقوله تعالى: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وفيها حمده على النصر على الأعداء والسلامة من شرّهم، وقوله تعالى: ﴿فَكَادُوا عُوْدُهُ مُخَاصِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، وفيها حمده على نعمة التوحيد وإخلاص العبادة له وحده، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبْرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وفيها حمده سبحانه على هبة الولد، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَانًا﴾ [الكهف: ١]، وفيها حمده سبحانه على نعمة إنزل القرآن الكريم قيامًا لا عوج فيه، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْجِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْحُكْمِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْأَنْذُلِ وَكَيْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]، وفيها حمده سبحانه لكماله وجلاله وتزنه عن النقصان والعيوب.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والله تعالى قد افتتح كتابه بالحمد، وافتتح بعض سور القرآن بالحمد، وافتتح خلقه بالحمد، واختتمه بالحمد، فله الحمد أولاً وأخرًا، وله الشكر ظاهرًا وباطنًا، وهو الحميد المجيد.



## المجيد

وهو اسم عظيم ورد في كتاب الله في موضعين: قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٥]; برفع «المجيد»، وقد قرئ «المجيد» بالرفع نعتاً لله عزّوجلّ، وبالجرّ نعتاً للعرش.

وهو من الأسماء الحسنى الدالة على أوصاف عديدة لا على معنى مفردٍ. ومعناه: واسع الصفات عظيمها، كثير النعموت كريمها، فالمجيد يرجع إلى عظمة أوصافه وكثرتها وسعتها، وإلى عظمة ملكه وسلطانه، وإلى تفرده بالكمال المطلق والجلال المطلق والجمال المطلق، الذي لا يمكن العباد أن يحيطوا بشيء من ذلك، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه، لا مجد إلا مجدُه، ولا عظمة إلا عظمته، ولا جلال ولا جمال ولا كبرياء إلا جلاله وجماله وكبرياؤه، أسماؤه كلها مجد، وصفاته مجد، وأفعاله وأقواله مجد، الممجّد في ذاته وصفاته.

والله عزّوجلّ مجد نفسه في كتابه في آيات عديدة، بل إنَّ القرآن الكريم كله كتابٌ تمجيد وتعظيم لله عزّوجلّ، لا تخلو آيةٌ من القرآن من ذكر شيء من أسماء الله الحسنى

وصفاته العليا وأفعاله الحكيمـة، وأعظم آي القرآن هي التي اشتـملت على ذلك، فـآية الكرسيـيـة هي أـعـظم آـيـة في القرآنـ الكـرـيمـ فيها من أـسـمـاء اللهـ الحـسـنـيـ خـمسـةـ أـسـمـاءـ، وـفـيـهاـ منـ صـفـاتـ اللهـ ماـ يـزـيدـ عـلـىـ العـشـرـينـ صـفـةـ، وـسـورـةـ الإـخـلاـصـ التـيـ تـعـدـ ثـلـثـ القرآنـ أـخـلـصـتـ لـبـيـانـ أـسـمـاءـ اللهـ الحـسـنـيـ وـصـفـاتـ الـعـظـيمـةـ، وـسـورـةـ الفـاتـحةـ التـيـ هيـ أـعـظمـ سـورـةـ فيـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ نـصـفـهـ ثـنـاءـ عـلـىـ اللهـ وـتـمجـيدـ.

روى مسلم في «صحيـحـه»<sup>(١)</sup> من حـديثـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ جـلـلـهـ عـنـهـ قال: سـمعـتـ رـسـولـ اللهـ صـلـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ يـقـولـ: «قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: قـسـمـتـ الصـلـاـةـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ عـبـدـيـ نـصـفـيـنـ، وـلـعـبـدـيـ مـاـ سـأـلـ؛ إـذـاـ قـالـ الـعـبـدـ: الـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ؛ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: حـمـدـيـ عـبـدـيـ، وـإـذـاـ قـالـ: الرـحـمـنـ الرـحـيمـ؛ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: أـشـنـىـ عـلـيـ عـبـدـيـ، وـإـذـاـ قـالـ: مـالـكـ يـوـمـ الدـيـنـ؛ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: مجـدـيـ عـبـدـيـ، وـإـذـاـ قـالـ: إـيـاكـ نـعـبـدـ وـإـيـاكـ نـسـتـعـنـ؛ قـالـ: هـذـاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ عـبـدـيـ، وـلـعـبـدـيـ مـاـ سـأـلـ، وـإـذـاـ قـالـ: اهـدـنـاـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ صـرـاطـ الـذـيـنـ أـنـعـمـتـ عـلـيـهـمـ غـيرـ المـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ الضـالـلـيـنـ؛ قـالـ: هـذـاـ لـعـبـدـيـ وـلـعـبـدـيـ مـاـ سـأـلـ». .

والـصـلـاـةـ كـلـلـهاـ قـائـمـةـ عـلـىـ الشـنـاءـ وـالـتـعـظـيمـ وـالـتـمـجـيدـ لـلـحـمـيدـ الـمـجـيدـ سـبـحـانـهـ أـهـلـ الشـنـاءـ كـلـهـ وـالـمـجـدـ، وـقـدـ كـانـ رـسـولـ اللهـ صـلـلـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّمـ إـذـاـ رـفـعـ رـأـسـهـ مـنـ الرـكـوعـ قـالـ: «رـبـنـاـ لـكـ الـحـمـدـ، مـلـءـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ، وـمـلـءـ مـاـ شـئـ مـنـ شـيـءـ بـعـدـ، أـهـلـ الشـنـاءـ وـالـمـجـدـ، أـحـقـ مـاـ قـالـ الـعـبـدـ، وـكـلـلـنـاـ لـكـ عـبـدـ، اللـهـمـ لـاـ مـانـعـ لـاـ أـعـطـيـتـ، وـلـاـ مـعـطـيـ لـاـ مـنـعـتـ وـلـاـ يـنـفعـ ذـاـ الجـدـ مـنـكـ الجـدـ» رـوـاهـ مـسـلـمـ<sup>(٢)</sup>، وـفـيـ رـكـوعـهـ وـسـجـودـهـ يـعـظـمـ اللهـ وـيـمـجـدـهـ، وـإـذـاـ قـدـ لـلـتـشـهـدـ يـشـنـيـ عـلـىـ اللهـ وـيـمـجـدـهـ وـيـخـتـمـ ذـلـكـ بـقـولـهـ: «إـنـكـ حـمـيدـ مـجـيدـ»، فـأـوـلـ

(١) (رـقمـ: ٣٩٥).

(٢) (رـقمـ: ٤٧٧) مـنـ حـديثـ أـبـيـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ جـلـلـهـ عـنـهـ.

الصلة حمد وتجيد، وأخرها حمد وتجيد، بل كلها قائمة على الحمد والتجيد.

قال ابن القيّم رحمه الله: «وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قال الملائكة  
لبيت الخليل عليه السلام: ﴿فَالْوَأْنَجِيَّنَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَرَبِّكُمْ عَيْنُكُمْ أَهْلَ الْمَيْتَ إِنَّهُ  
حَمِيدٌ مَحِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، كما شرع لنا في آخر الصلاة أن نثنى على الرب تعالى أنه حميد  
مجيد، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول: «ربنا ولك الحمد أهل الثناء والمجد»،  
فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد، فالحميد: الحبيب المستحق لجميع  
صفات الكمال، والمجيد: العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام»<sup>(١)</sup>.

وفي ختم التشهد باسم الله المجيد معنى لطيفٌ نَبَّهَ عليه ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: «وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه لأنَّه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء وكثرةه ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه»<sup>(۲)</sup>.

لأنَّ المجد يدلُّ على كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال البر والخير وتعدد العطاء والنوال.

وأشرف أحوال العبد وأرفع مقاماته أن يكون مُثنياً على ربِّه معظماً لجنباه  
مجداً له، ومن أعظم ذلك تلاوة كلامه المجيد، وقد وصفه تبارك وتعالى بذلك في  
موضعين من القرآن، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قَرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾٢١﴾ فِي لَوْجٍ مَّخْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]  
وقال تعالى: ﴿قَرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [ق: ١].

(١) «التبیان في أقسام القرآن» (ص / ١٢٥).

٢) «بدائع الفوائد» (١ / ١٤٤).

فالقرآن مجید أى: علیٰ قدره، رفیع شأنه، عظیمة مکانته، لا يأتيه الباطل من  
بین يديه ولا من خلفه تنزيل من حکیم حمید.

وما يمجّد به الرب سبحانه حسن الثناء عليه تحمیداً وتكبیراً وتسبیحاً  
وتهليلاً، ومن لازم ذلك سعد سعاده لا شقاء معها، وفاز بخیري الدُّنيا والآخرة.

روى البخاري في «صحیحه»<sup>(۱)</sup> عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله صلی اللہ علیہ وسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً يَطْوِفُونَ فِي الْطُّرُقِ يُلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فِي حَفْنِهِمْ بِأَجْنَاحِهِمْ إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّوَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ مَنْهُمْ - مَا يَقُولُ عَبْدِي؟ قَالَ: تَقُولُ: يَسْبُحُونَكَ، وَيَكْبُرُونَكَ، وَيَحْمُدُونَكَ، وَيَمْجُدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهُ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهُلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهُ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَيَكْفُلُ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حَرَصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمَمْ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهُلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهُ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلِكُ الْمَلَائِكَةُ: فِيهِمْ فَلَانْ لِيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجَلِسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ».

وإذا كان جليسهم لا يشقى فكيف الشأن بهم، نسأل الله الكريم من فضله.

.(۱) (رقم: ۶۰۴۵).

## الشكور، الشاكر

وقد ورد اسم «الشكور» في أربعة مواضع من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿لِيُوقِّيْهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْرَرِّفْ حَسَنَةً نَزِدُهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُهُ لَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وورد «الشاكر» في موضعين:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ نَطَّقَ عَحِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَّا إِلَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَثْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

وجميع هذه الموضع ستة التي ورد فيها هذان الأسمان مواضع امتنان من الله ﴿بِإِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَثْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ بِإِثْبَاتِهِ المطاعين، وتوفيقه للأجور، والزيادة من الفضل، والمضايعة للثواب، وهذا مما يبين لنا معنى هذين الأسمين، وأن الشكور الشاكر: هو الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف الأجر بلا حساب، الذي يقبل اليسير من العمل، ويثير عليه الثواب الكثير والعطاء الجزيل، والنوال الواسع، الذي يضاعف للمخلصين

أعْهَلُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَيُشَكِّرُ الشَاكِرِينَ، وَيُذَكِّرُ الظَاكِرِينَ، وَمَنْ تَقْرَبَ إِلَيْهِ شَبْرًا  
تَقْرَبُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقْرَبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا تَقْرَبُ إِلَيْهِ باعًا، وَمَنْ جَاءَهُ بِالْحَسْنَةِ زَادَ لَهُ  
فِيهَا حُسْنًا، وَآتَاهُ مِنْ لَدْنِهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

قال ابن القيم رحمه الله في بسط القول في معنى هذا الاسم وذكر معانيه العظيمة ودلائله الجليلة: «وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة، فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكوه عليه، ويشكير القليل من العمل والعطاء فلا يستقله أن يشكوه، ويشكير الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكير عبده بقوله بأن يثنى عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكير بفعله، فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئاً ردّه عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكراه على هذا وذاك، ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته أعراضهم عنها أن ملكهم الدنيا وفتحها عليهم، ولما احتمل يوسف الصديق عليه ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ولما بذل الشهداء أجذانهم له حتى مزقتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعراضهم منها طيراً خضراً أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث، فيردها عليهم وأكمل ما تكون وأجمله وأبهاه، ولما بذل رسلاً أعراضهم فيه لأعدائهم فنالوا منهم وسيوطهم أعراضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملايكته، وجعل لهم أطيب الثناء في سمواته وبين خلقه، فأخلصهم بخالصه ذكرى الدار.

ومن شكره سبحانه: أنه يجازي عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا، ويخفف عنه يوم القيمة فلا يضيع عليه ما يعمله من الإحسان، وهو من أغض خلقه إليه.

ومن شُكره: أنه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبا قد جهده العطش حتى أكل الشري، وغفر لآخر بتنحيةه غصن شوك عن طريق المسلمين.

فهو سبحانه يشكر العبد على إحسانه لنفسه، والملحق إنما [يشكر] من أحسن إليه، وأبلغ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن به إلى نفسه، وشكراً على قليله بالأضعاف المضاعفة التي لا نسبة لإحسان العبد إليها، فهو المحسن بإعطاء الإحسان وإعطاء الشكر، فمن أحق باسم «الشّكور» منه سبحانه؟!.

وتتأمل قوله سبحانه: ﴿مَا يَقْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا﴾ [النساء: ١٤٧]؛ كيف تجد في ضمن هذا الخطاب أن شكره تعالى يأبى تعذيب عباده بغير جرم، كما يأبى إضاعة سعيهم باطلًا، فالشكور لا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيء.

ومن شكره سبحانه: أنه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ولا يضيع عليه هذا القدر.

ومن شكره سبحانه: أن العبد من عباده يقوم له مقاما يرضيه بين الناس فيشكراً له، وينوه بذكره، ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين كما شكر المؤمن آل فرعون ذلك المقام، وأثنى به عليه، ونوه بذكره بين عباده، وكذلك شكره لصاحب يس مقامه ودعوته إليه، فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته إلا هالك، فإنه سبحانه غفور شكور، يغفر الكثير من الزلل، ويشكراً القليل من العمل.

ولما كان سبحانه هو الشّكور على الحقيقة كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدتها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجتها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، وهذا

يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، علیم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، المؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضايقها وينافيها» اهـ<sup>(١)</sup>.

وفي الآيات المتقدمة جمع بين الغفور والشكور، فهو سبحانه غفور للذنوب كُلُّها منها عظمت فلا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره، الشكور لكل عمل وإن قلل ولو كان مثقال ذرة، وهذا لا يجوز للمسلم أن يقتنط من غفران الله للذنوب منها عظمت، كما لا يجوز له أن يحقر من أعمال البر شيئاً منها قلت؛ فإن الرَّبْ سبحانه غفور شكور.

وإنا لنسأله سبحانه متواسِلين إليه بهذين الأسمين العظيمين أن يغفر لنا ذنبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، إنه غفور شكور.



---

(١) «عدة الصابرين» (ص / ٣٣٥ - ٣٣٧) باختصار.

## الحليم

وهو اسم تكرّر وروده في القرآن الكريم في عدة موضع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسِّلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوَلَا وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَسْكَنَهُمَا مِنْ حَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَأَخْذُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومعناه: أي: الذي لا يعدل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم ومعاصيهم، يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم عليهم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعدل، ويyoالي النعم عليهم مع معاصيهم وكثرة ذنوبهم وزلاتهم، فيحمل عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويمهلاهم كي يتوبوا، ولا يعجل لهم بالعقوبة كي يُنبوا ويرجعوا.

وحلمه سبحانه عن كفر به وعصاه عن علم وقوّة وقدرة لا عن عجز، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانُ اللَّهُ يَعْجِزُهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقد أخبر سبحانه عن حلمه بأهل المعاصي والذنوب وأنواع الظلم بأنه لو كان يؤاخذهم بذنوبهم أولاً بأول لما أبقى على ظهر الأرض من دابة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ

اللهُ أَنَّاسَ يُظْلِمُهُمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَأْبٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِنَّ أَجَلَ مُسْعَىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ ﴿٦١﴾ [النحل: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلاً﴾ [الكهف: ٥٨].

فمع ما يكون منهم من شرك به سبحانه، ووقوع في مساخطه واجتهاد في مخالفته ومحاربة دينه، ومعاداة لأوليائه يحمل عليهم، ويسوق إليهم أنواع الطّيّبات، ويرزقهم ويعافيهم، كما في «الصّحيح»<sup>(١)</sup> من حديث أبي هريرة رض، عن النبي صل فيما يرويه عن ربّه أنه قال: «يشتمني ابن آدم، وما ينبعي له أن يشتمني، ويكلّبني، وما ينبعي له، أما شتمه فقوله: إنّ لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيديني كما بدأني». وفي «الصّحيحين»<sup>(٢)</sup> من حديث أبي موسى الأشعري رض، عن النبي صل قال: «ليس أحدٌ أو ليس شيءٌ أصبرَ على أذى سمعه من الله، إنّهم ليدعون له ولداً، وإنّه ليعافيهم ويرزقهم».

قال ابن القيّم رحمه الله: «وهو مع هذا الشتم له والتکذیب يرزق الشاتم المکذب، ويعافيه، ويدفع عنه، ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه، ويدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله، و يؤهله لإرسال رسالته، ويأمرهم بأن يلينوا له القول ويرفقوا به»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك حلمه بفرعون مع شدة طغيانه وعلوّه في الأرض وإفساده للخلق، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ فَقُولًا لَهُ قُلَّا لِنَا الْعَلَمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿[طه: ٤٣ - ٤٤]﴾.

(١) «صحیح البخاری» (رقم: ٣١٩٣).

(٢) «صحیح البخاری» (رقم: ٥٧٤٨)، ومسلم (رقم: ٢٨٠٤).

(٣) «شفاء العلیل» (٢/٦٥٣).

وَحْلُمُه سُبْحَانَه بِالذِّينَ نَسَبُوا لَهِ الْوَلَدُ حِيثُ دَعَاهُمْ لِلتُّوبَةِ، وَفَتْحُهُمْ أَبُوابُهَا،  
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّ  
لَّهَ يَعْلَمُ أَعْمَالَهُمْ لَيَمْسَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٣ - ٧٤] [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

وَحْلُمُه سُبْحَانَه بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْكُفَّارِ، كَانُوا عِنْدَهُمْ قَوْمٌ  
مُؤْمِنُونَ، فَرَأَوْهُمْ لِلَّدْخُولِ فِي دِينِهِمْ، فَامْتَنَعُوا، فَشَقَّ الْكُفَّارُ أَخْدُودًا فِي الْأَرْضِ  
أَجْجَجُوا فِيهِ نَارًا، ثُمَّ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضُوهُمْ عَلَى النَّارِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُمْ أَطْلَقُوهُ،  
وَمَنْ امْتَنَعَ قَدْفُوهُ فِي النَّارِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمُحَارَبَةِ لِلَّهِ وَلِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ  
دَعَاهُمْ سُبْحَانَه لِلتُّوبَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَّوُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
الْحَقِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

قَالَ الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ: «انظروا إِلَى هَذَا الْكَرْمُ وَالْجُودُ، قَتَلُوا أُولَيَاءَهُ وَهُوَ  
يَدْعُوهُمْ إِلَى التُّوبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ حَلْمِهِ سُبْحَانَهُ إِمْسَاكُهُ لِلسَّمَاءِ أَنْ تَقْعُدُ عَلَى الْأَرْضِ، وَإِمْسَاكُهُ لِهَا أَنْ  
تَزُولَ لِمَعْ كَثْرَةِ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ وَمَعَاصِيهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْزُلَا وَلَيْسَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

قَالَ الْعَالَمُ ابْنُ سَعْدِي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: «يَخْبُرُ تَعَالَى عَنْ كَمَالِ  
قَدْرَتِهِ، وَتَقْدِيرِ رَحْمَتِهِ، وَوَسْعَةِ حَلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) انظر: «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٨/٣٩٣).

عن الزوال، فإنها لو زالت ما أمسكها أحد من الخلق، ولعجزت قدرتهم وقواهم عنها، ولكنه تعالى قضى أن يكونا كما و جداً، ليحصل للخلق القرار والنفع والاعتبار، وليرعلموا من عظيم سلطانه، وقوة قدرته ما به تملئ قلوبهم له إجلالاً وتعظيمها، ومحبة وتقريها، وليرعلموا كمال حلمه ومغفرته بإمهال المذنبين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحسبتهم، ولو أذن للأرض لابتلاعهم، ولكن وسعتهم مغفرته وحلمه وكرمه ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١] <sup>(١)</sup>.

وقد اقترن اسمه تبارك «الحليم» بالعليم في قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُذْكَلًا يَرْضُوْهُ وَلِنَّ اللَّهَ لَعَلِيهِ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٩]، واقترب بالعني في قوله: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعَهَا آذَى وَاللَّهُ عَنِ حَلِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، واقترب بالشكور في قوله: ﴿إِنْ شَفَّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُهُ لَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، واقترب بالغفور في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَلَا حَذْرُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وفي هذا دلالة على أن حلمه عن إحاطة العباد وأعمالهم، وعن غنى عنهم، فلا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى، وعن شكر؛ فيشكر القليل من العمل ويشيد عليه الثواب العظيم، وعن مغفرة فيتجاوز عن التائب المنيب منها عظم إثمه وكبر جرمته، فما أعظم حلمه، وما أوسع فضله، وما أجزل عطاءه ومنه، فللله الحمد شكرًا، وله المثل فضلاً، حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى.




---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/٨١٢).

## الحقُّ، المبينُ

أما اسمه تبارك وتعالى «الحق» فقد ورد في القرآن الكريم في عشرة مواضع، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الظَّلَالُ فَإِنَّ نَصَارَوْنَ هُوَ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَنْتَعِرُكُمْ مِنْ دُونِيَّتِهِ هُوَ الْبَطَلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وأما اسمه: «المبين» فقد ورد في موضع واحد مقصودًا بالحق، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوقِيمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمَبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

ومعنى «الحق» أي: الذي لا شكَّ فيه ولا ريب، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته، فهو المعبد بحق ولا معبد بحق سواه، فهو تبارك وتعالى حق، وأسماؤه وصفاته حق، وأفعاله وأقواله حق، ودينه وشرعه حق، وأخباره كلها حق، ووعده حق، ولقاوه حق.

وقد كان النبي ﷺ يستفتح صلاته من الليل بالإقرار بهذه المعاني، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدّد قال: اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيها، ولك الحمد لك ملك السموات

والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاوك حقٌّ، وقولك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيُّونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومعنى «المبين» أي: المبين لعباده سبيل الرشاد، الموضح لهم الأعمال الصالحة التي ينالون بها الثواب، والأعمال السيئة التي ينالون عليها العقاب، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَنَاهُمْ حَتَّىٰ يَبْيَنَ لَهُمْ مَا يَتَقَوَّنَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ومن معاني «المبين» أي: البين أمره في الوحدانية، فهو الإله الحق المبين لا شريك له.

هذا؛ وقد نَوَّع تبارك وتعالى في كتابه الدلائل والبراهين والحجج والبيانات على أنه الإله الحق لا شريك له، وأنَّ ألوهية من سواه باطل وضلال، وزيف وانحلال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْلَى الْكَبِيرِ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الذي بُيَّن لكم من عظمته وصفاته ما بين ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هو المعبد بحق، ولا معبد بحق سواه، الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته، ودينه

(١) البخاري (رقم: ١٠٦٩)، ومسلم (رقم: ٧٦٩).

حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، ولقاؤه وعبادته حق.

وقوله: ﴿وَأَبْ مَا يَكْتُبُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ﴾ أي: الذي هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة من الأصنام والأنداد، ومن الحيوانات والجمادات؛ لأنها كلها مضمحة زائلة، لا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياءً ولا نشوراً، فضلاً عن أن تملك شيئاً من ذلك لغيرها، ولو لا إيجاد الله لها وإمداده لها لما بقيت، فعبادة من هذا شأنه أبطل الباطل، وأضل الضلال.

ومن أنواع الدلائل والحجج التي ذكر الله في القرآن لبيان أنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ما يلي:

١- تفردُه تبارك وتعالى بالربوبية لا شريك له، فهو الخالق وحده، الرازق وحده، المنعم وحده، المتصرف في هذا الكون وحده لا شريك له في شيء من ذلك، فهو رب الحق لا شريك له.

ومن لوازم معرفته بذلك والإقرار له به أن يفرد بالعبادة، وأن ينحصر وحده بالخصوص والطاعة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْكَلُ اللَّهَ يُولِجُ الْيَقِيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْيَلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>٦١</sup> ﴿ذَلِكَ يَأْكَلُ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْ مَا يَكْتُبُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ وَأَبْ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>٦٢</sup> ﴿الَّذِي تَرَأَبِ اللَّهُ أَنَّزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءَ قَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ﴾<sup>٦٣</sup> ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٦٤</sup> ﴿الَّذِي تَرَأَبِ اللَّهُ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالَّذِي تَعْبُرُ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَمِسُكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٦٥</sup> ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦١ - ٦٢]<sup>٦٦</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُنْجِحُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُنْجِحُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَنْقُونَ﴾<sup>٦٧</sup> فذلِكُمْ اللَّهُ

**رَبُّكُمُ الْحَقُّ فِيمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا أَضَلَّلُ فَإِنَّ قُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣٢].**

- ٢- ذكره سبحانه لأسماه الحسنى، وصفاته العلي الدالة على كماله وجلاله وعظمته، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، ومن الأمثلة على ذلك آية الكرسي التي أخلصت لبيان التوحيد وتقريره، حيث ذكر فيها من أسماء الله الحسنى خمسة أسماء، وذكر من صفاته العظيمة ما يزيد على العشرين صفة.
- ٣- ذكره تبارك وتعالى لتعدد نعمه على العباد وتواتي منه، وفي سورة النحل - التي يسمّيها بعض أهل العلم «سورة النعم» لكثرة ما عدّ فيها سبحانه من النعم على العباد - أكبر شاهد على أنه المعبود بحق، ولذا ختم هذه النعم بقوله: ﴿كَذَلِكَ يُثْمِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ شُلُّمُونَ ﴾٨١﴿ إِنَّمَا تَوَلَّ أَنْتَمْ إِنَّمَا عَلَيْكُمُ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾٨٢﴿ نَعْمَتَ اللَّهِ شَهَدُونَ كَرُونَهَا وَأَكَثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨١-٨٢].
- ٤- ذكره سبحانه لإجابتة المضطربين وكشفه كربات المكروبين، ولا يقدر على ذلك أحد سواه، قال تعالى: ﴿أَتَنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرُ إِذَا دُعَاهُ وَيَكْشِفُ الشَّوَّاءَ وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].
- ٥- إخباره عن نفسه بأنه النافع الضار، المعطي المانع، وأن من سواه لا يملك شيئاً من ذلك لنفسه ولا لغيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءِي شَمَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ أَرَادَنِي اللَّهُ يُضْرِي هُنَّ كَشِفُتُ ضُرُوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هُنَّ مُمْسِكُتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِنَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].
- ٦- إخباره سبحانه عن دقة صنعه للمخلوقات، وبديع إيجاده للكائنات، قال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَابًا وَالْسَّمَاءَ بِكَاءَ وَصَوَرَكُمْ فَأَحَسَنَ صُورَكُمْ﴾

وَرَزَقْكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ أَنَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

٧- إخباره عن حقارة الأوثان وعجزها، وأنها لا تملك شيئاً، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَإِذَا سَمِعُوا لَهُ إِيمَانٌ<sup>١</sup> الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمْ يَخْلُقُوهُ ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الظُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِدُونَ مِنْهُ ضَعْفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبُ مَا كَدَرُوا اللَّهُ حَقٌّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣ - ٧٤﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤].

إلى غير ذلك من الدلائل البينات، والحجج الواضحات، التي سيقت في القرآن الكريم مبينة أن الله ﷺ هو الإله الحق المبين، وأن الوهية من سواه كفر وطغيان، وضلال وبهتان.



## القدير، القادر، المقدر

وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ، وَأَكْثَرُهَا وَرَوْدًا «الْقَدِيرُ»، ثُمَّ «الْقَادِرُ»، ثُمَّ «الْمَقْدِرُ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَادِرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْصَمَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ نَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِسْكُمْ شَيْئًا وَيُنِيبَقَ بَعْضُكُمْ بِأَسْبَغِهِ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وَجَمِيعُهَا تَدْلِي عَلَى ثَبَوتِ الْقَدْرَةِ صَفَةَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ سَبَّحَهُ كَامِلُ الْقَدْرَةِ، فَبِقَدْرَتِهِ أُوجِدَ الْمَوْجُودَاتُ، وَبِقَدْرَتِهِ دَبَرَهَا، وَبِقَدْرَتِهِ سَوَاهَا وَأَحْكَمَهَا، وَبِقَدْرَتِهِ يَحْيِي وَيَمْتِي، وَيَعْثِثُ الْعَبَادَ لِلْجَزَاءِ، وَيَجْازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاعَتِهِ، الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ: كُنْ؛ فَيَكُونُ، وَبِقَدْرَتِهِ يَقْلِبُ الْقُلُوبَ وَيُصْرِّفُهَا عَلَى مَا يُشَاءُ وَيُرِيدُ، وَيَهْدِي مِنْ يُشَاءُ، وَيُضْلِلُ مِنْ يُشَاءُ، وَيَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ مُؤْمِنًا، وَالْكَافِرَ كَافِرًا، وَالْبَرَّ بَرًّا، وَالْفَاجِرَ فَاجِرًّا.

وَلِكَمالِ قَدْرَتِهِ لَا يَحِيطُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ أَنْ يُعْلَمَ إِيَاهُ، وَلِكَمالِ قَدْرَتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما فِي سَتَةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَهُ مِنْ لَغْوَبٍ، وَلَا يَعْجِزُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يَفْوِتُهُ، بَلْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ أَيْنَ كَانَ، الَّذِي سَلَّمَتْ قَدْرَتِهِ مِنْ الْلُّغُوبِ وَالْتَّعْبِ وَالْإِعْيَاءِ وَالْعَجَزِ عَمَّا يُرِيدُ، وَلِكَمالِ قَدْرَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ طَوْعًا أَمْ رَهْبَةً وَنَحْتَ تَدْبِيرِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يُشَأْ لَمْ يَكُنْ.

ومن أصول الإيمان العظيمة الإيمان بالقدر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ يَقْدِرُ﴾ [ق: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

روى مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ٤٧ يَوْمَ سُجْنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوْرُوا مَسَ سَقَرَ﴾ ٤٨ ﴿إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ يَقْدِرُ﴾ [ق: ٤٧ - ٤٨].»

ومن لا يؤمن بالقدر لا يؤمن بالله عز وجل، قال الإمام أحمد رحمه الله: «القدر قدرة الله»<sup>(٢)</sup>، إنكار القدر إنكار لقدرة الله عز وجل، وجحد صفاته سبحانه أو شيء منها يتناهى مع الإيمان به سبحانه؛ إذ من أصول الإيمان به الإيمان بأقداره.

قال ابن عباس حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القدر نظام التوحيد، فمن وَحَّدَ الله عز وجل وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وَحَّدَ الله تعالى وكذَّب بالقدر نقض التوحيد»<sup>(٣)</sup>.

وقال عوف: سمعت الحسن يقول: «من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالإسلام، إن الله تبارك وتعالى قدر أقداراً، وخلق الخلق بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم الأرزاق بقدر، وقسم البلاء بقدر، وقسم العافية بقدر»<sup>(٤)</sup>.

(١) (رقم: ٢٦٥٦).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٣/ ٢٥٤)، وابن القيم في «شفاء العليل» (ص/ ٢٨).

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (رقم: ٢٠٥) - واللفظ له -، وابن بطة في «الإبانة» (رقم: ١٦٢٤)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (رقم: ١٢٢٤) وغيرهم.

(٤) رواه ابن بطة في «الإبانة» (رقم: ١٦٧٦)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (رقم: ١٢٥٥).

والإيمان بالقدر من أجل أوصاف أهل العلم به، روى ابن جرير في «تفسيره»<sup>(١)</sup>، عن ابن عباس رض في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَىُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال: الذين يقولون: «إن الله على كل شيء قادر».

قال ابن القيّم رحمه الله: «وهذا من فقه ابن عباس رض وعلمه بالتأويل، ومعرفته بحقائق الأسماء والصفات، فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها، وإن كانوا يقررون بها، فمنكرو القدر وخلق أفعال العباد لا يقررون بها على وجهها، ومنكرو أفعال الرب تعالى القائمة به لا يقررون بها على وجهها، بل يصرّحون أنه لا يقدر على فعل ما يقوم به، ومن لا يقر بأن الله سبحانه كل يوم هو في شأن، يفعل ما يشاء؛ لا يقر بأن الله على كل شيء قادر، ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه؛ لا يقر بأن الله على كل شيء قادر... إلى غير ذلك من شؤونه وأفعاله التي من لم يقر بها لم يقر بأن الله على كل شيء قادر، فيا لها كلمة من حبر الأمة، وترجمان القرآن رض اهـ<sup>(٢)</sup>.

هذا؛ وإن للإيمان بقدرة الله عز وجل التي دل عليها أسماؤه «القدير، القادر، المقتدر» آثاراً عظيمة، وثماراً مباركة، تعود على العبد في دنياه وأخراء، كيف لا والإيمان به قطب رحا التوحيد ونظامه، ومبدأ الإيمان وتمامه، وأصل الدين وقوامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان.

فمن ثماره المباركة أنه يقوى في العبد الاستعانة بالله وحسن التوكّل عليه،

(١) (٣٦٤٩/١٩).

(٢) «شفاء العليل» (١/١٣٠ - ١٣١).

وَتَنَامُ الالْتِجَاء إِلَيْهِ، رَوَى التَّرمِذِي فِي «جَامِعِهِ»<sup>(١)</sup> عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ حَمَدَ اللَّهَ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا غَلَامٌ؛ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجْهِيدَ تَجَاهِلِكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنَ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْتُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ، رَفَعْتِ الْأَقْلَامَ وَجَفَّتِ الصَّحْفَ». .

وَمِنْ آثَارِهِ تَكْمِيلُ الصَّبْرِ وَتَتْمِيمِهِ وَحَسْنُ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ، قَالَ أَبُو الْقَيْمَ رَجُلُ اللَّهِ: «مِنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا بِالْقَدْرِ مَلَأَ اللَّهَ صَدْرَهُ غَنِّيًّا وَآمِنًا وَقَنَاعَةً، وَفَرَغَ قَلْبَهُ لِمُحِبَّتِهِ وَالْإِنْتَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوْكِلِ عَلَيْهِ، وَمِنْ فَاتِهِ حَظِّهِ مِنَ الرِّضَا امْتَلَأَ قَلْبَهُ بِضَدِّ ذَلِكَ، وَاشْتَغَلَ عَمَّا فِيهِ سَعَادَتُهُ وَفَلَاحَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ آثَارِهِ سَلَامَةُ الْإِنْسَانِ مِنَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ، كَالْحَقْدِ وَالْحَسْدِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِإِيمَانِهِ أَنَّ الْأَمْوَارَ كُلُّهَا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ سَبَّحَهُ هُوَ الَّذِي أَعْطَى الْعِبَادَ وَقَدْرَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ، فَأَعْطَى مِنْ شَاءَ، وَمَنْعَ مِنْ شَاءَ، فَالْفَضْلُ فِي الْمُؤْمِنِ فَضْلُهُ سَبَّحَهُ وَالْعَطَاءُ عَطَاؤُهُ، وَهَذَا يُقَالُ عَنِ الْحَاسِدِ: إِنَّهُ عَدُوُّ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وَمِنْ آثَارِهِ تَقوِيَّةُ الْعَبْدِ وَإِرَادَتِهِ فِي الْحَرْصِ عَلَى الْخَيْرِ وَطَلَبِهِ، وَالْبَعْدُ عَنِ الشَّرِّ وَالْهُرُبُ مِنْهُ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَمَدَ اللَّهَ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اْحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقْلُ: لَوْ أَئِي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». .

(١) (رقم: ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح.

(٢) («مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» ٢٠٢ / ٢).

(٣) (رقم: ٢٦٦٤).

ومن آثاره حسن رجاء الله ودؤام سؤاله، والإكثار من دعائه؛ لأن الأمور كلّها  
في يده، روى الإمام أحمد في كتاب «الزهد»<sup>(١)</sup> عن مطرّف بن عبد الله ابن الشّيخ قال:  
«تذكري ما جماع الخير؛ فإذا أتيت بالخير كثيراً: الصوم، والصلوة، وإذا هو في يد الله عزوجل، وإذا  
أنت لا تقدر على ما في يد الله عزوجل إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء».

وكان من أكثر دعاء نبينا ﷺ: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

روى الترمذى وابن ماجه، عن أنس جليلنه قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم؛ إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»<sup>(٢)</sup>.



---

(١) (رقم: ١٣٤٦).

(٢) «جامع الترمذى» (رقم: ٢١٤٠) – واللفظ له –، وسنن ابن ماجه (رقم: ٣٨٣٤). وصحّحه الألبانى في «صحیح الترمذى»، و«صحیح ابن ماجه».

(٥٦)

## الْوَدُودُ

وقد ورد في القرآن مرتين:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَّدُودٌ﴾

[هود: ٩٠]

والثانية: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ بِكُمْ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣ - ١٤].

ومعناه: أي: الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم محبة له.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تقرير عظيم له في بيان معنى هذا الاسم ودلاته: «الودود، أي: المتودد إلى خلقه بنعمته الجميلة، وألائه الواسعة، وألطافه الخفية، ونعمه الخفية والجلية، فهو الودود بمعنى الوادد، وبمعنى المودود، يحب أولياءه وأصحابه ومحبيه، فهو الذي أحبهم وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبوه أحبهم حبا آخر جزء لهم على حبهم.

فالفضل كله راجع إليه، فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجلب ويجذب قلوبهم إلى وده، توداد إليهم بذكر ما له من النعمات الواسعة العظيمة الجميلة الجاذبة للقلوب السليمة والأفender المسقية، فإن القلوب والأرواح الصحيحة محظوظة على محبة الكمال.

والله تعالى له الكمال التام المطلق، فكل وصف من صفاته له خاصية في العبودية وانجذاب القلوب إلى مولاها، ثم تودد لهم بآلات ونعمه العظيمة التي بها أوجدهم، وبها أبقاهم وأحياهم، وبها أصلحهم، وبها أتم لهم الأمور، وبها كمل لهم الضروريات وال حاجيات والكماليات، وبها هداهم للإيمان والإسلام، وبها هداهم لحقائق الإحسان، وبها يسر لهم الأمور، وبها فرج عنهم الكربات، وأزال المشقات، وبها شرع لهم الشرائع ويسرها ونفى عنهم الخرج، وبها بين لهم الصراط المستقيم وأعماله وأقواله، وبها يسر لهم سلوكه، وأعانهم على ذلك شرعاً وقدراً، وبها دفع عنهم المكاره والمضار كما جلب لهم المنافع والمسارّ، وبها لطف بهم أطafa شاهدوا بعضها، وما خفي عليهم منها أعظم.

فجميع ما فيه الخلقة من محبوّات القلوب والأرواح والأبدان الداخلية والخارجية، الظاهرة والباطنة فإنها من كرمه وجوده، يتودد بها إليهم؛ فإن القلوب مجبرة على حبّة المحسن إليها، فأي إحسان أعظم من هذا الإحسان الذي يتذرع إحساء أجنباه، فضلاً عن أنواعه، فضلاً عن أفراده، وكل نعمة منه تتطلب من العباد أن تمتلىء قلوبهم من مودته وحمده وشكره والثناء عليه.

ومن تودّده: أنَّ العبد يشرد عنه فيتجرأ على المحرمات، ويقصّر في الواجبات، والله يسّره ويحلّم عنه ويمده بالنعم، ولا يقطع عنه منها شيئاً، ثم يُقيّض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ والإرشادات ما يجلبه إليه، فيتوب إليه وينيب، فيغفر له تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسفله من الذنوب العظام، ويعيد عليه وده وحّبه، ولعل هذا - والله أعلم - سُرُّ اقتران الودد بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

ومن كمال مودته للتأبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح يقدّر، وأنه أرحم بهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين، وأن من أحبه من أوليائه كان معه وسدده

في حركاته وسكناته، وجعله مجاب الدعوة وجيتها عنده، كما في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبسطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله لأعطيته، ولئن استعاذه لأعيذه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردد عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسأته» رواه البخاري<sup>(١)</sup>.

وآثار حبه لأوليائه وأصفياه عليهم لا تختطر ببال، ولا تحصيها الأقلام، وأما مودة أوليائه له فهي روحهم وروحهم وحياتهم وسرورهم، وبها فلاحهم وسعادتهم، بها قاموا بعبوديته، وبها مدحوه وشكروه، وبها هجت أستههم بذكره، وسعت جوارحهم لخدمته، وبها قاموا بما عليهم من الحقوق المتنوعة، وبها كفوا قلوبهم عن التعلق بغيره وخوفه ورجائه، وجوارحهم عن مخالفته، وبها صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعاً لهذه المحبة.

أما الدينية؛ فإنهم لما أحبو ربهم أحبو أنبياءه ورسله وأولياءه، وأحبو كل عمل يقرب إليه، وأحبو ما أحبه من زمان ومكان وعمل وعامل.

وأما المحبة الطبيعية؛ فإنهم تناولوا شهواتهم التي جبت النفوس على محبتها من مأكل ومشروب وملبس وراحة على وجه الاستعانة بها على ما يحبه مولاهם، وأيضاً فكما قصدوا بها هذه الغاية الجليلة فإنهم تناولوها بحكم امثال الأوامر المطلقة في مثل قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا﴾ ونحوها من الأوامر والترغيبات المتعلقة بالمباحات والراحات، فصار السبب الحامل لها امثال الأمر، والغاية التي قصدت لها الاستعانة بها على محبوبات الربّ، فصارت عاداتهم عبادات، وصارت أوقاتهم

---

(١) (رقم: ٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كلها مشغولة بالتقرب إلى محبوبهم.

وكلُّ هذه الآثار الجميلة الجليلة من آثار المحبة التي تفضل بها عليهم محبوبهم، وتقوى هذه الأمور بحسب ما في القلب من الحب الذي هو روح الإيمان، وحقيقة التوحيد، وعين التَّعبُّد، وأساس التَّقْرِب.

فكما أن الله ليس له مثيل في ذاته وأوصافه، فمحبته في قلوب أوليائه ليس لها مثيل ولا نظير في أسبابها وغاياتها، ولا في قدرها وآثارها، ولا في لذتها وسرورها، وفي بقاعها ودوامها، ولا في سلامتها من المنكدات والمكدرات من كل وجه» اهـ<sup>(١)</sup>.

وإذا عرفَ العبدُ بأنَّ رَبَّه سُبحانه وَدُودُ يُحِبُّ أولياءه ويحب من أطاعه، يحب المؤمنين المتقيين، ويحب الصابرين المتكلمين، ويحب التوابين المتطهرين، ويحب الصادقين المحسنين، ويحب جميع الطائعين، ولا يحب الظالمين الكافرين، ولا يحب الخائنين المسرفين، ولا يحب المختالين المستكبرين؛ فإنه يحب عليه أن يطيع أمره، ويفعل ما يحبه ويرضاه من سديد الأقوال وصالح الأفعال، وأن يتقرب إليه سبحانه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وحب ما يحبه من الأقوال والأفعال، وحب كلامه سبحانه، وحب رسوله ﷺ وسته، والاجتهد في متابعته، فبذلك تُنال حُبُّ الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَجْبُونَ اللَّهَ فَأَتَيْعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾ [آل عمران: ٣١]، وفي الدُّعاء المأثور عن النبي ﷺ: «أسألك حَبَّكَ، وَحُبَّكَ، وَحُبَّكَ، وَحُبَّكَ عملٍ يقرّني إلى حَبِّكَ» رواه الإمام أحمد، والترمذى<sup>(٢)</sup>.

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص/ ٥٥ - ٥٧).

(٢) «مسند أحمد» (٤٢ / ٥)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٣٢٣٥) من حديث طويل عن معاذ ابن جبل عليه السلام. وصحّحه الترمذى ونقل تصحيحه أيضاً عن الإمام البخارى. وانظر شرحًا مفيداً لهذا الدعاء في كتاب «اختيار الأولى في شرح حديث اختصار الملا الأعلى» لابن رجب (ص/ ١٢٥) وما بعدها.

## البَرُّ

وقد ورد في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا  
مِنْ قَبْلُ نَدْعُوكُلَّهُمْ هُوَ الْأَكْرَمُ﴾ [الطور: ٢٨]، ومعناه: أي: الذي شمل الكائنات  
بأسرها ببره ومنه وعطائه، فهو مولي النعم، واسع العطاء، دائم الإحسان، لم يزل  
ولا يزال بالبر والعطاء موصوفاً، وبالمَنِّ والإحسان معروفاً، تفضل على العباد  
بالنعم السابقة، والعطایا المتتابعة، والآلاء المتنوعة، ليس لجوده وببره وكرمه مقدار،  
 فهو سبحانه ذو الكرم الواسع والنوال المتتابع، والعطاء المدرار.

وَبِرُّه سُبْحَانَه بِعِبَادَه نُوعَانَ: عَامٌ وَخَاصٌ.

فالعام: وَسَعَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، فما من شخص إلا وسعه منُ الله تعالى وفاض  
عليه إحسانه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ  
الْطَّيِّبَاتِ وَفَصَلَنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا نَحْنُ نَقْصِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذا التكريم يدخل  
فيه خلق الإنسان على هذه الهيئة الحسنة والصورة الجميلة، والقامة الطيبة، وجعل له  
سمعاً وبصراً وفؤاداً، وجعله يمشي قائماً متتصباً على رجليه، ويأكل بيده، وغيره من  
الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وخصه بأنواع من المطاعم والمشارب  
والملابس، إلى غير ذلك مما خص به بنبي آدم وكرمه به.

والخاصّ: هو هدايته من شاء منهم لهذا الدين القويم، وتوفيقهم لطاعة رب العالمين، ونيل ما يترتب على ذلك من السّعادة في الدّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي تَعْمِيرٍ﴾ [الأنفطار: ١٣]، أي: في دورهم الثلاثة: في الدّنيا، والبرزخ، ويوم القيمة، وتفاصيل بره بعباده وأصفيائه أمر لا يمكن حصره، ولا سبيل إلى استقصائه. فمن بُرّه بهم أنه تبارك وتعالى يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، يتقبل منهم القليل من العمل، ويثيب عليه الشّواب الكبير، ويعفو عن كثير من سيئتهم، ولا يؤخذهم بجميع جنایاتهم، ويجزّيهم بالحسنة عشر أمثالها، ويضاعف لمن يشاء، ولا يجذّي بالسيئة إلّا مثلها، ويكتب لهم الهم بالحسنة، ولا يكتب عليهم الهم بالسيئة، فعن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هُمْ بِحَسْنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتُبَتْ لَهُ حَسْنَةٌ، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلُوهَا كُتُبَتْ»، رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن بُرّه بعباده فتحه أبواب الإنابة والتوبة والأوبة إليه منها كثرت الذّنوب وتعدّدت الآثام، قال تعالى: ﴿فُلِّيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوته غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»<sup>(٢)</sup>.

(١) (رقم: ١٣٠).

(٢) سبق تخرّيجه.

ومن بِرٍّ بهم معاملتهم بالصفح والعفو وستر الذنوب والتجاوز عنها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيُضَعِّفُ عَلَيْهِ كُنْفَهُ، وَيَسْتَرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرُفُ ذَنْبَكَ ذَذَا؟ أَتَعْرُفُ ذَنْبَكَ ذَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبٍّ، حَتَّى إِذَا قَرَرَهُ بِذَنْبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلْكٌ قَالَ: سَتْرُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعَطِّي كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادَ: ﴿هَتُؤَلَّهُ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّلَّامِينَ﴾ [هود: ١٨]» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومطالعة العبد لهذا البر العظيم من سيده ومولاه نافع له غاية النفع؛ إذ به يعرف عزة الله في قضائه، وبره في ستره، وحلمه في إمهاله، وكرمه في تيسيره لعبده التوبة والإباتة، وفضله في مغفرته، وهذا يسوق العبد إلى حُسن الإقبال على مولاه خضوعاً وتذللًا، رغباً ورهباً، رجاءً وطمئناً.

قال ابن القيّم رحمه الله: «...يعرف بِرٌّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفَضَّحَه بين خلقه فَحَذَرُوهُ، وهذا من كمال بِرٍّه، ومن أسمائه: «الْبَرُّ»، وهذا البر من سِيّدِه كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه الملة ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أَنْفع له من الاستغلال بجنايته، وشهود ذل معصيته، فإن الاستغلال بالله والغفلة عمّا سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأئمّي»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (رقم: ٢٣٠٩) - واللفظ له -، ومسلم (رقم: ٢٤٤١).

(٢) «مدارج السالكين» (٢٠٦ / ١).

وما نَبَّهَ عليه رَحْمَةُ اللَّهِ أَمْرٌ يغفل عنه كثير من التائبين، فينشغلون بعظام الذنوب التي ارتكبوها وكثرتها ويغفلون عن ذكر سَعَةَ بَرِّ اللَّهِ وعِظَمِ مَنْهُ وجزيل كَرْمه.

ومن عظيم بَرِّه بعباده أنه سبحانه - مع كمال غناه - يفرح بتوبة التائبين وإنابة النبيين، ففي «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup> من حديث أنس بن مالك حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلّها قد أيس من راحلته، فيينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا رُبُّك، أخْطأ مِنْ شَدَّةَ الْفَرَحِ».

ولهذا الفرح شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه؛ إذ إن مطالعته من أعظم ما يُكسب القلبطمأنينة وشوقا إلى الله ولهجا بذكره وشهودا لبره ولطفه وكرمه وإحسانه، وأنه سبحانه أجود الأجددين وأكرم الأكرمين، وأرحم الرحيمين. وما ينبغي أن يعلم هنا أنَّ البرَّ سبحانه يحب أهل البرِّ، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويحب أعمال البر، فيجازي عليها بالهدى والصلاح والرفة في الدنيا والآخرة، والبر أصله التوسع في فعل الخيرات، وأجمع الآيات لخصاله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَسْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَمَائِي الْمَالِ عَلَى حِلِّهِ دَوِي الْقُرْبَى وَأَيْتَمَّنَ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ أَسَيِّدِ الْمُسَكِّنِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَافِرَ الْصَّلَاةِ وَءَاءَيَ الْزَّكَوَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوتِئَكُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوتِئَكُمْ هُمُ الْمُنَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) (رقم: ٢٧٤٧).

وقال الله تعالى: ﴿لَنْ تَأْتُوا الِّهَ حَتَّىٰ تُفْقِدُوا مِمَّا تَعْبُوتُونَ وَمَا تُفْقِدُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
عَلِيهِمْ﴾ [آل عمران: ۱۹۲]، قال قتادة رضي الله عنه: «لن تناولوا بِرَّ ربِّكم حتى تنفقوا مما  
يعجبكم وما تَهْوَونَ من أموالكم»<sup>(۱)</sup>.

أهمنا الله جميـعاً رشد أنفسنا، ورزقنا من فضله وبـره وجودـه ما لا نحتسب، إنه  
سمـيع مـجيب.



---

(۱) انظر: «تفسير ابن جرير الطبرى» (۳/۶۶).

## الرّؤوف

وقد ورد هذا الاسم في عشر آيات من القرآن الكريم يأتي ذكرها.

و«الرّأفة» - كما قال ابن جرير رَجِلَ اللَّهِ - : «أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدُّنيا، ولبعضهم في الآخرة»<sup>(١)</sup>. وهم أولياؤه المؤمنون، وعباده المتقون.

هذا؛ وإنَّ من القواعد المفيدة التي قرَرَها أهْلُ العلم في باب فقه أسماء الله الحسنى أنَّ ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى يدلُّ على أنَّ الحكم المذكور فيها له تعلُّق بذلك الاسم الكريم الذي ختمت به الآية، وتأمُّل ذلك من أعظم ما يعين العبد على فقه أسماء الله الحسنى .

وفيما يلي عرضٌ لمواضع ذكرِ هذا الاسم في القرآن الكريم، وتنبيه على دلالاته من خلال سياق الآيات التي ختمت به .

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُضِيعُ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: لا ينبغي له ولا يليق به أن يضيع إيمانكم، وهذا من كمال رأفتة ورحمته بهم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن منَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه بل يحفظه من الضياع والبطلان، ويتممه لهم،

(١) «تفسير الطبرى» (٦٥٤/٢).

ويوفقهم لما يزداد به إيمانهم ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأهم بالهدایة للإيمان فسيحفظه لهم ويتمه عليهم رأفة منه بهم ورحمة، ومَنْ مِنْهُ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَتَفْضِيلًا.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْيَقَنَاهُ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وهو لاء هم الموفون من عباده الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلباً لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن لله ملي الوفي الرؤوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته بهم أن وفقهم لذلك، ووعدهم عليه عظيم الشواب، وحسن المآب، ولا تسأل عما يحصل لهم من التكريم وما ينالونه من الفوز العظيم، فقد وفوا لهم يوم القيمة على رب رءوف رحيم.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْضِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شُوُرٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَبْيَنَهَا وَبَيَّنَهَا أَمَّا بَعِيدًا وَيَحْدُرُ كُمَّ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. وهذا يفيد أنَّ الله سبحانه مع شدة عقابه وعظم نكاله فإنه رءوف بالعباد، ومن رأفته بهم أن خوف العباد وزجرهم عن الغي والفساد، ليسلموا من مغبتها، ولينجوا من عواقبها، فهو جل وعلا رأفة منه ورحمة سهل لعباده الطرق التي ينالون بها الخيرات ورفع الدرجات، ورأفة منه ورحمة حذر عباده من الطرق التي تفضي بهم إلى المكرورات.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الْتَّيِّي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرْبِعُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَبْهَرُ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١١٧].

وفي هذا السياق أنَّ من رأفة الله بهم أنَّ عليهم بالتوبة ووفقاً لهم، وقبلها منهم، وثبتهم عليها، ولو لا أنه رأف بهم ورحمهم لما حصل لهم شيء من ذلك.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾٤﴿ وَالْأَنْعَمَ

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفَّةٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِبَّوْنَ  
وَحِينَ تَرْجُونَ ⑥ وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِنْ بَلَدٍ لَمْ تَكُنُوا بِنَلِيْغِهِ إِلَّا يُشَقِّ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ  
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ 》 [النحل: ٤ - ٧].

وفي هذا أنّ من رأفة الله بالإنسان أن سخر له الأنعام لأجل مصالحة ومنافعه، وجعل له فيها دفتاً بها يتتخذه من أصواتها وأشعارها وأوبارها من لباس ومنافع أخرى عديدة، منها يأكل، وجعل له فيها جمالاً في وقت رواحها وحركتها ووقت هجوعها وسكنها، وسخرها له تحمل متاعه إلى البلدان الشاسعة، والأقطار البعيدة وكل ذلك من رأفته ورحمته سبحانه، وليتنا نذكر رأفة الله بنا ورحمته وفضله ومنه بما سخر لنا في هذا الزمان من وسائل النقل الحديثة الحسنة في مركبها المرية في تحركها وتنقلها، الجميلة في شكلها ومنظرها، والسريعة في سيرها، ويُسر مع ذلك طرقها وذلل سبلها، وهيأ كل الوسائل المُحققة للراحة فيها، يتنقل الناس عليها من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد بلا مشقة أو تعب، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وسعة جوده وبره.

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمَنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِرِبْعِ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيهِمْ  
الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ⑯﴾ أو يأخذهم في تقليلهم فما هم بمعجزين ⑯﴾ أو يأخذهم على  
نَعْوَفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ 》 [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وفي هذا أنّ من رأفته سبحانه أنه لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم، وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومحفظة ما كان منهم من ذنوب وخطيئات، أفالاً يستحيي المجرم من ربه الرؤوف الرحيم أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات، متواالية عليه في كل الأوقات؛ وهو مكبٌ على إجرامه، متهدٍ في غيّه وعصيانيه.

وقال تعالى: ﴿الَّهُ تَرَأَّسَ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُدَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يَأْذِنُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

فسخير الله الأرض وما فيها من حيوانات ونباتات وجمادات، والفلك تجري في البحر بأمره تحمل الناس وتجارتهم وأمتعتهم من محل إلى محل، وإمساكه سبحانه السماء أن تسقط على الأرض فتتلف ما عليها، وتهلك من فيها، كل ذلك من رحمته ورأفته سبحانه بالعباد.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]، قال ذلك سبحانه بعد بيانه لأحكامه العظيمة ومواعظه البليغة، ما يفيد أن هذا البيان النافع والشرع الحكيم هو من رأفة الله بالعباد ورحمته بهم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ رَءُوفٍ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

وهذه أعظم النعم وأجلّ العطايا والمن، أن نزل على عبده ورسوله ﷺ آياته البينات، وحججه الظاهرات؛ تدلّ أهل العقول على صحة جميع ما جاء به، وأنه الحقّ اليقين، ليخرج سبحانه من شاء من عباده بإرسال الرسول وما أنزل عليه من الآيات والحكمة من الظلمات إلى النور، وهذا من رأفته بعباده، ورحمته بأوليائه وأصفيائه.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَهُنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وهذا من رحمة الله ورأفته بعباده المؤمنين أن أوشق بينهم عقد الإيمان ورابطة الدين ووشاج التقوى، وجعل اللاحق منهم محباً للسابق، داعيا له بكل خير، فما أسناها من عطية، وما أجلها من منّةٍ تفضل بها مولانا الرّءوف الرّحيم.

## الحسيب، الكافي

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَنَ اللَّهُ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِ عَبْدَهُ وَلَا يَحْوِي فُونَكَ إِلَّا لَذِينَ مِنْ دُونِهِ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

و«الحسيب»: هو الكافي الذي كفى عباده جميع ما أهتمّهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسّر لهم كل ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه.

ومن معاني الحسيب أنه الحفيظ على عباده كل ما عملوه، أحصاه الله ونسوه، وعلم تعالى ذلك، وميز الله صالح العمل من فاسده، وحسناته من قبيحة، وعلم ما يستحقون من الجزاء ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب.

و«الكافى»: الذي كفاية الخلق كل ما أهتمّهم بيده سبحانه، وكفايته لهم عامة وخاصة:

أما العامة: فقد كفى تعالى جميع المخلوقات وقام بإيجادها وإمدادها وإعدادها لكل ما خلق لها، وهيأ للعباد من جميع الأسباب ما يغنينهم ويُقنيهم ويُطعمهم ويُسقيهم.

وأما كفايته الخاصة: فكفايته للمتوكلين، وقيامه بإصلاح أحوال عباده المتّقين ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبُه﴾ [الطلاق: ٣]، أي: كافية كل أموره الدينية والدنيوية، وإذا توكل العبد على ربّه حقّ التّوكل بأن اعتمد بقلبه على ربّه اعتماداً قوياً كاملاً في

تحصيل مصالحه ودفع مضارّه، وقوّيت ثقته وحسُنَ ظُنهُ بربِّه؛ حصلت له الكفاية التّامة، وأتم الله له أحواله وسدّده في أقواله وأفعاله، وكفاه همّه وكشف غمّه.

وهذه منّة عظيمةٌ وفضل كبير ينبغي للمسلم أن يكون على ذكر له ليكون حامداً لربّه على كفایته، شاكراً له على فضله ونعمته.

وقد ثبت في «صحیح مسلم»<sup>(۱)</sup> أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وأوانا، فكم من لا كافى له ولا مُؤوي».

والعبد لا غنى له عن ربّه طرفة عين، بأن يكون له حافظاً وكافياً ومسدداً وهادياً، ولذا شرع للمسلم في كلّ مرة يخرج فيها من بيته أن يقول: «بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله»، ليكفيهم حاجته، ولديقى من الشّرور والآفات، وليحفظ من عدوان معتّد أو ظلم ظالم.

روى أبو داود والترمذى وغيرهما عن أنس بن مالك جاهل عليه أن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هُدیتَ وكفیتَ ووقيتَ، فینتھي عنه الشیطان، فيقول شیطان آخر: كيف لك برجل قد هدی وکفی ووقي»<sup>(۲)</sup>.

أي: هُدیتَ إلى طريق الحقّ والصّواب، وكُفیتَ من كلّ همٌ دنيوي أو

---

(۱) (رقم: ۲۷۱۵).

(۲) رواه أبو داود (رقم: ۵۰۹۵)، والترمذى (رقم: ۳۴۲۶)، والنسائى في «عمل اليوم والليلة» (رقم: ۸۹)، وابن حبان (رقم: ۸۲۲)، وغيرهم من طريق ابن جريج، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، به.

وحسنه الترمذى، ولكن في إسناده ابن جريج وهو مدلّس وقد عنون. غير أنّ له شواهد ينتقى بها؛ وقد صحّحه الألبانى في «صحیح الجامع» (۵۱۳).

آخرولي، وُوقيت من شرّ أعدائك من الشياطين وغيرهم.

وقد دلَّ القرآن أنَّ تحقيق العبودية لله وحسن التوكل عليه أمرٌ لا بد منه لنيل كفاية الله الخاصة بأولئك المؤمنين وعباده المتقين، قال تعالى: ﴿أَلِمَّا شَاءَ اللَّهُ بِكَافِي عَبْدَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبُهُ﴾.

قال ابن القيّم رحمه الله: «والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمتهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك؛ فإنَّ الله حسبي: أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلَّا أذى لا بدَّ منه، كالحرّ والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له - وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه - وبين الضر الذي يُتشفَّى به منه.

قال بعض السَّلف: جَعَلَ الله تعالى لِكُلِّ عملٍ جزاءً من جنسه، وجَعَلَ جزاءَ التوكل عليه نفسَ كفایته لعبدِه، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبُهُ﴾، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبدِه المتوكِّل عليه وحسبيه وواقيه، ولو توكلَ العبد على الله تعالى حقَّ توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهنَّ لجعلَ له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره»<sup>(١)</sup>.

وربط الكفاية بالتوكل من ربط الأسباب بمسبياتها، فالله عزوجل كافي من يثق به ويحسن التوكل عليه ويتحقق الالتجاء إليه في نوائبه ومهماته، وكلما كان العبد حسن الطلاق بالله عظيم الرجاء فيما عنده صادق التوكل عليه فإن الله لا يخيب أمله فيه البتة.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٧٦٦-٧٦٧).

ولا يستبطئ العبد كفاية الله له إذا بذل أسبابها، فإنَّ الله بالغ أمره في الوقت الذي قدره له، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ إِنَّ اللَّهَ بِلَعْنَةِ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

قال ابن القيم رحمه الله: «فِلَمَا ذَكَرَ كَفَايَتِهِ لِلْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ فَرِبَّمَا أَوْهَمَ ذَلِكَ تَعْجِيلَ الْكَفَايَةِ وَقَتْ التَّوْكِلِ، فَعَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، أي: وَقْتًا لَا يَتَعَدَّاهُ فَهُوَ يَسُوقُهُ إِلَى وَقْتِهِ الَّذِي قَدَرَهُ لَهُ، فَلَا يَسْتَعْجِلُ الْمُتَوَكِّلِ وَيَقُولُ: قَدْ تَوَكَّلْتُ وَدَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا وَلَمْ تَحْصُلْ لِي الْكَفَايَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ بِالْغُرْبَةِ أَمْرِهِ فِي وَقْتِهِ الَّذِي قَدَرَهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي مثل هذا المقام كثيراً ما يتنازل بعض الناس عن مثل هذه المعاني الجليلة إلى استخداه للمخلوقين وتذلل لهم وانكسار بين أيديهم لينال بعض مآربه ويحصل بعض مطامعه، غير مبال بكون ذلك على حساب دينه ونيل رضا ربه عز وجله، فيخسر كفاية الله لأوليائه.

«وَمَن اشْتَغَلَ بِاللهِ عَنْ نَفْسِهِ كَفَاهُ اللهُ مَؤْوِنَةُ نَفْسِهِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِاللهِ عَنِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مَؤْوِنَةُ النَّاسِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِنَفْسِهِ عَنِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ اشْتَغَلَ بِالنَّاسِ عَنِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

روى الترمذى في «جامعه»<sup>(٣)</sup> أن معاوية ح عليه السلام كتب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(١) «أعلام الموقعين» (٤/١٦١).

(٢) «الفوائد» لابن القيم (ص/١٩٧).

(٣) (رقم: ٢٤١٤) ورواه عقبه موقوفاً بإسناد أصح. وله شواهد ولذلك صحّحه الألبانى في «صحیح الترمذی».

أن اكتب إلى كتاباً توصيني فيه ولا تكتري علىّ، فكتبت عائشة بنت أبي بكر إلى معاوية:  
 «سلامٌ عليك أباً بعد: فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التَّمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ  
 بِسَخْطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةُ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخْطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ  
 إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ».

وما يتحقق للعبد السلام في هذا الباب أن لا يجعل الدنيا مبلغ علمه وأكبر  
 همه، وفي الحديث: «من جعل الهموم همّاً واحداً همّ المعاذ كفاه الله همّ دنياه، ومن  
 تشعّبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أيّ أوديته هلك». رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup>.

وروى ابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> عن أبي عون<sup>(٣)</sup> قال: «كان أهل الخير إذا التقوا يوصي  
 بعضهم بثلاث، وإذا غابوا كتب بعضهم إلى بعض بثلاث: من عمل لآخرته  
 كفاه الله دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله الناس، ومن أصلح سريرته  
 أصلح الله علانيته».




---

(١) (رقم: ٤١٠٦) وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٠٧).

(٢) في «مصنفه» (٧/٢١٧).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن سعيد الشقفي الكوفي أحد التابعين الثقات. له ترجمة في «تهذيب الكمال» (٢٦/٣٨).

## الكفيل، الوكيل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا نَقْضُوا الْأَيْنَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]، وقال تعالى: ﴿فَرَأَدَهُمْ إِيمَنًا وَقَالُوا حَسَبْنَا اللَّهَ وَفَعَمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

و «الكفيل» معناه: القائم بأمور الخلائق المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم. وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا نَقْضُوا الْأَيْنَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]، قيل: أي: شهيداً، وقيل: حافظاً، وقيل: ضامناً.

هذا؛ ومن صدقَ مع الله بذلك ورضي به سبحانه كفيلاً أعانه على الوفاء، ويسرّ له الأمر من حيث لا يحتسب.

روى البخاري في «صححه»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَمَّادٌ ثَنَعْنَةُ، عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلّفه ألف دينار، فقال: أئنني بالشهداء أُشهد لهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائشني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقتَ، فدفعها إليه على أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس

(١) (رقم: ٢٢٩١).

مَرْكِبًا يِرْكَبُها يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكِبًا، فَأَخْذَ خَشْبَةً فَنَقَرَهَا، فَأَدْخَلَهُ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّحَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كَنْتُ تَسْلَفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأْلُنِي كَفِيلًا فَقَلَتْ: كَفِي بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضَيْتُ بِكَ، وَسَأْلُنِي شَهِيدًا، فَقَلَتْ: كَفِي بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضَيْتُ بِكَ، وَإِنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدْ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدُعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَّتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلْدَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظَرُ لِعَلَّ مَرْكِبًا قَدْ جَاءَ بِهِ الْهَمَّ، فَإِذَا بِالْخَشْبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالِ، فَأَخْذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلِمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدَمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زَلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكِبٍ لِأَتِيكَ بِهَا، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أُتْيَتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعْثَتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكِبًا قَبْلَ الَّذِي جَئْتُ فِيهِ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعْثَتَ فِي الْخَشْبَةِ، فَانْصَرَفَ بِالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا.

وَ«الوَكِيلُ» مَعْنَاهُ: الْكَافِي الْكَفِيلُ، وَهُوَ عَامٌ وَخَاصٌ:

أَمَا الْعَامُ: فَيَدْلِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ﴾ [هُودٌ: ١٢]، أَيْ: الْمُتَكَفِّلُ بِأَرْزَاقِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَقْوَاتِهَا، الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ شَؤُونِ الْكَائِنَاتِ وَتَصْرِيفِ أَمْوَارِهَا. وَالْخَاصُّ: يَدْلِلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا حَسِبَنَا اللَّهُ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، أَيْ: نِعْمَ الْكَافِي لِمَنْ التَّجَأَ إِلَيْهِ وَالْحَافِظُ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ، وَهُوَ خَاصٌ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله بعد أن نقل جملة من أقوال أهل العلم في معنى اسم الله «الوَكِيلُ»: «وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبةٌ، وَمَرْجِعُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ الْوَكِيلَ مِنْ

يُتوكّل عليه فتفوض الأمور إليه ليأتي بالخير ويدفع الشر، وهذا لا يصلاح إلا لله وحده جلّ وعلا، وهذا حذر من اتخاذ وكيل دونه؛ لأنّه لا نافع ولا ضار ولا كافي إلا هو وحده جلّ وعلا، عليه توكلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل»<sup>(١)</sup>.

وقد دعا سبحانه عباده إلى التوكل عليه وحده، وجعل ذلك دليلاً على الإيمان، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذُهُ وَكِيلًا﴾ [المزمول: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الملك: ٢٣]، ووعد على ذلك عظيم الثواب، وحسن المآب، قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَّأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وحذر سبحانه من التوكل على سواه، قال تعالى: ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُوَافِ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢].

والتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء مقام عظيم من مقامات الدين الجليلة، وفرضية عظيمة من فرائض الله على عباده يجب إخلاصها لله وحده، وهو من أجمع أنواع العبادة وأهمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في الأمور الدينية والدنيوية ثقة به سبحانه بأنه الكفيل الوكيل لا شريك له صحيحاً إخلاصه وقويت معاملته مع الله وحسن إسلامه وزاد يقينه وصلحت أحواله كلها.

فالتوكل الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل.

وحقيقة التوكل هو عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقة به والتوجه إليه، ورضاه بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فرض إليه أمره مع قيامه بالأسباب

---

(١) «أضواء البيان» (٣/٤٠٣ - ٤٠٤).

المأمور بها واجتهاه في تحصيلها، ففي التوكيل جمٌّ بين أصلين: اعتماد القلب على الله وحده لا شريك له، مع فعل الأسباب المأمور بها والقيام بها، دون تعدٍ إلى فعل سبب غير مأمور به، أو سلوك طريق غير مشروع، وقد جمع بين هذين الأصلين في نصوص كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ٢٣]، قوله: ﴿إِنَّكَ غَبَّيْتَ وَإِنَّكَ نَسْتَعِنُ بِهِ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقول النبي ﷺ: «احرِضْ على ما ينفعك واستعن بالله»، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

والتوكل مصاحب للمؤمن الصادق في أموره كلها الدينية والدنيوية؛ فهو مصاحب له في صلاته وصيامه وحجّه وبره وغير ذلك من أمور دينه، ومصاحب له في جلبه للرزق وطلبه للمباح وغير ذلك من أمور دنياه، فهو نوعان: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصابئه، وتوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والصلة والصيام والحجّ والجهاد والدعوة وغير ذلك.

ولذا روى أبو داود والترمذى وغيرهما عن أنس بن مالك حديثه أنّ النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هُدِيتْ وَكُفِيتْ وَوُقِيتْ، فَيَتَنَحِّي عَنِ الشَّيْطَانِ»، فيقول شيطان آخر: كيف لك بـرجل قد هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا دليل بين على عظم افتقار العبد إلى كفاية الله وهدايته وواقتيته، وأنه لا غنى له عن ربّه طرفة عين لأن يكون له حافظاً ومؤيداً ومسدداً وهادياً.

والله وحده المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوّة إلّا به، والمرجو منه وحده أن يوفقنا أجمعين لحسن التوكّل عليه.

(١) «سنن أبي داود» (رقم: ٥٠٩٥)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٣٤٢٦) وحسنه. وانظر « صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (رقم: ١٦٠٥).

## الغالب، النصير

وقد ورد اسم الله «الغالب» في موضع واحد من القرآن، وهو قول الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَذِكْنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وورد اسمه «النصير» في أربعة موضع وهي: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ يَعْلَمُ الْمَوْلَى وَيَعْلَمُ النَّصِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَكُمْ فَيَعْلَمُ الْمَوْلَى وَيَعْلَمُ النَّصِيرًا﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

و«الغالب» معناه: الذي يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء، ولا يردد حكمه راًد، ولا يملك أحد رداً ما قضاه، أو منع ما أمضاه.

قال القرطبي رحمه الله: «فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الغالب على الإطلاق، فمن تمسك به فهو الغالب، ولو أن جمِيعَ مَنْ في الأرض طالب، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَكُمْ أَنَا وَرَسُولِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ومن أعرض عن الله تعالى وتمسك بغيره كان مغلوبًا، وفي حبائل الشيطان مغلوبًا»<sup>(١)</sup>.

و«النصير» معناه: الذي تولى نصر عباده، وتكفل بتأييد أوليائه والدفاع

(١) «الأسنني في شرح أسماء الله الحسني» (١/٢١٩).

عنهم، والنصر لا يكون إلا منه، ولا يتحقق إلا بمنه، فالمنصور من نصره الله؛ إذ لا ناصر للعباد سواه، ولا حافظ لهم إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْصَرْتُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَنُودُكُمْ يُصْرِكُمْ مِنْ دُونِ الْجَنَّةِ﴾ [الملك: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقد ذكر الله سبحانه في مواضع عديدة من القرآن الكريم منته على أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَصْرَرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ أَلَا شَهَدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبه: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَكُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَبَيَّنَتْهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرِيبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٧﴾ وَنَصَرَنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الصفات: ١١٤ - ١١٦].

وأخبر أئمّهم لا يطلبون نصرهم إلا منه، ولا يلجؤون لنيله إلا إليه، ففي دعاء نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّي أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ﴾ [المؤمنون: ٢٦]، وفي دعاء لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّي أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وفي دعاء نبّينا محمد ﷺ والمؤمنين: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي «سنن أبي داود، والترمذى» وغيرهما<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك حفظ عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك

---

(١) رواه أبو داود (رقم: ٢٦٣٢)، والترمذى (رقم: ٣٥٨٤) وحسنه. وانظر «صحیح أبي داود» للألباني (٢٢٩١).

أصول وبك أقاتل».

وأخبر سبحانه أن الكفار لا ناصر لهم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّنْ نَصِيرٍ﴾ [آل عمران: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ أَشَدُّ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءُهُمْ يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَصِيرٍ﴾ [الروم: ٢٩]،  
وقال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةِ هِيَ أَشَدُّ فُوهَةً مِّنْ قَرِيبَكَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا تَأْصِرَهُمْ﴾ [محمد: ١٣]،  
وقال تعالى للمؤمنين: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَذَبَنَّ رُمَّ لَا يَجِدُونَكَ وَلَيَا وَلَا نَصِيرًا  
﴾<sup>(٢)</sup> سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢ - ٢٣].

وهو خطابٌ للمؤمنين الذين قاموا بحقائق الإيمان الظاهرة والباطنة بأنهم هم المنصورون، وأن العاقبة الحميضة لهم في الدنيا والآخرة.

ولهذا فإن المؤمنين ما لم يجاهدوا أنفسهم على تحقيق الإيمان والإitan بمقومات النصر على الأعداء لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنبهم وتقصيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وحيث ظهر الكفار فإنما ذاك لذنب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال: ﴿أَوَلَمَّا  
أَصَبَّتُكُمُ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبَّتُمُ مُّثَانِيَةً قُلْتُمْ أَنَّ هَذَا قُلْقَلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]<sup>(١)</sup>.

فيحتاج العباد للانتصار على العدو الظاهر أن يجاهدوا العدو الباطن من النفس الأمارة بالسوء والشيطان، فما لم يتتصروا على هذا العدو فلا نصر لهم.

قال ابن القيم رحمه الله في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَنَاهُمْ شُبَّلَنَا وَلَنَ

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤٥٠ / ٦).

الله لمعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿العنكبوت: ٦٩﴾: «علق سبحانه الهدایة بالجهاد، فأكمل الناس هدایة أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعـة في الله هداه الله سبيل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد... ولا يمكن من جهاد عدوه الظاهر إلا مـن جاهـد هذه الأعداء باطـنا، فمن نـصر عـلـيـها نـصر عـلـيـعـدوـه، ومن نـصرـت عـلـيـه نـصر عـلـيـه عـدوـه»<sup>(١)</sup>.

وقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «إِذَا ضَعَفَ الْإِيمَانُ صَارَ لِعَدُوِّهِمْ مِنَ السَّبِيلِ بِحَسْبِ مَا نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فَهُمْ جَعَلُوا لَهُمْ السَّبِيلَ بِمَا تَرَكُوهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْمُؤْمِنُ عَزِيزٌ عَالٍ مُؤْيَدٌ مُنْصُورٌ مَكْفُيٌّ مَدْفوعٌ عَنْهُ بِالذَّاتِ أَيْنَ كَانَ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، إِذَا قَامَ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَوَاجَبَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿فَلَا تَهْمُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَوَاتِ وَأَنْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَكُمْ يَرِكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتـُرـ الكـافـرـينـ وـالـمـنـافـقـينـ أـعـمـالـهـمـ إذـ كـانـتـ لـغـيرـهـ، وـلـمـ تـكـنـ موـافـقـةـ لـأـمـرـهـ»<sup>(٢)</sup>.

هذا ونسأل الله الكريم أن يصلاح أحوال المسلمين، وأن يقيهم شر أعدائهم، وأن يحفظ على المسلمين أمنهم وإيمانهم، وأن يكف بأس الذين كفروا، والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، وأن يعزّ دينه ويعلي كلمته، وأن ينصرنا على القوم الكافرين، والله عَزَّ ذِكْرُهُ حافظ لمن لجأ إليه، وكاف من اعتمد به، فنعم المولى ونعم النـصـيرـ.

(١) «الفوائد» (ص/ ١٠٩).

(٢) «إغاثة للهـفـانـ» (٩١٣ / ٩١٤).

## العزيز الجبار

وقد ذُكر هذان الاسمان معاً في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَالِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، ولم يرد اسم الجبار في القرآن إلا في هذه الآية، وأما العزيز فقد ورد في القرآن ما يقرب من مائة مرة.

و«العزيز» أي: الذي له جميع معاني العزة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، أي: الذي له العزة بجميع معانيها، وهي ترجع إلى ثلاثة معانٍ كلها ثابتة لله عزوجل على التمام والكمال.

المعنى الأول: عزة القوة، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازُقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيِّنُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِرَبُّوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْرَبَّى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَوِي شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿مَا كَدُورُوا اللَّهُ حَقَّ كَدْرِمُهُنَّ اللَّهُ لَقِوَتُ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

المعنى الثاني: عِزَّة الامتناع فإنه الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، لا يبلغ العباد ضرره

فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع، المعطي المانع، متنّه سبحانه عن مغالبة أحد، وعن أن يقدر عليه، وعن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله من العيوب والنقائص، وعن كل ما ينافي كماله، وعن اتخاذ الأنداد والشركاء، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَلِلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات: ١٨٠ - ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلْأُرْوِيَ الَّذِينَ أَخْفَتُ بِي شُرَكَاءَ كَلَّابِلَ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سيا: ٢٧].

المعنى الثالث: عِزَّة القهر والغلبة لجميع الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، ونواصي جميع المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿قُلْ أَللَّهُمَّ مَنْكَلَّمُكَ تُؤْتِيَ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُشَرِّكُ مَنْ تَشَاءُ وَتُشَذِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِسِرْدَكَ الْعَمِيرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٦١] **تَوْلِيجُ الْأَيَّلِ فِي النَّهَارِ وَتَوْلِيجُ النَّهَارِ فِي الْأَيَّلِ وَتَخْرِيجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَخْرِيجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].**

ومن آثار الإثبات بهذا الاسم أن يكون ذُلُّ العبد لله وحده، لا يتجيء إلا إليه، ولا يحتمي إلا بحرمه، ولا يلوذ إلا بجنبه، ولا يطلب عزه إلا منه ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وكلما كان العبد أعظم تحقيقاً لذلك كان نيله للعزّة أمكن ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والعِزَّةُ بمعنى القهر هي أحد معاني الجبار، فإن من معاني الجبار أي: أنه القاهر لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء، فالعالم العلوي والسفلي بما فيها من المخلوقات العظيمة كلها قد خضعت في حركتها وسكناتها، وما تأتي وما تذر لملكيتها

ومدبرها، فليس لها من الأمر شيء، ولا من الحكم شيء، بل الأمر كله لله، والحكم الشرعي والقديري والجزائي كله له، لا حاكم إلا هو، ولا رب غيره، ولا إله سواه. وليس معنى هذا أن العبد مجبور على فعل نفسه، بل الأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكُفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَقَسْنِ وَمَا سَوَّنَهَا﴾ ⑦ ﴿فَأَهْمَمُهَا جُنُوبُهَا وَتَقْوِينَهَا﴾ ⑧ ﴿فَدَأْفَلَحَّ مِنْ رَكَنَهَا ⑨ وَقَدْخَابَ مِنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ١٠ - ٧].

والجبار له ثلاثة معانٍ

الأول: بمعنى القهار، كما تقدم.

الثاني: يرجع إلى لطف الرحمة والرقة، فهو الذي يجبر الكسير، ويعني الفقير، ويسير العسير، ويجبر المريض والمصاب بتوفيقه للصبر وتسهيل المعافاة له، مع تعويضه على مصابه أعظم الأجر، ويجبر جبراً خاصاً قلوبَ الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوبَ المحبين له الخاضعين لكتبه، الراجين لفضله ونوابه، بما يفيض به على قلوبهم من المحبة وأنواع المعرف والتوفيق الإلهي، والهدى والرشاد، وقول الداعي: «اللهم اجبرني» يراد به هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع جميع المكاره والشرور عنه، وقد كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدى وارزقني» رواه الترمذى، وابن ماجه<sup>(١)</sup>.

الثالث من معانى الجبار: أي: العلي على كل شيء، الذي له جميع معانى العلو: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القدرة.

وقد كان نبيّنا ﷺ يعظم ربه في رکوعه وسجوده بذكر جبروت الله عزّوجلّ الدال

(١) «جامع الترمذى» (رقم: ٢٨٤)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٨٩٨) من حديث ابن عباس صحيحة عنده. وصحّحه الألبانى.

عليه اسمه الجبار، ففي «المسند»، و«السنن» عن عوف بن مالك الأشجعي حَمِّلَنَّهُ قال: «قمتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمةٍ إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذابٍ إلا وقف فتعودَ»، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في رکوعه: سبحان ذي الجبروت والملائكة والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قرأ آيات عمران، ثم قرأ سورة سورة»<sup>(١)</sup>.

والجبروت لله وحده، ومن تجبر من الخلق باه سخط الله، واستحقّ وعидه، وقد توعد جل وعلا من كان كذلك بالنكل الشديد والطبع على القلوب ودخول النار يوم القيمة، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ﴾ <sup>١٥</sup> [١٥] مِنْ وَرَاهِيهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَنُ مِنْ مَأْوَى صَدِيقِهِ <sup>١٦</sup> يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسْيِغُهُ، وَبِأَيِّهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمِيَّتٍ وَمِنْ وَرَاهِيهِ عَذَابٌ غَيِظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

وروى أحمد والترمذى عن أبي هريرة حَمِّلَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيمة له عينان يبصر بها، وأذنان يسمع بها، ولسان ينطق به، فيقول: إني وَكَلْتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من أدعى مع الله إلها آخر، والمصوريين»<sup>(٢)</sup>.

نعود بالله من النار، ومن سخط الجبار، ونعود به سبحانه من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، إنه تبارك وتعالى سميع الدّعاء.

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٢٤)، وأبو داود (رقم: ٨٧٣)، والنسائي (رقم: ١١٣٢)، وغيرهم. وصححه الألباني.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/٣٣٦)، والترمذى (رقم: ٢٥٧٤)، وغيرهما بإسناد صحيح. وصححه الترمذى، والألبانى في «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٥١٢).

## القريب، المجيب

وقد جمع الله بين هذين الاسمين في قوله: ﴿وَإِلَى نَمُوذَ أَخَاهُمْ صَدِيقًا قَالَ يَقُولُونَ  
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْتُكُمْ فِيهَا فَأَسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي  
قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

ولم يرد «المجيب» في غير هذا الموضع، وأما «القريب» فقد ورد في موضعين آخرين هما: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا  
دَعَانِ فَلَيْسَتْجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ  
إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَلَيْنَ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّمَا سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].  
وقرب الله الذي تدلّ عليه هذه الآيات هو قربُ خاصٌ من العابدين المحبين والداعين المستجيين، قرب لا يدرك له حقيقة، وإنما تعلمُ آثارُه من لطفه بهم، وتوفيقه لهم، وعنائه بهم، ومن آثاره إجابته للداعين، وإثابته للعبددين، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لِكُمْ أَنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدِّلُونَ  
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد ثبت في السنة أحاديث عديدة تدلّ على قرب الله عزوجل من عباده المؤمنين وأوليائه المتّقين، يسمع دعاءهم، ويحجب نداءهم، ويعطيهم سؤلهم، ففي

«الصّحّيحةين»<sup>(١)</sup> عن أبي موسى الأشعري حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قال: «كَمَا مَعَ النَّبِيِّ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالْكَبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ أَهْمَّ النَّاسِ أَرْبَعُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ، إِنَّكُمْ لَيْسُ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ».»

وفي «الصّحّيحةين»<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال الله عَزَّ ذِي جَلَّ: «من تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبَرًا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيَّ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلَتُ إِلَيْهِ أَهْرَوْل».»

واسمه تعالى «المجيب» يدلّ على أنه سبحانه يسمع دعاء الدّاعين، ويجيب سؤال السائلين، ولا ينحيب مؤمناً دعاه، ولا يرد مسلماً ناجاه، ويحبّ سبحانه أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية، من الطّعام والشراب والكسوة والمسكن، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق والصلاح والإعانة على الطاعة، ونحو ذلك، ووعدهم على ذلك كله بالإجابة منها عظمت المسألة، وكثير المطلوب، وتنوع الرغبات، وفي هذا دلالة على كمال قدرة الله سبحانه وكمال ملكته، وأنّ خزائنه لا تنفذ ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجنّ والإنس وأجاهم في جميع ما سألوه، كما في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أَنَّ أَوْلَكُمْ وآخِرَكُمْ وِإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطِيَتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتِهِ مَا نَقْصَ ذَلِكَ مَا عَنِّي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ» رواه مسلم<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري (رقم: ٧٣٨٦)، ومسلم (رقم: ٢٧٠٤) - واللفظ له -.

(٢) البخاري (رقم: ٧٥٣٧)، ومسلم (رقم: ٢٦٧٥) - واللفظ له.

(٣) (رقم: ٢٥٧٧) وهو طرف من حديث أبي ذر حَدَّثَنَا أَبُو ذِرٌّ.

وفي «الصّحيحين»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَمَدُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي إِن شَاءَ، ولكن لِيَعْزِمُ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظِمُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

وقد ورد في السّنة النّبوّية أحاديث عديدة في الترغيب بالدّعاء، وبيان أنّ الله تبارك وتعالى يحب الدّاعين ويعطي السّائلين، وأنه جلّ وعلا حبي كريم، أكرم من أن يرد من دعاه أو يخيب من ناجاه أو يمنع من سأله.

روى أبو داود والترمذى وغيرهما عن سلمان الفارسي حَمَدُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَبِّيْ كَرِيمٌ يَسْتَحِيْ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدِيهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرْدِهِمَا صَفْرًا»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث النّزول الإلهي يقول ﷺ: «يَنْزُلُ رَبُّنَا تَبَارُكٌ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَقْيَى ثُلُثُ اللَّيلِ الْآخِرِ» فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

وهو حديث متواتر رواه عن النبي ﷺ جمع من الصّحابة بلغ عددهم ثمانية وعشرين صاحبًا.

وجاء في الحديث القديسي في بيان منزلة أولياء الله المتّقين أنَّ الله تبارك وتعالى يقول: «من عادى لي ولِيًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوْافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحِبَّتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّذِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلَهُ الَّذِي

(١) البخاري (رقم: ٦٣٣٩)، ومسلم (رقم: ٢٦٧٩) واللفظ له.

(٢) سبق تخرّيجه.

(٣) رواه البخاري (رقم: ١١٤٥)، ومسلم (رقم: ٧٥٨) من حديث أبي هريرة حَمَدُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يمشي بها، وإن سأله لأعطيته، ولئن استعاذه بـ«لأعذنه»، رواه البخاري في  
«صحيحه»<sup>(١)</sup>.

فهذه النصوص وما في معناها تدل دلالة بيّنة أن الله تبارك وتعالى لا يرد من سأله من عباده المؤمنين، ولا يخيب من رجاه، لكن قد يستشكل في هذا أن جماعة من العباد والصلحاء قد دعوا وبالغوا ولم يجابوها، والجواب: أن الإجابة تتنوّع: فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتاخر لحكمة، وتارة تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها، وقد تدخر له أجراً ومتوية يوم القيمة.

روى الإمام أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» والحاكم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رض، أنَّ النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعوه بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دُعَوْتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُصرفَ عَنْهُ مِثْلُهَا، قَالُوا: إِذَا نَكَرَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَكْثَر»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يتبيّن أنَّ إجابة السَّائل في سؤاله أعمّ من إعطائه عين المسؤول. وإن من أثر الإيمان باسم الله «المجيب» أن يقوى يقين العبد بالله، ويعظم رجاؤه ويزيد إقباله عليه وطمئنه فيما عنده، ويذهب عنه داء القنوط من رحمته أو اليأس من روحه.

---

(١) (رقم: ٦٥٠٢).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١٨/٣)، و«الأدب المفرد» (رقم: ٧١٠)، و«المستدرك» (٤٩٣/١) وصحّح الحاكم إسناده، وجوّده الحافظ المنذري، كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم: ١٦٣٣).

وكيف لا يكون المسلم واثقاً بربه الجود الكريم المحسن، وهو سبحانه بيده ملکوتُ كُلّ شيءٍ، فما شاء كان في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدم ولا تأخر، وحكمه سبحانه نافذ في السموات وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجوّ، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء، له الخلق والأمر، وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي الْأَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، تبارك الله رب العالمين.



## القاھر، القھار

وقد ورد القھار في ستة مواضع من القرآن، يأتي ذكرها. وورد القاهر في موضعين من القرآن هما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوَّقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْفَعِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوَّقَ عِبَادِهِ وَيَرِسُلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

والقھار صيغة مبالغة من القاهر، ومعناهما: الذي قهر جميع الكائنات وذلّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوى والسفلى، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شرراً. وكونه تبارك وتعالى قھاراً مستلزم لكمال حياته وكمال عزّته وكمال قدرته.

وثبوت هذا الوصف لله عزّوجلّ يعد شاهداً من شواهد وحدانيته، ودليلًا من دلائل تفرده بالألوهية، وبطلان الشرك واتخاذ الأنداد.

وقد ورد اسم الله «القھار» في ستة مواضع من القرآن الكريم، مضموماً في جميعها إلى اسميه «الله» و«الواحد».

**الموضع الأول:** ورد في سياق إبطال يوسف عليه السلام للشرك وبيان فساده وضلال أهله، مخاطباً صاحبي السجن ﴿يَنَصِّحُوا السَّجَنَ مَأْرِيَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَرُّ أَمْ أَلَّهُ

الْوَحْدَةِ الْقَهَّارِ ﴿٢﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِي أَنْتُمْ تَقِيمُ وَلَكُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

فَبَيْنَ لَهَا بَطْلَانُ الشَّرْكِ بِقولِهِ: ﴿أَرَيْابٌ﴾ أي: عاجزة ضعيفة لا تضر ولا تنفع ولا تعطي ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات وغير ذلك، ﴿خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ﴾ الذي له صفات الكمال ونحوت الجلال ﴿الْوَحْدَة﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له ﴿الْقَهَّار﴾ الذي انقادت جميع الأشياء لقهره وسلطانه.

الموضع الثاني: في سياق بيان بطلان ما عليه المشركون من اتخاذ الأواثان والأنداد مع أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ويتركون عبادة الله الواحد القهار وإخلاص الدين له.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ فَلَا يَخْدُنُوكُمْ مَنْ دُونَهُ أَوْلَاهُ لَا يَعْلَمُونَ لِأَنَّهُمْ نَعْمَلُ وَلَا ضَرَّمُ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظَّلَمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا اللَّهَ شَرِكَةً حَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحْدَةُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية مبيناً وجه دلالة اسم الله القاهر على بطلان الشرك: «فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات كل مخلوق فوق مخلوق يقهره، ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى يتنهى القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أنّ ما يُدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات، وبذلك كانت عبادته باطلة»<sup>(١)</sup>.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/٤١٥).

**الموضع الثالث:** في سياق التهديد والوعيد للكفار المشركين بالهلاك وحلول النومة بهم يوم يبرزون الله الواحد القهار مسلسلين بالأصفاد من النار وعليهم ثياب من قطران وتغشى وجوههم النار.

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتَ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴾ [٤٨] وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّفَرَّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ ٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ الْنَّارُ ﴿ ٥٠﴾ لِيَجْرِيَ اللَّهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ ٥١﴾ [إِرَاهِيمٌ: ٤٨ - ٥١].

**الموضع الرابع:** في سياق تقرير تفرد الله بالألوهية، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴾ [٦٥] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ [ص: ٦٥ - ٦٦].

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيرها: «هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهقهه لكُلّ شيء، فإنّ القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهقاراً متساوين في قهقهما أبداً، فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق أن يعبد وحده، كما كان قاهراً وحده»<sup>(١)</sup>.

**الموضع الخامس:** ورد فيه هذا الاسم في سياق بيان تنزيه الله عن الشرك. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِيبٌ كَفَّارٌ ﴾ [٢] لَوْأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَطَفَنِي مَمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٣ - ٤].

**الموضع السادس:** في سياق التهديد والوعيد للمشركين يوم بروزهم الله الواحد القهار لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالهم أو ذواتهم.

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص/٧١٦).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بِنَرِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدَةِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦].  
﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦ - ١٧].

وقوله في هذا السياق ﴿الْقَهَّارِ﴾ أي: لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات  
وذلت وخضعت، خصوصاً في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم.  
فجميع هذه المواقع تدل دلالة ظاهرة على التلازم بين اسميه الواحد  
القهار، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهار لا يكون إلا واحداً، وذلك ولا ريب  
ينفي الشركة ويبطل اتخاذ الأنداد.

وفي تقرير هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله: «لا يكون القهار إلا واحداً؛ إذ لو  
كان معه كفؤٌ له فإن لم يقهره لم يكن قاهراً على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤاً،  
وكان القهار واحداً»<sup>(١)</sup>.

وبهذا التقرير والعرض يتبيّن التلازم بين التوحيد والإيمان باسم الله القهار،  
وأن من لازم الإقرار بتفرده بالقهار أن يفرد وحده بالعبادة، وبه يعلم فساد الشرك؛  
إذ كيف يسوى المصنوع من التراب برب الأرباب؟! وكيف تسوى المخلوقات  
المقهورة بالله الواحد القهار؟! تعالى الله عما يشركون وسبحان الله عما يصفون.



(١) «الصواعق المرسلة» (٣/١٠٣٢).

## الوارث

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع كلها بصيغة الجمع، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَا لَنَحْنُ نُحْكِي، وَنُبَيِّثُ وَنَخْنُ الْوَرِثُونَ﴾ [الحجر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرِّنِي فَكَرِدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَرِثَةِ﴾ [الأنياء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكُمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيبِهِ بَطْرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَكَ مَسْكُونُهُمْ لَمْ شُتَّكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَخْنُ الْوَرِثَةِ﴾ [القصص: ٥٨].

ومعنى «الوارث»، أي: الباقي بعد فناء الخلق، فكُلُّ مَنْ سواه زائل، وكُلُّ من عداه فانٍ، وهو جَلَّ وعلا الحَيُّ الذي لا يموت، الباقي الذي لا يزول، إليه المرجع والمتّهـى، وإليه المآل والمصير، يفني الملائكة وأملائكتهم، ويرث تبارك الخلق أجمعين؛ لأنـه باقٍ وهم فانون، ودائـمٌ وهم زائلون.

فقوله: ﴿وَإِنَا لَنَحْنُ نُحْكِي، وَنُبَيِّثُ وَنَخْنُ الْوَرِثُونَ﴾ أي: نرث الأرض ومن عليها، بأنـ نُميـتـ جميعـهمـ فلا يبقى حـيـ سوانـا إـذا جاءـ ذلكـ الأـجلـ، إـذـ الجـمـيعـ يـفـنـىـ وكـلـ مـوتـ، ويـبـقـىـ اللهـ وـحـدهـ الحـيـ الذـيـ لاـ يـمـوتـ.

وقال عَبْرَقَلْبَنْ: ﴿إِنَّا نَخْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، وفي هذا تنبـيـهـ لـمـنـ أـهـلـهـ الدـنـيـاـ وـشـغـلـتـهـ عـمـاـ خـلـقـ لأـجـلهـ وـأـوـجـدـ لـتـحـقـيقـهـ؛ أـنـ الدـنـيـاـ وـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ

أوْهَا إِلَى آخِرِهَا سُتْدَهْبَعْ عَنْ أَهْلِهَا، وَيَذْهَبُونَ عَنْهَا، وَسِيرَتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَيُرِجِعُهُمْ إِلَيْهِ فَيُجَازِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا فِيهَا.

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ تَوَعَّدَ سَبْحَانَهُ كَفَّارَ قَرِيشَ الَّذِينَ مَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ مَكَّنَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يَجْبِي إِلَيْهِ ثُمَراتٍ كُلَّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدْنِهِ سَبْحَانَهُ، وَأَبْوَا قَبُولَ دُعَوةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ، تَوْعِدُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ بِالْأَمْمِ الْمَاضِيَّةِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيقَةٍ بَطَرَّتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمَرْ شُكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُثُرًا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الْقَصْصُ: ٥٨]، أَيْ: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ الْوَارِثُ لِلْعِبَادِ حَيْثُ يُمْيِتُهُمْ سَبْحَانَهُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا مَتَعُهُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ، ثُمَّ يَعِدُهُمْ إِلَيْهِ لِيُجَازِيَ كُلَّا مِنْهُمْ بِعَمَلِهِ.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْكُشُفُ لِلنَّاسِ الْغَطَاءَ، وَتَذَهَّبُ أَوْهَامُ مَنْ تَعْلَقَتْ قُلُوبُهُمْ بِالدُّنْيَا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ بَاقُونَ فِيهَا، وَأَنَّ مُلْكَهُمْ فِيهَا سَيِّقَى، وَأَنَّهُمْ إِلَى اللَّهِ لَا يَرْجِعُونَ، فَيُوقَنُونَ حِينَئِذٍ بِأَنَّ الْمَلَكَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ الْوَارِثُ لِدِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ حِينَئِذٍ تَقْطُعُ قُلُوبُهُمْ حَسَرَاتٍ وَامْتَلَأُهَا بِالنَّدَمِ وَالْأَسْفِ.

وَكَانَ آخَرُ خُطْبَةِ خَطْبَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلِقُوا عَبْثًا، وَلَنْ تُتَرْكُوا سُدًى، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحُكْمِ بَيْنَكُمْ وَالْفَصْلُ بَيْنَكُمْ، فَخَابُ وَخَسَرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَحَرَمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمُنُ غَدًا إِلَّا مِنْ حَذْرِ هَذَا الْيَوْمِ وَخَافِهِ، وَبَاعَ نَافِدًا بِيَاقٍ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مِنْ أَصْلَابِ الْمَالَكِينَ، وَسَيَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمُ الْبَاقِينَ حَتَّى تُرْدَوْنَ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثَيْنِ؟!.

ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشِيعُونَ غَادِيًّا وَرَائِحَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، وَانْقَضَى أَجْلُهُ، حَتَّى تَغْيِيْبُهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ، فِي بَطْنِ صَدْعٍ غَيْرِ مُهَدٍّ وَلَا مُوْسَدٍ، قَدْ فَارَقَ

الأحباب وبasher التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم. فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم. ثم جعل طرف ردائه على وجهه، فبكى وأبكى من حوله»<sup>(١)</sup>.

وقد حثَ الله عباده المؤمنين على النَّفقة في سبيله مِنَ المال الذي مَنَّ عليهم به، وجعلهم مُسْتَخْلِفِينَ فيه، مذكراً لهم بأنه الوارثُ سبحانه، قال تعالى: ﴿إِمْنَأْنَا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْفَقْنَا مِمَّا جَعَلَنَا مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ إِمْنَأْنَا بِهِ مِنْكُمْ وَأَنْفَقْنَا لَهُمْ أَجْرًا كِبِيرًا﴾ [الحديد: ٧]، إلى أن قال: ﴿وَمَا لِكُمْ أَلَا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]. روى مسلم في «صحيحه»<sup>(٢)</sup> عن مطرِّف، عن أبيه عبد الله بن الشَّيخ رحمه الله قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿الْهَمَّكُمُ الْكَافِرُ﴾، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهُلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلَتْ فَأَنْفَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». .

ثم إنَّ الله عَزَّوجَلَّ هو المالك للسموات والأرض، والمالك لكل شيء، والأرض له سبحانه يورثها من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُ بِاللهِ وَأَصِرُّوْا إِنَّ الْأَرْضَ لِللهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَيْقَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَحْفَوْنَ مَسْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أَلَّا يَرْجِعُنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْشُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

(١) رواه ابن أبي حاتم، كما في «تفسير ابن كثير» (٤٩٤ / ٥).

(٢) (رقم: ٢٩٥٨).

والجنة دار كرامته يورثها من يشاء من عباده ﴿جَنَّتِ عَدِنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْنَى﴾ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَّمًا وَلَمْ يَرْزُقُهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيَّاً ﴿٦﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي تُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦١ - ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَوْدُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

وكتابه ﴿بِرْكَاتُهُ﴾ هو كتاب الهدایة والعزّ والفلاح، يورثه سبحانه من اصطفاهם لمنته واجباهم لكرامته، قال تعالى: ﴿مُمْئُومُ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فِيمَنْهُمْ طَالِمُ لِنَفْسِيهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَاقِيٌّ بِالْخَيْرَاتِ يَإِذْنَ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فكلهم قد اصطفاهم الله لوراثة هذا الكتاب، وإن تفاوتت مراتبهم، وتمايزت أحواهم، فلكلٌّ منهم قسط ونصيب من وراثته.

ثم إنَّ التوسل إلى الله بهذا الاسم داخلٌ في عموم قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْمُسَنَّةُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا سيما بمراعاة المناسبة بين المطلوب والاسم المذكور كما في دعاء نبي الله زكريا عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَزَكَرَيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّي لَا تَذَرِّنِي فَكَرِدَ وَأَنَّتَ خَيْرُ الْوَرِثَاتِ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَهَبْنَا لَهُ يَحِيَّ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠ - ٩١]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنِكَ وَلِيَّا﴾ ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ إِلَيْكَ يَعْقُوبَ وَأَجْعَكُهُ رَبِّ رَضِيَّا﴾ [مريم: ٦ - ٥].

والإرث المذكور هنا إنما هو إرث علم ونبيّ ودعوة إلى الله ﴿بِرْكَاتُهُ﴾ لا إرث مالٍ، وقد توسل عليه السلام في هذا السياق باسم الله الوارث مراعاة لمناسبة المسألة والمطلوب. وقد استجاب الله ﴿بِرْكَاتُهُ﴾ لدعاء نبيه زكريا عليه السلام، فجعل امرأته ولوذاً بعد أن

كانت عقيماً، ورزقه ولداً ذكرًا صالحًا سماه يحيى، وجعله نبياً من الأنبياء، ورث النبوة من بعد أبيه.

ومثل هذا الإرث المبارك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ مُوسَىٰ دَاؤِدٌ﴾ [النمل: ١٦]، أي: ورث سليمان أباه داود النبوة، والأمر لله من قبل ومن بعد، وهو المانٌ وحده، وإليه المرجع والماب، وهو تبارك وتعالى خير الوراثين.



## المُتَكَبِّرُ

وقد ورد هذا الاسم في موضع واحدٍ من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَمَّيْتُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ  
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الخشر: ٢٣].

و«المتكبر» اسمٌ يدلُّ على وصفه سبحانه بالتكبر والكرياء، والتاء في «المتكبر» ليست تاء التعاطي والتکلف، وإنما هي تاء التفرد والاختصاص، فالكرياء وصفه سبحانه الذي لا يليق إلَّا به، ولذا سيأتي ذكر الوعيد الشديد للمتكبرين، وعقوبات الله لهم المعجلة والمؤجلة.

قال قتادة: «هو الذي تکبر عن كُلّ سوء»، وقال أيضاً: «الذي تکبر عن السيئات»، وقال أيضاً: «الذي تکبر عن كُلّ شر»، وقال مقاتل: «التعظم عن كُلّ سوء»، وقال أبو إسحاق السبيسي: «الذي يکبر عن ظلم عباده»، وقال ميمون بن مهران: «تکبر عن السُّوء والسيئات، فلا يصدر منه إلَّا الخيرات».

وجماع ذلك أنَّ هذا الاسم يدلُّ على تعالي الله عن صفات الخلق، وتعظيمه سبحانه عن مثالتهم أو أن يماثلوه، ورفعته سبحانه عن كُلّ نقص وعيوب، فهو المتكبر عن الشرّ وعنسوء وعن الظلم وعن كل نقص، وهذا متضمنٌ ثبوت الكمال له سبحانه في أسمائه وصفاته وأفعاله.

والتكبر لا يليق إلّا به سبحانه؛ لأنّه وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الربُّ وما سواه مربوب، وهو الخالقُ وحده وما سواه مخلوق، وهو وحده المفتردُ بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال، كما كان يجمع ذلك رسول الله ﷺ في تسبيحه لربّه سبحانه في ركوعه وسجوده حيث كان يقول: «سبحان ذي الجبروت والملائكة والكبيراء والعظمة»<sup>(١)</sup>.

فالمنزَّ عن الناقص الذي له الملك والتصرُّف والتدبیر والعظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله هو وحده المتكبّر لا شريك له.

وأمّا العبد المخلوق فمقامه العبوديَّة والخضوع والذُّل والانكسار والركوع والسجود للكبير المتعال العظيم ذي الجلال، ولعلَّ في هذا سرًّا من أسرار ذكر الله بالتكبر عند الخفاض للركوع والخفاض للسجود، وذكر كبرائه سبحانه وعظمته حال الرکوع والسجود.

وأمّا - والعياذ بالله - إذا استكبر العبد ولا سيما عن الغاية التي أوجد لأجلها وخلق لتحقيقها، وهي عبادة الله وإفراده وحده بالذُّل والخضوع والانكسار؛ فإن الله يعاقبه بأعظم العقاب، ويخزيه في الدنيا والآخرة.

وقد ذكر سبحانه في مواضع عديدة من كتابه العزيز أنواع العقوبات التي يُحْلِّلُها بالمستكبرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أي: صاغرين ذليلين، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَنْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿قِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ حَلَّلِينَ فِيهَا قِئَسَ مَنْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِيَأْيِنَنَا وَاسْتَكَبُرُوا

---

(١) تقدّم تخرّيجه.

عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَبُ الْنَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿٣٦﴾ [الأعراف: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِغَايَتِنَا وَأَسْتَكَبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ الْأَسْلَمِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَقَّ يَلْيَحَ الْجَمْلُ فِي سَرِيرِ الْخَيْلَاطِ وَكَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وذكر سبحانه في كتابه العزيز نماذج من المستكبرين من الأشخاص والأمم، وبين ما أحلّ بهم في الدنيا من العقاب، وما أعدّ لهم في الآخرة من النكال، وذلك لتسبيح سبيل المجرمين، وللذين في ذكر حالهم عظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين.

فذكر سبحانه إمام المستكبرين إبليس عدو الله وعدو دينه وعدو عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِلَآ إِلَيْسَ أَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَفَّارِ﴾ [ص: ٧٤]، وذكر فرعون وتكبره على الحق هو وجندوه، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنْدُهُ فِي الْأَرْضِ يُفْكِرُ الْحَقِيقَ﴾ [القصص: ٣٩].

وذكر سبحانه من المتكبرين الوليـد بن المغيرة معانـد الحق والبارـز للـه ولرسوله بالمحاربة والمشـاقـة، فـذـمـه اللـه ذـمـا لم يـذـمـه غـيرـه، وهذا جـزـاءـ المعـانـدـينـ المـكـبـرـينـ، قال تعالى: ﴿ذَرْفَ وَمَنْ حَلَقَتْ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شَهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَدْتُ لَهُ تَهْمِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيمَانِنَا عِنْدَنَا ﴿١٦﴾ سَارِقَهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَرَ وَفَدَرَ ﴿١٨﴾ قَفْلِيْلَ كَيْفَ قَدَرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُلْلَ كَيْفَ قَدَرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَبَرَ وَاسْتَكَبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يَوْمَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيْلِيْهِ سَقَرَ﴾ [المـثـرـ: ١١ - ٢٦].

وذكر أيضـا تـكـبـرـ الأـمـمـ المـاضـيـةـ عـلـىـ الـحـقـ، فـقاـلـ عنـ قـومـ نـوـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ: ﴿فَلَمْ يَرِدْهُمْ دُعَاءـيـ إـلـا فـرـارـا ﴿٦﴾ وـلـيـ أـكـلـيـ كـلـمـاـ دـعـوـهـمـ لـغـفـرـلـهـمـ جـعـلـوـاـ أـصـبـعـهـمـ فـيـ مـاـذـاهـمـ وـأـسـتـغـشـوـاـ شـيـاـهـمـ وـأـصـرـوـاـ وـأـسـتـكـبـرـوـاـ أـسـتـكـبـارـاـ﴾ [نوـحـ: ٦ - ٧]، وقال عن قـومـ هـوـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ: ﴿فَأَمَّا عـادـ فـأـسـتـكـبـرـوـاـ فـيـ الـأـرـضـ يـغـيـرـ الـحـقـ﴾ [فصلـتـ: ١٥]، وقال عن قـومـ شـعـيبـ عـلـيـهـ السـلـامـ: ﴿قـالـ

الْمَلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ أَمْتُوا مَعَكَ مِنْ قَرِبَتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَلَيِّنَأَ قَالَ أُولَئِكُمْ كَانُوكُرِهِنَّ ﴿الأعراف: ٨٨﴾، وقال تعالى عن قوم صالح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ أَسْتَضْعِفُوا لَمَنْ أَمْنَ مِنْهُمْ أَنْقَلَمُونَ أَنَّكُنَّ لِحَا مُثْرِسُلُّ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أَزْسِلْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا إِنَّا بِاللَّهِ أَمَنَّنَا كَفِيرُونَ ﴿الأعراف: ٧٦-٧٥﴾.

وعجباً ثم عجباً من هؤلاء الطعام سفهاء العقول والأحلام كيف رضوا لأنفسهم الاستكبار عن عبادة الواحد القهار، والاستنكاف عن الإخلاص للعزيز الغفار، ثم صرفو عبادتهم وذلهم وخصوصهم لحجر من الأحجار، أو شجرة من الأشجار، أو لأي مخلوق ليس له إلّا الذل والافتقار، فلا إله إلّا الله كيف ذهبت عقولهم عن الحق والهدى، وعميت أبصارهم عن النور والضياء، وسبحان الله ما أشنعها من حال.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَارَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبَشِرُونَ ﴿الزمير: ٤٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَيْنَا تَارِكُونَا إِلَهَنَا إِلَهَنَا شَاعِرٌ مَجْهُونٌ ﴿الصافات: ٣٦-٣٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبِّكَ فِي الْفُرُّقَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدَبِرِهِمْ نَفُورًا ﴿الإسراء: ٤٦﴾.

اللهم لا إله إلا أنت رب العالمين، نعوذ بالله من الضلال، ونسأله سبحانه أن يرزقنا الذل لجنابه، وأن يعيذنا من سبيل المستكبرين، فهو وحده تبارك وتعالى المانع والمعين.



## النُّورُ

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوْفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْيَصَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الْزُجَاجَةُ كَانَتْ كَوْكِبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرِيقَةٍ وَلَا غَرِيْبَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّهُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقد أفاد هذا النص وغيره من النصوص الواردة في هذا الباب تسمية الرب سبحانه نوراً، وبأن له نوراً مضافاً إليه، وبأنه نور السموات والأرض، وبأن حجابه نور، فهذه أربعة أنواع:

الأول: إطلاقه عليه سبحانه اسماً.

الثاني: إضافته إليه وصفاً، كما يضاف إليه حياته وسمعه وبصره وسائر صفاتاته، وتارة يضاف إلى وجهه كقوله في الحديث: «أعوذ بنور وجهك»، وتارة يضاف إلى ذاته كقوله تعالى: ﴿وَأَشَرَّقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

الثالث: إضافة نوره إلى السموات والأرض، كقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

الرابع: ذكر أن حجابه النور، كما في الحديث الصحيح: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُّحَاتٍ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كَلَامِ جَامِعٍ لَهُ فِي بَيَانِ مَعْنَى هَذَا الاسم، وَتَوْضِيحٌ مَدْلُولٌ لَهُ:

«النُورُ مِنْ أوصافِهِ تَعْلَى عَلَى نَوْعَيْنِ»

نور حَسِيْبٌ: وهو ما اتصف به من النور العظيم، الذي لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبُّحاتُ وجهه ونور جلاله ما انتهى إليه بصره من خلقه، وهذا النور لا يمكن التعبير عنه إلا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنى العظيم، وأنه لا تطيق المخلوقات كلها الثبوت لنور وجهه لو تبَدَّى لها، ولو لا أنَّ أهل دار القرار يعطينهم رب حياة كاملة، ويعينهم على ذلك لما تكَنُوا من رؤية رب العظيم، وجميع الأنوار في السموات العلوية كلها من نوره، بل نور جنات النعيم التي عرضها السموات والأرض - وسَعَتْهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ - من نوره، فنور العرش والكرسي والجනات من نوره، فضلاً عن نور الشمس والقمر والكواكب.

والنوع الثاني: نوره المعنوي، وهو النور الذي نُورَ قلوبُ أَنْبِيَاءٍ وَأَصْفَيَائِهِ وأَوْلَيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، من أنوار معرفته وأنوار محبته، فإن معرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا بحسب ما عرفوه من نعموت جلاله، وما اعتقدوه من صفات جماله، فكل وصف من أوصافه له تأثير في قلوبهم، فإن معرفة المولى أعظم المعارف كلها، والعلم به أَجَلُ العلوم، والعلم النافع كله أنوار في القلوب، فكيف بهذا العلم الذي هو أَفْضَلُ العِلَّومَاتِ وأَجْلُهَا وأَصْلُهَا وأَسَاسُهَا.

فكيف إذا انضم إلى هذا نور محبته والإِنْابة إِلَيْهِ، فهناك تمتلئُ أقطار القلب وجهاه من الأنوار المتنوعة وفنون اللذات المتشابهة في الحسن والنعيم.

فمعاني العظمة والكمبياء والجلال والمجد تملأ قلوبهم من أنوار الاهبة والتعظيم

والإجلال والتكبير.

ومعاني الجمال والبر والإكرام: تملأها من أنوار المحبة والود والشوق.

ومعاني الرحمة والرأفة والجود واللطف: تملأ قلوبهم من أنوار الحب النامي على الإحسان، وأنوار الشكر والحمد بأنواعه والثناء.

ومعاني الألوهية: تملأها من أنوار التعبد، وضياء التقرب، وسناء التّحبب، وأسرار التودُّد، وحرية التعلق التام بالله رغبةً ورهبةً، وطلبًا وإنابةً، وانصراف القلب عن تعلقه بالأغيار كلها.

ومعاني العلم والإحاطة والشهادة والقرب الخاص: تملأ قلوبهم من أنوار مراقبته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى المقامات كلها، أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فكل معنى ونعت من نعوت الرب يكفي في امتلاء القلب من نوره، فكيف إذا تنوّعت وتواردت على القلوب الطاهرة الزكية الذكية، وهنا يصدق على هذه القلوب القدسية انطباق هذا المثل عليها، وهو قوله: ﴿مَثُلُّ نُورٍ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا وَضِيَّاعٌ أَلِبَصَابُخُ فِي زِيَاجَةٍ أَزِيَاجَةٍ كَانَهَا كَوْكِبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرِيقَةٍ وَلَا غَرِيْبَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّعُهُ وَلَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ تُؤْرِعُ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾ الآية [النور: ٣٥].

وهذا النّور المضروب هو نور الإيمان بالله، وبصفاته وآياته مثله في قلوب المؤمنين مثل هذا النور الذي جمع جميع الأوصاف التي فيها زيادة النور، وهو أعظم مثَل يعرفه العباد، وقد دعا لحصول هذا النور فقال: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصرني نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم اجعلني نوراً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث قيام الليل.

ومتي امتلاً القلب من هذا النور فاض على الوجه، فاستنار الوجه، وانقادت الجوارح بالطاعة راغبة، وهذا النور الذي يكون في القلب هو الذي يمنع العبد من ارتكاب الفواحش، كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فأخبر أن وقوع هذه الكبائر لا يكون ولا يقع مع وجود الإيمان ونوره<sup>(٢)</sup> اهـ.

وبهذا التقرير الوافي، والبيان البين يظهر معنى هذا الاسم العظيم، ويتصحّ مدلوله.

هذا؛ ولما كان النور من أسمائه سبحانه وصفاته كان دينه نورا، ورسوله نورا، وكلامه نورا، ودار كرامته لعباده نورا يتلألأ، والنور يتقد في قلوب عباده المؤمنين، ويجري على ألسنتهم، ويظهر على وجوههم، ويتم تبارك وتعالى عليهم هذا النور يوم القيمة، كما قال سبحانه: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَسَّا أَتَمِّ لَنَا نُورَنَا وَأَعْفَرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].




---

(١) رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص / ٦٢ - ٦٥).

## المُحسِن

ولم يرد هذا الاسم في القرآن أبداً وإنما ورد فعلاً كمَا في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ  
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَتِي إِذْ أَخْرَجْتِي مِنَ السِّجْنِ  
وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]،  
وقوله تعالى: ﴿أَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ، وَبَدَا خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]،  
وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلْقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وجاءت السنة بإثبات هذا الاسم لله عز وجل في ثلاثة أحاديث عن رسول الله ﷺ.  
الأول: حديث أنس بن مالك حفظه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حكمتم  
فاعدولوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين» رواه الطبراني، وأبو  
نعميم<sup>(١)</sup>.

الثاني: حديث شداد بن أوس حفظه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين:  
قال: «إن الله محسن يحب الإحسان إلى كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم

(١) «الأوسط» (٥٧٣٥)، و«أخبار أصبهان» (٢/١١٣) من طرق عن محمد بن بلال، ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن أنس بن مالك حفظهم.

قال الحافظ الميسمي في «مجموع الزوائد»: «رجاله ثقات».

وقال العلام الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/٧٦١): «إسناده جيد».

فأحسنوا الذبح، وليرح أحدكم شفتره وليرح ذبيحته<sup>(١)</sup>. رواه عبد الرزاق وغيره

الثالث: حديث سمرة بن جندب حَدَّثَنَا سُمَرَةُ بْنُ جَنْدِبٍ، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مَحْسِنٌ فَأَحْسِنْ وَإِنَّمَا قَتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُحِسِنْ مَقْتُولَهُ، وَإِذَا ذَبَحَ فَلْيُحِدَّ شَفَرَتَهُ وَلِيرَحَ ذَبَحَتَه» رواه ابن عدي<sup>(٢)</sup>.

وهذه الروايات تدل بمجموعها على ثبوت هذا الاسم لله عزوجل.

وقد جاء ذكر هذا الاسم في ثنايا كلام أهل العلم، وكثير التعبيد لله به<sup>(٣)</sup>.

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٤/٤٩٢) - ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٧/٢٧٥) - عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصناعي، عن شداد بن أوس، قال (فذكره). و الرجال إسناده ثقات رجال مسلم. أبو الأشعث اسمه شراحيل بن آدة، وأبو قلابة هو عبد الله بن زيد الجرمي.

ورواه إسماعيل القاضي في «حديث أيوب السختياني» (٣٦) عن يحيى الحمانى، حدثنا حاد ابن زيد، عن أيوب، به، مثله.

والحمانى مختلف فيه، وقد اتهم بسرقة الحديث.

والحديث رواه مسلم (رقم: ١٩٥٥) من طريق خالد الحذاء، عن أبي قلابة، بإسناده، بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قُتِلْتُمْ...» الحديث.

(٢) في «الكامل» (٦/٢٤١٩) من طريق عبد الله بن رشيد، ثنا مجاعة بن الزبير أبو عبيدة، عن الحسن، عن سمرة، فذكره.

وإسناده ضعيف مسلسل بالعلل؛ عبد الله بن رشيد ليس بالقوي وفيه جهالة، ومجاعة ابن الزبير مختلف فيه وضعفه الدارقطني وغيره، والحسن مختلف في سماعه من سمرة. وقال المناوى في «التيسير» (١/٩٠): «إسناده ضعيف».

لكن الحديث صحيح يشهد له الحديثان قبله.

(٣) وقد جمعت في رسالة لي مفردة حول إثبات هذا الاسم لله عزوجل من سمي معيداً للمحسن من أهل العلم وغيرهم إلى نهاية القرن التاسع، بلغ عددهم أكثر من خمسين شخصاً.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكان شيخ الإسلام المروي قد سمي أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى، وكذلك أهل بيتنا غالب على أسمائهم التعبيد لله: كعبد الله وعبد الرحمن، وعبد الغني والسلام والقاهر واللطيف والحكيم والعزيز والرحيم والمحسن...»<sup>(١)</sup>، وذكر بعض أسماء الله الحسنى.

وقال ابن القيم رحمه الله: «وإقرار قلوبنا بأنَّ الله الذي لا إله إلا هو... وأنه حكيم كريم محسن... ولا أحد أحب إليه الإحسان منه، فهو محسن يحب المحسنين»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى اسم الله «المحسن» يرجع إلى الفضل والإنعم والجود والإكرام والمن والعطاء، والإحسانُ وصفٌ لازم له سبحانه، لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين بالإيجاد والإنعم والإمداد، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ. وَبَدَأَ خَلْقَ الْأَنْسَنَ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَصَوَرَ كُلُّ فَاحِنَّ صُورَكُو وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

وأعظم الإحسان التوفيق لهذا الدين وشرح الصدر للزوم طاعة رب العالمين، والتشييت على الحق والهدى إلى المهات، إلى أن يتوج ذلك بأعظم الكراهة وأجل الإحسان بدخول الجنان يوم القيمة، ورؤيه الكريم الرحمن المحسن المنان، نسأله سبحانه من فضله العظيم وإحسانه الجزييل.

ثم إن الله سبحانه يحب من عباده أن يتقربوا إليه بمقتضى معاني أسمائه، فهو الرحمن يحب الرحماء، وهو الكريم يحب الكرماء، محسن يحب المحسنين، قال تعالى:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/٣٧٩).

(٢) «طريق المجرتين» (ص/١٢٠).

﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَاحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحسَنِ إِلَّا الْإِحسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَنْقَوْ وَالَّذِينَ هُمْ شُحْسِنُونَ﴾ [الحل: ١٢٨].

والإحسان من العبد هو أعلى مقامات الدين وأرفعها كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفسر الإحسان في الحديث بأن يعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله جل وعلا يراه لا يخفى عليه منه شيء، وهذا إحسان في عبادة الله، وهو أشرف الدين وأرفع مقاماته كما تقدم، ومن الإحسان أيضاً الإحسان إلى عباد الله بِرًا بالوالدين، وصلة للأرحام، ووفاء بالحقوق، وإعانته لذوي الحاجات، وكف الأذى عن الناس، والاجتهاد في إيصال الخير لهم، إلى غير ذلك من الإحسان لعباد الله.

وقد وعد الله على ذلك بالثواب العظيم، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحسَنِ إِلَّا الْإِحسَنُ﴾، وقال تعالى: ﴿لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَهُمْ زَيْدَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبه: ١٢٠].

ومن ثمار الإحسان العظيمة في الدنيا انتشار صدر المحسن وطيب نفسه وطمأنينة قلبه، ولذا يقول العلامة ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كلامِ عَظِيمٍ لَهُ عَنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ، قال: «وَمِنْهَا: الإِحسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ، وَالنَّفْعُ بِالْبَدْنِ وَأَنْواعِ الْإِحسَانِ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ الْمُحْسِنَ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدْرًا، وَأَطْبَيْهِمْ نَفْسًا، وَأَنْعَمْهُمْ قَلْبًا، وَالْبَخِيلُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِحسَانٌ أَضَيقُ النَّاسَ صَدْرًا، وَأَنْكَدُهُمْ عِيشًا، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًا وَغَمًا».

وقد ضرب رسول الله ﷺ في «الصحيح»<sup>(١)</sup> مثلاً للبخيل والمتصدق كمثل

(١) «صحيح البخاري» (رقم: ١٤٤٣)، و«صحيح مسلم» (رقم: ١٠٢١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رجلين عليهما جُنّتان من حديد، كلما همَ المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت، حتى يجبر ثيابه ويعفي أثره، وكلما همَ البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها، ولم تتسع عليه، فهذا مثل انسراح صدرِ المؤمنِ المتصدقِ وانفساح قلبه، ومثل ضيق صدرِ البخيل وانحصر قلبه<sup>(١)</sup>.

وأما ثواب الإحسان في الآخرة فكل ما تشهيه الأنفس وتلذه الأعين يناله المحسنون، قال تعالى: ﴿لَهُم مَا يَشَاءُونَ كَعِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَرَأَةُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤].

وقد جمع الله لهم بين الثوابين المعجل والمؤجل في قوله: ﴿فَاعْلَمُوهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَمُحْسِنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.



---

(١) «زاد المعاد» (٢٥ - ٢٦).

## الدِّيَان

وهو اسم ثابت لله عَزَّوجَلَّ في سَنَة النَّبِيِّ ﷺ، روى الإمام أحمد في «المسندي» والبخاري في «الأدب المفرد» وابن أبي عاصم في «السنة» والحاكم في «المستدرك» وغيرهم عن جابر بن عبد الله حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّوجَلَّ قال: «بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشترطتُ بعيرًا، ثم شددت عليه رحلي، فسررت إلَيْه شهراً حتى قدمت عليه الشَّام، فإذا عبد الله بن أُنسٍ حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّوجَلَّ فقال للباب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه، فاعتنقني واعتنقه، فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخشر الناس يوم القيمة - أو قال: العباد - عرابة غرلا بهما، قال: قلنا: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعْدَ كَمَا يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الدين، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولو عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه، حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف وإنما نأي الله عَزَّوجَلَّ عرابة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات»، زاد الحاكم: «وتلا رسول الله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ بُشِّرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾

**بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴿١﴾**

والدَّيَانُ: معناه المجازي المحاسب، والله جلّ وعلا يجمع الأولين والآخرين يوم القيمة عُراة ليس عليهم ثياب، حفاة بلا نعال، غرلاً أي: غير مختتنين، بُهْما ليس معهم شيء من متع الدنيا، ثم يجازيهم ويحاسبهم على ما قدّموا في حياتهم الدنيا من أعمال، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

قال الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ تُبَخَّرُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [غافر: ١٧].

وقال تعالى: **﴿وَضَعُّ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمٍ أَقْيَمَهُ فَلَا ظُلْمُ نَفْسٍ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَةٍ مِّنْ خَرَدٍ أَتَيْنَا بِهَا وَنَفَّيْنَا حَسِيبَيْنَ﴾** [الأنباء: ٤٧].

وقال تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧-٨].

---

(١) رواه أحمد (٤٩٥/٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٤)، والحاكم (٤٣٧/٢) وغيرهم من طريق القاسم بن عبد الواحد المكي، عن عبد الله ابن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول (فذكره).

وإسناده حسن؛ عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف مختلط فيه لكنه حسن الحديث، والقاسم بن عبد الواحد المكي روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في «الثقة» (٣٣٧/٧) ولم يبحره. وعزاه الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» إلى أحمد وحسن إسناده ، وكذا حسن الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٠٨)، وفي «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم».

وله إسناد آخر أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٦) من طريق الحجاج بن دينار، عن محمد ابن المنكدر، عن جابر، به، مطولاً. قال الحافظ في «الفتح» (١/١٧٤): «وإسناده صالح».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تُكُّ حَسَنَةً يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْدُدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْفِرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ شُوُّرٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأْ بَعِيدًا وَيُحَدِّرُ كُمُّ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

ويوم القيمة يسمى يوم الدين؛ لأنّه يوم الجزاء والحساب، قال الله تعالى: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي: مالك يوم الجزاء على الأفعال والحساب بها، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُوَفَّ إِيمَانُهُمْ وَيُؤَدَّيُ حِسَابُهُمْ وَاللَّهُ عَلَىٰ هُنَّا مُحْسِنُونَ﴾ [النور: ٢٥]، أي: حسابهم، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ مُجْزَفُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقوله: ﴿أَئَ الْمَدِينُونَ﴾ [الصفات: ٥٣]، أي: مجرِّدون محسوبون.

وإذا عرف العاقل أنَّ الرَّبَّ سبحانه دِيَانٌ، وأنَّ يوم القيمة يوم جزاء وحساب، وأنه سيلقى الله ذلك اليوم لا محالة، وأنه في ذلك اليوم سيجد أعماله كلها محضرة خيرها وشرها، حسنها وسيئها؛ فإنه سيحسب لذلك اليوم حسابه ويعدُّ له عدَّه.

روى الإمام أحمد في «الزهد»<sup>(١)</sup> عن أبي قلابة، قال: قال أبو الدرداء حَوَّلَنِي إِلَيْهِ قال: «البِرُّ لَا يَبْلِي، وَالْإِثْمُ لَا يَنْسَى، وَالدِّيَانُ لَا يَنْامُ، فَكُنْ كَمَا شَئْتَ، كَمَا تَدْرِي تَدَانُ».«

فالكيس من دان نفسه وحاسبها ما دام في دار المهلة والعمل، والعاجز من أهملها سادرة في غيابها وأتبعها هوها إلى أن يفجأه الندم.

روى ابن أبي الدنيا في كتابه «محاسبة النفس»<sup>(٢)</sup> عن الخليفة الرّاشد عمر بن

(١) (رقم: ٧٦٤) ورجاله ثقات، وفيه انقطاع.

(٢) (رقم: ٢).

الخطاب حَلِيلُهُ أنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيّنوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية».

أولاً يذكر الظالم الغشوم هول المطلع وشدّة الحساب وقول الديان سبحانه في ذلك اليوم: «لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولو عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة».

ولما سأله الصحابة حَلِيلُهُ كيف يكون الحساب حينئذ والناس إنما يقدمون إلى الله يوم القيمة عراةً غرلاً بها قال: «بالمحسنات والسيئات»، أي: أنه سبحانه يأخذ للمظلوم من حسنات ظالمه، فإن لم يكن عنده حسنات أخذ من سيئات المظلوم فطرحت عليه ثم طرح في النار، كما في حديث أبي هريرة حَلِيلُهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرؤن ما المفلس؟ قالوا: المفلس فيما من لا درهم له ولا متع، فقال: إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقدف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرحت في النار» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً من حديث أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ تؤدِّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيمة، حتى يقاد للشَّاة الجلحاء من الشَّاة القرناء»<sup>(٢)</sup>.

(١) (برقم: ٢٥٨١).

(٢) «صحيح مسلم» (رقم: ٢٥٨٢).

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

**أَمَّا وَاللَّهُ إِنَّ الظُّلْمَ لِئُمْ** **وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ**

إلى دِيَان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ومن كمال مجازة الرب سبحانه في ذلك اليوم أنه يحييء بنفسه في ذلك اليوم للفصل بين العباد، قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَافِرًا ﴾ [٢٢] وَجَاءَهُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يُوَمِّدُ يَنْذَكِرُ الْإِنْسَنَ فَأَنَّ لَهُ الْذِكْرَ ﴾ [٢٣] يَقُولُ يَلِيَّتِنِي قَدَمْتُ لِيَابَاتٍ ﴾ [الفجر: ٢٤ - ٢٢]. فتفكر أيها العبد في هذا اليوم العظيم، وتذكّر أنّ الرب سبحانه دينان، وأن الحقوق ستؤدي في ذلك اليوم إلى أهلها، وأن ما ثمّ في ذلك اليوم إلّا الحسنات والسيّئات.

**تذكّر يوم تأتي الله فرداً** وقد نصب موازين القضاء

**وهي تكشف الغطاء عن المعاصي وجاء الذنبُ منستوراً**

اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ خَزِيِّ يَوْمِ النَّدَامَةِ، وَمِنْ فَضْيِحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمًا لَا يَنْفَعُ  
مَالٌ وَلَا بَنْوَنٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.



## المقدّم، المؤخّر

وقد ورد هذان الأسمان في بعض الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ منها: حديث أبي موسى الأشعري رحمه الله، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطئي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخررت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدّم وأنت المؤخّر، وأنت على كل شيء قادر» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وحديث علي صلوات الله عليه في وصفه لصلاحة النبي ﷺ وفيه يقول: «ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخررت وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدّم وأنت المؤخّر لا إله إلا أنت» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدّج قال: «اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك

(١) البخاري (رقم: ٦٣٩٨)، ومسلم (رقم: ٢٧١٩).

(٢) (رقم: ٧٧١).

الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق  
ولقاوك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنَّبِيُّونَ حق، ومحمد ﷺ حق،  
والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنتُ، وبك  
خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخَرْت، وما أسررت وما  
أعلنت، أنت المقدّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهذان الاسمان من الأسماء المزدوجة المقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده  
على الله إلا مقوينا بالآخر، فإن الكمال من اجتماعهما، والتقديم والتأخير وصفان الله  
عَزَّوجَلَّ دالان على كمال قدرته ونفوذه مشيئته، وكمال حكمته، وكما من الصفات الذاتية  
لكونها قائمين بالله والله متصل بها، ومن صفات الأفعال؛ لأن التقديم والتأخير  
متعلق بالمخلوقات ذاتها وأفعالها وأوصافها.

وهذا التقديم والتأخير يكون كونيا كتقديم بعض المخلوقات على بعض  
وتأخير بعضها عن بعض، وكتقاديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها،  
إلى غير ذلك من أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير، ويكون شرعاً كما فضل  
الأنبياء على الخلق وفضل بعضهم على بعض، وفضل بعض عباده على بعض،  
وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخَرْ من أخَرْ  
منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته سبحانه، يقدم من يشاء من خلقه إلى  
رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله.

وقد ورد هذان الاسمان في الثلاثة أحاديث المتقدمة في سياق طلب الغفران  
للذنب جميعها المتقدّم والمؤخر، والسر والعلانية، والخطأ والعمد، وفي هذا أن

---

(١) البخاري (رقم: ١١٢٠) – واللفظ له –، ومسلم (رقم: ٧٦٩). وليس عنده: «أنت المقدّم وأنت المؤخر».

الذنوب توبق العبد وتأخره، وصفح الله عن عبده وغفرانه له يقدّمه ويرفعه، والأمر كله لله وبإدله يخفيه ويُرَفَعُ، ويُعْزَى ويُذَلُّ، ويُعْطَى ويُمْنَعُ، مَنْ كتب الله له عَزَّاً ورفعه وتقدّما لم يستطع أحد حرماته من ذلك، ومن كتب الله له ذَلَّاً وخضأ وتأخراً لم يستطع أحد عونه للخلاص من ذلك، وفي الحديث: «ما من قلبٍ إِلَّا وهو بين أصعبين من أصابع رب العالمين إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أراغه. وكان يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن عَزَّوَجَلَّ يخفيه ويرفعه» رواه أحمد<sup>(١)</sup>.

وفي هذا بيان أن العبد ليس إليه شيءٌ من أمر سعادته أو شقاوته أو خفضه أو رفعه، أو تقدّمه أو تأخّره، إن اهتدى فبهداية الله إياه، وإن ثبت على الإيمان فبتشبيته، وإن ضلّ ببصره عن الهدى، وأنَّ الذي يتولى قلوب العباد هو الله يتصرّف فيها بما شاء، لا يمتنع عليه شيء منها، يقلّبها كيف يشاء.

والعبد مع هذا يحتاج إلى بذل المساعي النافعة، وسلوك المساالك الصالحة التي يكون بها تقدمه ونيله رضا الله، والبعد عن المساالك السيئة التي يكون بها تأخّره ووقوعه في سخط الله، كما قال تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْقَدِمَ أَوْ يَنَاحِرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، أي: يتقدم بفعل ما يقرّبه من ربه ويدنيه من رضاه ودار كرامته، أو يتأخّر بفعل المعاصي واقتراف الآثام التي تباعده عن رضى الله وتدنيه من سخطه ومن النار، ولا غنى للعبد في فعل ما فيه تقدمه والبعد عنه في تأخّره عن رب المقدّم والمؤخّر سبحانه، فهو محتاج إليه في كل شؤونه، مفتقر إليه في جميع حاجاته، لا يستغني عن ربّه ومولاه طرفة عين. وقد فتح سبحانه أبوابه للراغبين السائلين، وهو سبحانه لا يردّ من دعا، ولا

(١) (٤/١٨٢) من حديث النواس بن سمعان، وإسناده صحيح.

يخيب من ناداه، القائل في الحديث القدسي: «يا عبادي كلّكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلّكم جائع إلا من أطعمنه، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذّنوب جمِيعاً، فاستغفروني أغفر لكم» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

إنَّ إيمان العبد بِأَنَّ اللَّهَ وحده المُقدَّمُ والمُؤْخَرُ لا شريك له يثمر كمال الذل بين يديه، وقوَّةُ الطَّمعِ فيها عنده، والخوفَ منه سبحانه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمان من مكره، وحسن الاتجاه إليه رغباً ورهباً وخوفاً وطمعاً، وحرصاً ومسابقةً إلى الخبرات والأعمال الصالحةات ﴿سَاقِطُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّيْكُمْ وَجَاءُتِهِ عَرْضًا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعْدَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

عن أبي سعيد الخدري رض، أنَّ رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخراً فقال لهم: «تقدّموا فائتموا بي، ولیأتكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله» رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمار الإيمان بهذا الاسم الحرص على تقديم ما قدَّمَ الله وتأخير ما أخرَ «والنبي ﷺ» كان شديداً التحري لتقديم ما قدمه الله والبداعية بما بدأ به، فلهذا بدأ بالصّفا في السّعي، وقال: نبدأ بما بدأ الله به، وببدأ بالوجه ثم اليدين ثم الرأس في الموضوع، ولم يخل بذلك مرّة واحدة<sup>(٣)</sup>.

وهكذا في جميع أمور الدين، والواجب كذلك تقديم من قدَّمه الله وتأخير من آخره، ومحبة من أحبه الله وبغض من أبغضه، فإنَّ هذا أوثق عرى الإيمان.

(١) (رقم: ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رض.

(٢) (رقم: ٤٣٨).

(٣) «بدائع الفوائد» (١٨٩/٢).

## الطِّيبُ

ورد هذا الاسم في حديث أبي هريرة حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طِيباً، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمْرَ بِهِ الْمَرْسَلُونَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا أَرْسَلُوكُمُوا مِنَ الظَّبَابَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلَحًا إِنَّمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ» [المؤمنون: ٥١]، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [آل عمران: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل بطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فـإِنَّمَا يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

والمعنى: أنه تعالى مقدس ومنزّه عن التّفاصص والعيوب كلّها؛ لأنّ أصل الطّيبة الطّهارة والسلامة من الخبرت، والله جل وعلا لم يزل ولا يزال كاملاً بذاته وصفاته، وأفعاله وأقواله صادرة عن كماله، كمل سبحانه ففعل الفعل اللائق بكماله، ومن هنا فأسوء الله الحسنى وصفاته العلا دالة على ما يفعله ويقوله، وما لا يفعله ولا يقوله، فإنه سبحانه يفعل ويقول ما هو موجب كماله وعظمته ولا يفعل ولا يقول ما ينافق ذلك.

ويتتضمّن تقرير هذا المعنى والدلالة عليه مِن اسمِه الطّيب قول المصلّى في

(١) (رقم: ١٠١٥).

التشهد «والطيبات» أي: الله عَزَّوجَلَّ.

قال ابن القيم رحمه الله: «وكذلك قوله: «الطيبات» فهي صفة الموصوف المذوق، أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء؛ الله وحده، فهو طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه الطيب، لا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، فكلمه طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يرجع إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، صادرة عنه، ومتهمة إليه، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا».

وفي حديث رقية المريض الذي رواه أبو داود وغيره: «أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ»<sup>(۱)</sup>، ولا يجاوره من عباده إلا الطيبون، كما يقال لأهل الجنة: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيْبٌ فَادْخُلُوهَا خَدِيلِينَ» [الزمر: ۷۳]، وقد حكم سبحانه [في] شرعه وقدره أنَّ الطيبات للطيبين، فإذا كان هو سبحانه الطيب على الإطلاق فالكلمات الطيبات والأفعال الطيبات والصفات الطيبات والأسماء الطيبات كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيته سبحانه، فطيبُ كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له» اهـ<sup>(۲)</sup>.

(۱) رواه أبو داود (رقم: ۳۸۹۲)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم: ۱۰۴۶)، والحاكم (۳۴۴) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وإننا نهاده ضعيف جداً من أجل زيادة بن محمد الانصاري، قال فيه البخاري والنسائي وأبو حاتم: «منكر الحديث»، وقال ابن عدي: «لا أعلم له إلا حديثين أو ثلاثة ومقدار ما له لا يتبع عليه». انظر «تهذيب الكمال» (۵۳۴/۹). وانظر: «ضعف الترغيب» للألباني (رقم: ۲۰۱۳).

(۲) «كتاب الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم (ص/ ۱۸۲-۱۸۳).

وقوله ﷺ في الحديث المتقدم: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا» يدل على أن الله سبحانه لا يقبل من الأفعال والأقوال إلّا ما كان موصوفاً بالطيب، وهو عامٌ في جميع الأفعال والأقوال، فلا يعمل المرء المؤمن إلّا صاححاً، ولا يقول إلّا طيباً، ولا يكتسب إلّا طيباً، ولا ينفق إلّا من الطيب، فإن الطيب توصف به الأفعال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيب وخيث، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِيَ الْغَيْثُ وَالْطَّيْبُ وَلَا أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْغَيْثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، والدين الحنيف كله دين طيب في عقائده وأحكامه وآدابه، فعقائده التي ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره هي العقائد الصحيحة التي تطمئن لها القلوب، وتطيب بها النفوس، وتوصل معتقدها ومتمسك بها إلى أجل غاية وأفضل مطلوب، وأحكامه وآدابه أطيب الأحكام وأطيب الآداب، بها صلاح الدين والدنيا والآخرة، وبفوتها يفوت الصلاح كله.

وقد قسم الله تعالى الكلام إلى طيب وخيث فقال: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَقَ طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿وَمَثُلَ كَمَةً خَيْثَةً كَشَجَرَقَ خَيْثَةً﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ووصف الرسول ﷺ بأنه يحل الطيبات ويحرم الخبائث، ووصف المؤمنين بالطيب بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ نَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وإن الملائكة تقول عند الموت «اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب» رواه أحمد وابن ماجه<sup>(١)</sup>، وإن الملائكة تسلم عليهم عند دخول الجنة ويقولون لهم: ﴿طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَلَدِينَ﴾ [آل عمران: ٧٣].

(١) «المسند» (٢/٣٦٤)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ٤٢٦٢) من حديث أبي هريرة رض وإنسانده صحيح.

وقد ورد في الحديث أن المؤمن إذا زار أخاً له في الله تعالى يقول له الملائكة: «طبَّتْ وطَابَ مُشَاكٌ وَتَبُؤَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزَلًا» رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وغيرهم<sup>(١)</sup>. فالمؤمن كلّه طيب، قلبه ولسانه وجسده، بما سكن في قلبه من الإيمان وظهر على لسانه من الذّكر، وعلى جوارحه من الأفعال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه.

ولما طاب المؤمن في هذه الدار في عقائده وأعماله وأقواله أكرمه الله في دار القرار بدخول دار الطيبين التي لا يدخلها إلّا طيب، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ نَوَّفَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبُينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوهُمُ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ أَنْقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَّرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفَتَحْتَ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَّنَنَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيِّبُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول، أي: بسبب طيبكم قيل لكم: ادخلوها.

ومن جاء من أهل الإيمان يوم القيمة يحمل ذنوباً وخطاياً وأوزاراً لم يذهب عنه أثراً في هذه الدار بالتوبة والاستغفار فإنه - إذا لم يعفُ الله عنه - يحبس عن الجنة حتى يتظاهر منها، فإن لم يظهر الموقف وأهواه وشدائد فلا بد من دخول النار ليخرج خبته فيها، ويتطهّر من درنه ووسخه، ثم يخرج منها فيدخل الجنة. وأمّا الكفار فإنهم ليس لهم يوم القيمة إلّا النارُ خالدين فيها أبد الآباد، فإنها

(١) «المسنن» (٣٤٤/٢)، و«جامع الترمذى» (رقم: ٢٠٠٨)، و«سنن ابن ماجه» (رقم: ١٤٤٣)، و«صحيح ابن حبان» (رقم: ٢٩٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده ضعف، ولكن له شواهد يقوى بها؛ ولذلك حسنه الألبانى في «صحيح الترغيب» (٣٤٧٤).

دار الخبر في الأقوال والأعمال والماكل والمشارب، ودار الخبيثين، قال الله تعالى:

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْحَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْحَيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرَكِمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأనفال: ۳۷].

فالدور يوم القيمة ثلاثة: دار الطيب المحسن، وهي لمن جاء بطيب لا يشينه خبث، وهم المؤمنون الكامل، ودار الخبر المحسن، وهي لمن يأتي بخبر لا طيب فيه، وهم الكفار، ودار لمن معه خبث وطيب، وهم عصاة الموحدين، فهو لاء إذا دخلوا النار فإنهم لا يخلدون فيها بل يعذبون فيها بقدر أعمالهم، ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة، فلا يبقى بعد ذلك إلا داران: دار الطيب المحسن، ودار الخبر المحسن.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الطَّيِّبِينَ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿أَدْخِلُوكُمْ الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ۴۹].



## الشافى

وهو من الأسماء الثابتة في السنة النبوية، فقد ثبت في «الصحيحين»<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واصفِه وأنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

وفي رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكتى مناً إنسان مسحه بيديه ثم قال (وذكرت الدعاء).

وفي رواية قالت: إن رسول الله ﷺ كان يرقى بهذه الرُّقية... وذكرته.

وثبت في « صحيح البخاري»<sup>(٢)</sup> عن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكتي، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «اللهم رب الناس، مُذهب الباس، اشفِ أنت الشافى، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً».

ومعنى الشافى: الذي منه الشفاء، شفاء الصدور من الشبه والشكوك والحسد والحقد وغير ذلك من أمراض القلوب، وشفاء الأبدان من الأسمام والآفات، ولا

(١) « صحيح البخاري» (رقم: ٥٣٥١)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢١٩١).

(٢) (رقم: ٥٤١٠).

يقدر على ذلك غيره، فلا شفاء إلا شفاؤه، ولا شافي إلا هو، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ﴾ [الشعراء: ١٨٠]، أي: هو وحده المتفرد بالشفاء لا شريك له، ولذا وجب على كل مكّلّف أن يعتقد عقيدة جازمة أنه لا شافي إلا الله، وقد بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا شافي إلا أنت».

وهذا فإنّ من أحسن الوسائل إلى الله جلّ وعلا في طلب الشفاء من الأقسام والأمراض التوسل إليه بتفرّده وحده بالربوبية وأنّ الشفاء بيده وحده، وأنه لا شفاء لأحد إلا بإذنه، فالأمر أمره، والخلق خلقه، وكل شيء بتصريفه وتدبيره، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقول النبي ﷺ - كما في الدّعاء المتقدم -: «اللّهُمَّ ربُّ النَّاسِ» فيه التوسل إلى الله بربوبيته للناس أجمعين، بخلقهم وتدبير شؤونهم وتصريف أمورهم، فيبيده سبحانه الحياة والموت، والصحة والسمّ، والغنى والفقير، والقدرة والضعف.

وقوله: «أذهب الباس» أي: أزّل السقم والشدّة والمرض، ولفظه في حديث أنس: «اللّهُمَّ ربُّ النَّاسِ مذہبُ الباسِ»، وفي هذا توسل إليه سبحانه بأنه وحده المذهب للباس، فلا ذهاب للباس عن العبد إلا بإذنه ومشيئته سبحانه.

وقوله: «واشفه أنت الشافي» فيه سؤال الله الشفاء، وهو العافية والسلامة من المرض؛ متوكلا إلى الله عزّوجلّ بهذا الاسم العظيم الدال على تفرده وحده بالشفاء، وأن الشفاء بيده.

وقوله: «لا شفاء إلا شفاؤك» فيه تأكيدٌ لهذا الاعتقاد وترسيخ لهذا الإيمان، وإقرار بأن الشفاء لا يكون إلا من الله عزّوجلّ، وأن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالعافية والشفاء فإنه لا ينفع ولا يجدي.

وقوله: «شفاء لا يغادر سقما» أي: لا يُبقي مرضًا ولا يخلف علةً.  
 ومثله ما رواه مسلم في «صححه»<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري حَمِّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أشتكيت؟ فقال: نعم، قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك». هذا؛ واعتقاد العبد وإيمانه بأن الشافعي هو الله وحده، وأن الشفاء بيده ليس مانعا من بذل الأسباب النافعة بالتداوي وطلب العلاج وتناول الأدوية المفيدة، فقد جاء عن النبي ﷺ أحاديث عديدة في الأمر بالتداوي وذكر أنواع من الأدوية النافعة المفيدة، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله واعتقاد أن الشفاء بيده.

فقد روی مسلم في «صححه»<sup>(٢)</sup> عن جابر بن عبد الله حَمِّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيبيت دواء الداء، برأ بإذن الله عزوجل». وفي « الصحيح البخاري»<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة حَمِّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء».

وفي «المسندي» وغيره عن أسامة بن شريك حَمِّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم؛ يا عباد الله تداووا، فإن الله عزوجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد»، قالوا: ما هو؟ قال: «الهرم»، وفي لفظ: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»<sup>(٤)</sup>.

(١) (رقم: ٢١٨٦).

(٢) (رقم: ٢٢٠٤).

(٣) (رقم: ٥٣٥٤).

(٤) رواه أحمد (٤/٢٧٨)، وأبو داود (رقم: ٣٨٥٥)، والترمذى (رقم: ٢٠٣٨)، وابن حبان (رقم: ٤٨٦)، والحاكم (١/١٢١) وغيرهم بإسناد صحيح.

فتضمنَت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمبينات، والأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل على الله ﷺ؛ لأن حقيقة التوكل على الله اعتمادُ القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب النافعة، فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطَعِّمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ [الشعراء: ٧٩]، فكذلك دفع المرض بالعلاج النافع والدواء المفید لا ينافي الإيمان بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِيْنِ﴾، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا ب المباشرة الأسباب التي نصبهَا الله مقتضياتٍ لسبباتها قدرًا وشرعًا، والتي تعطيلها قدح في التوكل نفسه.

وفي قوله ﷺ: «الكل داء دواء» تقوية لنفس المريض والطيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفيش عليه والبحث عنه، وقد كان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصحابه مرض من أهله وأصحابه، وينظر هديه ﷺ في ذلك مبسوطاً في فصل بعنوان «الطب النبوى» من كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للعلامة ابن القيم رحمه الله.

ثم إنَّ الواجب على العبد أن يعرف فيما يتعلق بالأسباب أموراً ثلاثة: أحدها: أن لا يجعل منها سبباً إلَّا ما ثبت أنه سببٌ شرعاً أو قدرًا. ثانية: أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببيها ومقدارها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب منها عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقى سببيتها، وإن شاء غيرها كيف يشاء؛ لئلا يعتمد العباد عليها، ولি�علموا كمال قدرته، وأنَّ

التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، كما تقدم في قول النبي ﷺ: «أنت الشافي  
لا شفاء إلّا شفاؤك».

وأسأل الله العظيم رب الناس مذهب الباس، الشافي الذي لا شفاء إلّا  
شفاؤه، أن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين.



## الجميل

وهو اسم ثابتٌ في سنة النبي ﷺ؛ روى مسلم في «صحيحة»<sup>(١)</sup> عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يَحْبُّ أَنْ يَكُونَ ثُوبُهُ حَسَنًاً وَنَعْلُهُ حَسَنًاً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحْبُّ الْجَمَالَ، الْكَبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ».»

وهذا الاسم الكريم يدلُّ على ثبوت الجمال لله سبحانه في أسمائه وصفاته وفي ذاته وأفعاله قال ابن القيم رحمه الله: «وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنة، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الذات وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلَّا تعريفات تعرَّف بها إلى مَنْ أَكْرَمَهُ مِنْ عباده، فإن ذلك الجمال مَصْوَنٌ عن الأغيار محظوظ بستر الرداء والإزار، كما قال رسوله ﷺ فيما يحكي عنه: «الكبriاء ردائي، والعظمة إزارني...»<sup>(٢)</sup>

(١) (رقم: ٩١).

(٢) رواه أحمد (٣٧٦/٢) من طريق سفيان (هو ابن عيينة)، عن عطاء بن السائب، عن الأغر (هو أبو مسلم) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ - يعني قال الله (فذكره). وإسناده حسن من أجل عطاء بن السائب.

فما ظنك بجمالٍ حجبَ بأوصافِ الكمال، وسُرِّ بنعوتِ العظمة والجلال.

ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته؛ فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصّفات، ومن معرفة الصّفات إلى معرفة الذات، فإذا شاهد شيئاً من جمال الأفعال استدلّ به على جمال الصّفات، ثم استدلّ بجمال الصّفات على جمال الذّات، ومن هنا يتبيّن أنه سبحانه له الحمد كله، وأن أحداً من خلقه لا يحصي ثناءً عليه، بل هو كما أثني على نفسه، وأنه يستحق أن يعبد لذاته ويحب لذاته ويشكر لذاته، وأنه سبحانه يحب نفسه ويثنى على نفسه ويحمد نفسه، وأن محبته لنفسه وحمده لنفسه وثناءه على نفسه وتوحيده لنفسه؛ هو في الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد، فهو سبحانه كما أثني على نفسه وفوق ما يثنى به عليه خلقه، وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله، فكل أفعاله حسن محبوب وإن كان في مفعولاته ما يبغضه ويكرهه فليس في أفعاله ما هو مكره مسخوط، وليس في الوجود ما يحب لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه، وكل ما يحب سواه فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله فمحبته صحيحة وإن فهي محبة باطلة، وهذا هو حقيقة الإلهية، فإن الإله الحق هو الذي يحب لذاته ويحمد لذاته، فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه وإنعامه وحلمه وتجاوزه وعفوه وبره ورحمته، فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة إلا هو فيحبه لإحسانه وإنعامه، ويحمده على ذلك فيحبه من الوجهين جميعاً، وكما أنه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته محبة،

---

= ورواه مسلم من طريق أبي إسحاق، عن أبي مسلم الأغر، عن أبي سعيد وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «العزّ إزاره، والكربلاء رداوه فمن ينازعني عذتيه».

والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها، فإنها غاية الحب بغاية الذل، لا يصلح ذلك إلا له سبحانه، والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملاً» اهـ<sup>(١)</sup>.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «والمحبة لها داعيان: الجمال والإجلال، والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك فإنه جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والإجلال كله منه فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ معرفة الله عَزَّوجَلَّ بالجمال من أعز أنواع المعرفة وأعظمها شأنًا؛ فإنَّ أتمَ الناس معرفة من عرفه سبحانه بكماله، وجلاله وجماله ليس كمثله شيء في سائر صفاتيه، ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة، وكلهم على تلك الصورة، ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيفٍ إلى قرص الشمس، ويكتفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبحاتُه ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكتفي في جماله سبحانه أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال، ويكتفي في جماله أنه له العزة جميعاً والقوة جميعاً والجود كله والإحسان كله والعلم كله والفضل كله، ولنور وجهه أشرقت الظلمات، فهو سبحانه نور السموات والأرض، ويوم القيمة إذا جاء لفصل القضاء تشرق الأرض بنوره»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحُبُّ الْجَمَالَ» يشتمل على أصلين عظيمين: فأوله

---

(١) «الفوائد» (ص / ٣٢٢).

(٢) «الجواب الكافي» (ص / ٢٧٦).

(٣) «الفوائد» (ص / ٣١٩) بتصرف.

معرفة وآخره سلوك؛ فيعرف الله أولاً بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبده بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فإنه سبحانه يحب من عبده أن يحمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنjas والأوساخ والشعور المكروه والختان وتقليم الأظافر إلى غير ذلك، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعده بالجمال الذي هو شرعيه ودينه، فالحديث يتناول جمال الثياب المسؤول عنه في الحديث نفسه، ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء، وفي «السنن»<sup>(١)</sup>: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، وفيها<sup>(٢)</sup> عن أبي الأحوص الجشمي، عن أبيه قال: «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ، فرأني رث الثياب، فقال: ألك مال؟ قلت: نعم يا رسول الله؛ من كُلَّ المال، قال: فإذا آتاك الله مالاً فليرأ ثراه عليك».

فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، والشكر جمال باطن، فيحب سبحانه أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل طواهرهم، وأمرهم بالتقى لتجميل بواطنهم، فقال: ﴿يَنْبِئُكُمْ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِيَسًا يُوَرِّي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسًا الْنَّقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١١ - ١٢]،

(١) «جامع الترمذى» (رقم: ٢٨١٩)، و«مسند الإمام أحمد» (٢ / ١٨١) من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه، عن جده، مرفوعاً، وحسنه الترمذى.

(٢) «سنن أبي داود» (٤٠٦٣)، و«سنن النسائي» (رقم: ٥٢٢٣) - واللفظ له - و«مسند أحمد» (٤ / ١٣٧) وغيرهم من طريق أبي إسحاق السبيعى، عن أبي الأحوص، به. وإسناده صحيح.

فِجَمَّلَ وُجُوهَهُمْ بِالنَّضْرَةِ وَبِوَاطِنِهِمْ بِالسَّرُورِ وَأَبْدَانِهِمْ بِالْحَرِيرِ.

هذا؛ وَقَامَ الْمَنَةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْظَمَ النَّعْمَ رَؤْيَتِهِمْ إِلَهُهُمْ وَرَبِّهِمْ وَمَوْلَاهُمْ  
الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ سَبِّحَانَهُ، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ مَا يَعْطُونَ وَأَجْلُ مَا يَنْالُونَ، وَهِيَ قَرْةُ الْعَيْنِ،  
وَبِهِجَةُ النُّفُوسِ، وَسَرُورُ الْقُلُوبِ، وَنَصْرَةُ الْوِجْهِ، وَأَعْظَمُ الْإِكْرَامِ، وَفِي «صَحِيفَةِ  
مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup> عَنْ صَهْيَبٍ صَدِيقِ الرَّسُولِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةَ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَمْ تُبَيِّضُ وَجْهَهُنَا، لَمْ تَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ  
وَتَنْجُونَا مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيُكَشِّفُ الْحِجَابَ فِيمَا أَعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظرِ إِلَى  
رَبِّهِمْ بِغَرَبَةِ الْجَنَّةِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ  
ضَرَّاءٍ مُضَرَّةٍ وَلَا فَتْنَةٍ مُضْلَلَةٍ.



---

(١) (رقم: ١٨١).

## القابض، الباسط

وقد ورد هذا الاسم في السنة النبوية، ففي «السنن» و«مسند الإمام أحمد» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «غلا السّعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! لو سعَرَتْ، فقال: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ الْمَسْعُرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَا يَطْلُبَنِي أَحَدٌ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا إِلَيَّاهُ فِي دِمٍ وَلَا مَالٍ»<sup>(١)</sup>.

و«الباسط» أي: الذي يسطّر رزقه لمن شاء من عباده، و«القابض» أي: الذي يضيق أو يحرّم من شاء منهم من رزقه، لما يرى سبحانه في ذلك من المصلحة لهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ، لَعَوَافٍ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُتَرَكُ بِقَدَرِ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ٢٧].

فالقبض: التضييق في الرّزق، والبسط: التوسيعة فيه والإكثار منه، وكل ذلك بيد الله عز وجل، فهو القابض الباسط، الخافض الرافع، المعطي المانع، المعز المذل، لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال ابن جرير الطبرى رحمه الله في تفسيرها: «يعنى - تعالى ذكره - بذلك أنه الذي بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره من ادعى أهل الشرك به أنهم آلهة واتخذوه ربّا دونه يعبدونه، وذلك نظير الخبر الذي روی عن رسول الله ﷺ...عن أنس قال: «غلا السّعر على عهد رسول الله ﷺ، قال: فقالوا: يا رسول الله ، غلا السّعر فأشیر لنا ،

(١) سبق تخریجه.

فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ الْبَاسِطُ الْقَابِضُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ لِيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ»<sup>(١)</sup>.

يعني بذلك ﷺ أنَّ الغلاء والرُّخص والسَّعة والضيق بيد الله دون غيره، فكذلك قوله تعالى ذكره: ﴿وَأَلَّهُ يَقِصُّ وَيَبْعَثُ﴾، يعني بقوله: ﴿يَقِصُّ﴾ يقترب بقبضه الرزق عن شاء من خلقه، ويعني بقوله: ﴿وَيَبْعَثُ﴾ يوسع ببسطه الرزق على من يشاء منهم، وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَمُونَ﴾ أي: وإلى الله معاذكم أيها الناس، فاتقوا الله في أنفسكم أن تُضيّعوا فرائضه وتتعدوا حدوده، وأن يعمل من بسط عليه منكم في رزقه بغير ما أذن له بالعمل فيه ربُّه، وأن يحمل المفتر منكم - فتُقبض عنه رزقه - إقتاره على معصيته، والتقدّم على ما نهاه، فيستوجب بذلك منه بمصيره إلى خالقه ما لا قبلَ لَه بِه مِنْ أَلِيمٍ عَقَابَه»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا السياق تنبيةً لمن بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته أن ينفق مما آتاه الله، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، ومن ضيق عليه في ذلك فليلجا إلى الله وحده طالباً مده وعونه وفضله، معتقداً أنه لا باسط لما قبض ولا قابض لما بسط، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، كما قال نبينا ﷺ يوم أحد حين انكفاء المشركون قال: «استروا حتى أثني على ربي» فصاروا خلفه صفوًا فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل من هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك

---

(١) تقدم.

(٢) «جامع البيان» (٤ / ٤٣٢ - ٤٣٥) باختصار.

النعم يوم العيّلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشرّ ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفّرة الذين يكذبون رسلاك، ويصيّدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعداك، اللهم قاتل الكفّرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق»، رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد ذكر البسط والقبض مضافا إلى الله عزوجل في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا لَمْ يَحْوُ إِلَّا مَتَّعْ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ عِبَادُهُ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْعِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا آنَفَتْهُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ بِعِلْمِهِ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿بَلَّ يَدَاهُ مَبْسُوتَانِ يُنِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

فدللت هذه النصوص ونظائرها أن القبض والبسط كلّه بيد الله تبارك وتعالى، وبتصريفه وتدبّره سبحانه ييسّط لمن يشاء في ماله أو عافيته أو عمره أو علمه أو حياته، ويقبض وهو الحكيم الخير.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في التعليق على قول ابن القيم رحمه الله في «نوينته»:

(١) «المسند» (٤٢٤ / ٣)، و«الأدب المفرد» (٦٩٩) من حديث رفاعة الزرقاني. وصحّحه الألباني في «صحيّ الأدب المفرد» (٥٣٨).

هو قابض هو باسط هو خافض هو رافع بالعدل والميزان

«يعني أنه القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، الباسط للأرزاق والرحمة والنفوس، وهو الخافض لأقوام، الرافع لآخرين، وذلك كله عدل من الله وحكمه، يحمد عليه أتم الحمد وأكمله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، فقبضه نعمة في حق عباده المؤمنين؛ لأنَّه يمنعهم به مِنَ الْبَغْيِ والظلم والعدوان، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْمُ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨]، وإنَّ كان الله تعالى هو القابض الباسط الخافض الرافع قدرًا وقضاءً؛ فلا يمتنع أن تكون هذه الأمور بأسباب من العباد متى قاموا بها حصلت لهم، وهذا هو الواقع، فإنَّ الأسباب محل حكمته وستَّته الجارية التي لا تتبدل ولا تغير»<sup>(١)</sup>.

وقد جمع بين هذين الأمرين في قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنِسَّأَ لَهُ فِي عُمْرِهِ؛ فَلِيَصِلْ رَحْمَهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فبسط الرزق بيد الله، وصلة الرحم سبب بيذهل العبد، وكذلك كون المسعر هو الله عزَّوجلَّ لا يمنع أن يكون هناك أسباب بيذهلا العبد يزول بها الغلاء ويحصل بها الرخص، كما قيل لأحد الأفضل: لقد غلت الأسعار! فقال: أرخصوها بالتقوى. اللهم ادفع عننا الغلاء، وابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك.

(١) «التوسيع المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين» (ص / ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) « صحيح البخاري» (رقم: ١٩٦١)، و« صحيح مسلم» (رقم: ٢٥٥٧).

## المنَّان

وقد ثبت هذا الاسم في سنة النبي الكريم ﷺ، روى الإمام أحمد وغيره عن أنس بن مالك حديثه، أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأنك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئلَ به أَعْطَى»<sup>(١)</sup>.

والمنان: هو كثير العطاء، عظيم المواهب، واسع الإحسان، الذي يدرّ العطاء على عباده، ويyoالي النعماء عليهم تفضلاً منه وإكراماً، ولا منان على الإطلاق إلا الله وحده، الذي يبدأ بالنّوال قبل السؤال، له المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى الله علوًّا كبيرًا، وهو أمر مشهود للخليقة كلّها بِرّها وفاجرها من جزيل موهابته، وسعة عطاياه، وكرم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإيجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

ومن عظيم منه – سبحانه – هدایته خاصته وعباده إلى سبيل دار السلام،

(١) سبق تخریجه.

ومدافعته عنهم أحسن الدفاع، وحمائهم من الوقوع في الآثام، وحجب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه، وسماهم المسلمين من قبل أن يخلقهم، وذكراهم قبل أن يذكروه، وأعطواهم قبل أن يسألوه، تعرّف إليهم بأسمائه، وأمرهم بما أمرهم به رحمة منه بهم وإحسانا، لا حاجة منه إليهم، ونهىهم عما نهاهم عنه حماية وصيانته لهم لا بُخَلًا منه عليهم، وخطبهم بالطف خطاب وأحلاه، ونصحهم بأحسن النصائح، ووصاهم بأكمل الوصايا، وأمرهم بأشرف الخصال، ونهىهم عن أقبح الأقوال والأعمال، وصرف لهم الآيات وضرب لهم الأمثال، ووسع لهم طرق العلم به ومعرفته، وفتح لهم أبواب الهدایة، وعرفهم الأسباب التي تدنيهم من رضاه وتبعدهم عن غضبه، إلى غير ذلك من أنواع نعمه وصنوف متنه، القائل سبحانه: ﴿وَإِن تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، والقائل جل شأنه: ﴿وَمَا يُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فِيمَنْ أَلَّهُ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن أراد مطالعة أصول المتن فليدم سرح النظر في رياض القرآن الكريم، وليتتأمل ما عدد الله فيه من نعمه العظيمة وعطایاته الكريمة، ومنته الجزيلة.

فقد ذكرَ سبحانه عباده بمنة المداية لهذا الدين، والإخراج من ظلمات الشرك والكفر برب العالمين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَيَبْتَأِلُوا لَا تَقُولُوا إِنَّمَنْ أَفَقَ إِلَيْكُمُ الْسَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْأُدُنِيَّا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِيمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَرِبِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَبَيْوَأْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ يَعْنُونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِكُمُ الْأَدِيمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِنَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى:

﴿وَلَا فَضْلٌ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُهُ، مَا زَكَرَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبْدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَّارُ وَالْفُسُوقُ وَالْعَصِيَانُ  
أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ٧ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَيَعْمَلُهُ اللَّهُ عَلِيهِ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨ - ٧].

وذَكَرَ سبحانه بمنَّةٍ بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإكرامه هذه الأمة ببعث صفوة رسله وخير أنبيائه محمدٌ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ  
أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا  
نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ  
يَتَّلَقَّهُمْ إِيمَانُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

وذَكَرَ سبحانه بمنَّة التمكين لأنبيائه عليه السلام ولعباده المؤمنين، قال تعالى:  
﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَرُونَ ١١٥ وَجَيَّنَتْهُمَا وَقَوَّمَهُمَا مِنَ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ ١١٦  
وَضَرَّنَتْهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَلَّلِينَ ١١٧ وَإِذْنَنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيْنَ ١١٨ وَهَدَنَاهُمَا الْقِرَاطِ  
الْمَسْتَقِيمَ﴾ [الصفات: ١١٤ - ١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَرِيدُ أَنْ نَدْعُ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَضْعَفُونَا  
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَجَعَلَهُمْ الْوَرِثَةَ ٥ وَنُكَيِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرُبِّيَ فَرَعَوْنَ  
وَهَامَنَ وَجَنَودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦].

وذَكَرَ بمنَّته على عباده المؤمنين بدخول الجنة والنجاة من النار، واستشعارهم لهذه المَنَّة العظيمة والفضل الكبير ﴿قَالَ اللَّهُ أَكَمَّنَا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُسْفِقِينَ ٢٦ فَمَنِّ اللَّهُ عَلَيْنَا  
وَوَقَنَّا عَذَابَ السَّمَوَرِ ٢٧ إِنَّا كَمَّنَا مِنْ قَبْلِ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْأَنْرَاحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦ - ٢٧]،  
﴿وَقَالُوا لِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لَهُنَا وَمَا كَانُوا لِنَهَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودِّا  
أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثُوكُمْ هَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومن عرف ربَّه سُبْحَانَه بِهَذَا الاسم العظيم وأنه وحده ولي المُنْ وَالْعَطَاء، صاحب الْهَبَة وَالنِّعَمَ؛ أوجب له ذلك أن يحمد ربه على نعمائه، وأن يشكره على فضله وعطائه ﴿قَالَ رَبِّي أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَلِئَةٍ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد أمر الله عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، وأثنى على عباده الشاكرين، ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعل السكر سبباً لمزيد الفضل والعطاء، وحارساً وحافظاً للهبة والنعمة ﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأوجب له كذلك ألا يستعمل نعمة الله ومنتها سبحانه في معصيته، وألا يضيف النعمة إلا إلى المنعم وحده، وهو الله لا شريك له، خلاف من قال الله عنهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَفَرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، أي: بإضافتهم النعمة إلى غير المنعم.

فَاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شَكْرًا، وَلَكَ الْمُنْ فَضْلًا، لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْإِيمَانِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمَعْافَةِ، لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ، أَوْ سُرٍّ أَوْ عَلَانِيَةٍ، أَوْ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيْبًا مَبَارِكًا فِيهِ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ رِبَّنَا إِذَا رَضِيتَ.



## الْحَيِّ

وقد ورد هذا الاسم في حديثين:

**الأول:** حديث يعلى بن أمية حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَهُ، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذِلْكَهُ حَيِّ سَتَّيرٌ يَحْبُّ الْحَيَاةَ وَالسُّتُّرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلِيُسْتَرْ»، رواه أبو داود والنسائي<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** حديث سليمان الفارسي حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ ذِلْكَهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارُكٌ وَتَعَالَى حَبِّي كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدِيهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرَدَّهُمَا صَفْرًا»، رواه أبو داود وابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الاسم الكريم دلالة على ثبوت الحياة صفةً لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله، وهو سبحانه في صفاتـه كـلـها لا يـمـاثـلـ أحدـا من خـلقـهـ، ولا يـمـاثـلـهـ أحدـ.

(١) «سنن أبي داود» (رقم: ٤٠١٢)، و«سنن النسائي» (رقم: ٤٠٦) من طريق زهير (هو ابن معاوية أبو خيثمة)، عن عبد الملك بن أبي سليمان العرمي، عن عطاء، عن يعلى بن أمية، فذكره. ورجالـهـ ثـقـاتـ. وصـحـحـ إـسـنـادـهـ الـأـلـبـانـيـ فيـ «إـرـوـاءـ الغـلـيلـ» (٣٦٧/٧).

(٢) «سنن أبي داود» (رقم: ١٤٨٨)، و«جامع الترمذـيـ» (رقم: ٣٥٥٦)، و«سنن ابن ماجـهـ» (رقم: ٣٨٦٥)، وغيرـهـ من طـرـيقـ جـعـفـرـ بنـ مـيمـونـ - صـاحـبـ الأـنـهـاطـ -، عنـ أـبـيـ عـثـمـانـ النـهـديـ، عنـ سـلـيـمانـ الفـارـسـيـ، مـرـفـوـعـاـ. وـقـالـ التـرـمـذـيـ: حـسـنـ غـرـيبـ. وـيـنـظـرـ: «صـحـيـحـ الجـامـعـ» (٢٦٣٨).

من خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَكْبَرُ﴾ [الشورى: ۱۱]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً﴾ [مريم: ۶۵]، فحياؤه سبحانه وصفٌ يليق به، ليس كحياء المخلوقين.

وقد ورد ذكر الحياة في القرآن والسنة بصيغة الفعل مضافاً إلى الله عزّوجلّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِي إِنَّ يَضْرِبُ مَثَلًا مَا بَعْدَهُ فَمَا قَوْفَهَا﴾ [البقرة: ۲۶]. وفي «الصحيحين»<sup>(۱)</sup> عن أبي واقد الليثي، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقوا على رسول الله ﷺ، فاما أحدهما فرأى فرحة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه إليه، وأما الآخر فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

والقول في هذه الصفة كالقول فيسائر صفات الرب سبحانه، فكما ثبتت لله سبحانه علما لا كعلمنا، وبصرا لا كبصرنا، وسمعا لا كسمعنا، وإرادة لا كإرادتنا فكذلك ثبتت له حياء لا كحيائنا؛ إذ كل ما أثبتته سبحانه لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ حق لا ريب فيه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد وصف نفسه بالحياة، ووصفه رسوله ﷺ، فهو الحي الكريم، كما قال النبي ﷺ: «إن الله حبي كريم يستحبني من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا»، وقالت أم سليم: «يا رسول الله إن الله لا يستحبني من الحق»<sup>(۲)</sup>، وأقرّها على ذلك، وقال النبي ﷺ: «إن الله لا يستحبني من الحق، لا تأتوا

(۱) « الصحيح البخاري» (رقم: ۶۶)، و« الصحيح مسلم» (رقم: ۲۱۷۶).

(۲) متفق عليه: البخاري (رقم: ۱۳۰)، ومسلم (رقم: ۳۱۳).

النساء في أعيادهن»<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَمَّا حَيَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ فَذَاكُ نَوْعٌ آخَرُ لَا تَدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا تَكِيفُهُ الْعُقُولُ؛ فَإِنَّهُ حَيَاءُ كَرْمٍ وَبِرٍّ وَجُودٍ وَجَلَالٍ، فَإِنَّهُ تَبَارُكٌ وَتَعَالَى حَيُّ كَرِيمٌ يُسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدِيهِ أَنْ يَرَدُهُمَا صَفْرًا، وَيُسْتَحْيِي أَنْ يَعْذَبَ ذَا شَيْءًا شَابَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذَ يَقُولُ: سَبَّحَانَ مَنْ يَذْنَبُ عَبْدُهُ وَيُسْتَحْيِي هُوَ، وَفِي أَثْرِهِ: مِنْ اسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ اسْتَحْيِي اللَّهَ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصَفَاتَهُ، وَيُحِبُّ ظَهُورَ آثَارِهَا فِي خَلْقِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ كَمَالِهِ، فَهُوَ سَبَّحَانُهُ حَيِّي يُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرْمَاءِ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَاكِرِينَ، مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَأَهْلَهُ، حَلِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْحَلْمِ، وَلِحَبْتِهِ سَبَّحَانُهُ لِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ أَمْرٌ عَبَادِهِ بِمَوْجَبِهَا وَمَقْضَاها، فَأَمْرُهُمْ بِالْحَيَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ وَالْكَرْمِ وَالْعَفْوِ، وَأَحَبُّ عَبَادِهِ إِلَيْهِ مِنْ اتَّصَفَ بِالصَّفَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا، وَأَبْغَضُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ اتَّصَفَ بِالصَّفَاتِ الَّتِي يَكْرَهُهَا، وَيُسْتَشْتَنِي مِنْ ذَلِكَ مِنْ اتَّصَفَ بِالْكُبْرِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَبَرُوتِ؛ لِأَنَّ اتَّصَافَ الْعَبْدِ بِهَا ظُلْمٌ إِذَا لَمْ تَلْيِقْ بِهِ هَذِهِ الصَّفَاتُ وَلَا تَحْسِنْ مِنْهُ لِنَفَافِهَا لِصَفَاتِ الْعَبْدِ، وَلِتَعْدِي مِنْ اتَّصَافَ بِهَا طُورَهُ وَحْدَهُ، وَلِفَارِقَتِهِ مَقَامَهُ وَرَتْبَتِهِ، رَتْبَةُ الْعَبُودِيَّةِ وَالْذُلِّ.

وَقَدْ تَكَاثَرَتِ النَّصْوَصُ فِي الْأَمْرِ بِالْحَيَاءِ وَالْحُثِّ عَلَيْهِ وَالْتَّرْغِيبِ فِيهِ، وَعَدَّهُ مِنْ شَعْبِ الإِيمَانِ، وَبِيَانِ ثَمَارِهِ الْعَظِيمَةِ وَآثَارِهِ الْمَبَارَكَةِ، وَأَنَّهُ خَيْرٌ كُلُّهُ.

(١) رواه الإمام أحمد (٥/٢١٣)، وابن ماجه (رقم: ١٩٢٤) من حديث خزيمة بن ثابت العبسي. وصحّحه الألباني في «إرواء الغليل» (رقم: ٢٠٠٥).

(٢) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٩).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/٢٦١).

ففي «الصحيحين»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن النبي ﷺ قال: «إِيمان بضم  
وسبعون شعبة، وأعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدنىها: إماتة الأذى عن الطريق،  
والحياء شعبة من شعب الإيمان».

وفيهما<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عمر حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار  
وهو يعظ أخاه في الحباء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحباء من الإيمان».

وفيهما<sup>(٣)</sup> عن عمران بن حصين حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا  
بخير»، وفي لفظ: «الحياء كله خير».

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياءً، ففي «الصحيحين»<sup>(٤)</sup> عن أبي  
سعيد الخدربي حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العدراء في خدرها».  
والحياء في العبد خلق جميل يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في  
حق ذي الحق، ولهذا قال ﷺ: «إن ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم  
 تستحي فاصنع ما شئت» رواه البخاري<sup>(٥)</sup>، أي: من لم يستحي صنع ما شاء من  
الفواحش والمنكرات؛ لأن الحباء هو المانع من فعلها.

وأعظم الحباء وأوجبه الحباء من الله عز وجل، ففي الترمذى وغيره عن  
عبد الله بن مسعود حَمَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياة،  
قال: قلنا: يا رسول الله، إننا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من

---

(١) صحيح البخاري» (رقم: ٩)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٣٥).

(٢) البخاري (رقم: ٢٤)، ومسلم (رقم: ٣٦).

(٣) البخاري (رقم: ٥٧٦)، ومسلم (رقم: ٣٧).

(٤) البخاري (رقم: ٣٣٦٩)، ومسلم (رقم: ٢٣٢٠).

(٥) (رقم: ٣٢٩٦).

الله حق الحياة أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبل،  
ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياة»  
رواه أحمد والترمذى<sup>(١)</sup>.

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من  
المحرمات، وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على حرم،  
وحفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المأكول والمشارب، وحفظ الفرج عن  
الفواحش، قال بعضهم: استحيي من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر  
قدرته عليك»<sup>(٢)</sup>.

رَزَقَنَا اللَّهُ الْحَيَاءَ مِنْهُ، وَوَفَّقَنَا لِتَحْقِيقِ خَشْيَتِهِ فِي الْغَيْبِ وَالْشَّهادَةِ وَالسَّرِّ  
وَالْعَلَانِيَةِ.



---

(١) «المسند» (١/٣٨٧)، و«جامع الترمذى» (٢٤٥٨) وغيرهما.  
وقال الترمذى: «حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد». قال الحافظ المنذري: «أبان وال صباح مختلف فيهما، وقد قيل: إنَّ الصباح إنما رفع هذا الحديث وهماً منه، وصُعِّفَ برفعه، وصوابه موقوف». وحسنه لغيره الألبانى في «صحیح الترغیب والترھیب» (٣٣٣٧).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص/٣٦).

الستير

ورد هذا الاسم في حديث يعلى بن أمية حَمْلَةُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَلِكَ حَيْ سَتَّيرٍ، يَحْبُّ الْحَيَاةَ وَالسِّرِّ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلِيَسْتَرِ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره»، والبيهقي في «السنن الكبرى» عن عكرمة، عن ابن عباس عَنْهُ مُخْفَفًا: أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال ابن عباس: «إِنَّ اللَّهَ سَتَّيرٌ يَحْبُّ السِّرِّ، كَانَ النَّاسُ لَيْسُ لَهُمْ سُتُورٌ عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَلَا حِجَالٌ فِي بَيْوْتِهِمْ، فَرَبِّهَا فَاجْأَ الرَّجُلَ خَادِمُهُ أَوْ وَلْدُهُ أَوْ يَتِيمُهُ فِي حَجْرِهِ وَهُوَ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمْرُهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا فِي تِلْكَ الْعُورَاتِ الَّتِي سَمَّى اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بَعْدَ السُّتُورِ، فَبَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّزْقَ فَاتَّخَذُوا السُّتُورَ وَاتَّخَذُوا الْحِجَالَ، فَرَأَى النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ كَفَاهُمْ مِنَ الْاسْتَأْذَنَانِ الَّذِي أَمْرُوا بِهِ». صحح إسناده ابن كثير في «تفسيره»، والسيوطى في « الدر المنشور »<sup>(٢)</sup>.

(۱) سوچ تھے مجھے۔

(٢) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/٢٦٣٢)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٧/٩٧)، و«تفسير ابن كثير» (٦/٨٩ - ٩٠ - ط. الشعب)، و«الدر المتشور» (١١/١٠٤).

والحادي في «سنن أبي داود» أيضاً (٥١٩٢) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يَحِبُّ السِّرَّ..».

وـ«الستير» أي: الساتر الذي يستر على عباده كثيراً، ولا يفضحهم في المشاهد، الذي يجب من عباده الستر على أنفسهم ما يفضحهم ويخزيهم ويشينهم، وهذا فضل من الله ورحمة، وحلم منه سبحانه وكرم، فالعبد قد يُقارب شيئاً من المعاصي والآثام، مع فقره الشديد إلى ربه سبحانه، حتى إنه لا يمكنه أن يعصي إلا أن يتقوى عليها بنعم الله عليه بالسمع والبصر واليد والقدم والصحة والمال ونحو ذلك.

والرب سبحانه - مع كمال غناه عن الخلق كلهم وعن طاعتهم وعبادتهم - يكرم عبده ويستره ويستحيي من هتكه وفضيحته وإحلال العقوبة به، ويقيض له من أسباب الستر، ويوقفه للندم والتوبة، ويعفو عنه ويغفر له، وهذا من لطفه سبحانه بخلقه ورحمته بعيدة، قال الله تعالى: ﴿أَلَّذِي عِلْمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَتَوَّبُ أَرْجَيْمُ﴾ [التوبه: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوًا رَّجِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فَعَلُوا﴾ [الشورى: ٢٥].

ولهذا فإنه سبحانه يكره من عبده إذا وقع في معصية أن يذيعها ويشهيرها، بل يدعوه إلى أن يتوب إلى الله منها بينه وبينه، وستر الله مسؤول عليه، لا أن يظهرها لأحد من الناس، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصيا والله يستره، ثم يصبح يكشف ستر الله عليه.

وقد جاءت السنة بالنهاي عن هتك الإنسان ستر نفسه، ففي «الصححين»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة حَذِيفَةَ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أَمَّتِي معافٍ إِلَّا المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَلاً وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا

---

(١) البخاري (رقم: ٦٠٦٩)، ومسلم (رقم: ٢٩٩٠).

فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يسّره ربُّه، ويصبح يكشف ستر الله عنه».

قال ابن بطال رحمه الله: «في الجهر بالمعصية استخفافٌ بحقِّ الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضربٌ من العناد لهم، وفي الستر بها السلامه من الاستخفاف؛ لأنَّ المعاصي تُذلُّ أهلها، ومن إقامة الحدٍّ عليه إنْ كان فيه حدٌّ، ومن التعزير إنْ لم يوجب حدًا، وإذا تمَّ حضُورُ حقِّ الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدّنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يُفْتوه جميع ذلك»<sup>(١)</sup> اهـ.

ولذا جاء في «صحيح مسلم»<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستر الله على عبدٍ في الدّنيا، إلا ستره الله يوم القيمة».

وروى البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رجلاً سأله كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النّجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربِّه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرّرُه ثم يقول: إني سترتُ عليك في الدّنيا، فأنا أغفرها لك اليوم».

وفي هذا أنَّ الواجب على العبد أنْ يجاهد نفسه على بعد عن الذنوب ومقارفتها، وإذا ألمَ بشيءٍ فعليه أن يستر نفسه ويبادر إلى التوبة إلى الله عزّوجلّ والإناية إليه، وليكثر من الأفعال الصالحة، كما في «صحيح مسلم»<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: « جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأةً في أقصى المدينة، وإنِّي أصبت منها ما دون أنْ أمسَّها، فأنا هذا فاقض فيَّ ما شئتَ، فقال

(١) انظر: «فتح الباري» (٤٨٧ / ١٠).

(٢) (رقم: ٢٥٩٠).

(٣) «صحيح البخاري» (رقم: ٦٠٧٠)، و«صحيح مسلم» (رقم: ٢٧٦٨).

(٤) (رقم: ٢٧٦٣).

له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال: فلم يرَ النبِيُّ ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق، فَاتَّبَعَهُ النبِيُّ ﷺ رجلاً وتلا عليه هذه الآية: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ الْهَارِ وَزُلْفَا مِنَ الْأَيْلَ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُدْهَبُنَ الْسَّيْئَاتُ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١٤]، فقال رجل من القوم: يا نبِيَّ الله هذا له خاصة؟ قال: بل للناس كافة».

ومن هذا المعنى السُّتر على عباد الله وتجنب هتك أستارهم وتتبع عوراتهم، ففي «المسند» و«سنن أبي داود» عن أبي بربعة الأسلمي رحمه الله عنه، عن النبِيِّ ﷺ قال: «يا معاشر من آمن بـلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنَّه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»<sup>(١)</sup>.  
وفي «الصَّحِيحَيْنِ»<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عمر رحمه الله عنه، أن النبِيِّ ﷺ قال: «من ستر مُسْلِمًا سَتَرَه الله يوم القيمة».

هذا؛ وإنَّ الواجب على كل مسلم أن يستتر بـستر الله عز وجل، وأن يتجنب الذُّنوب ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ عورته، وأن يصون عرضه، وأن يتجنب أبواب الرذائل ودورب الفساد، وأن يُقبل على ربِّه تائباً منيماً، وأن يرجوه سبحانه أن يحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين، وأن يستر عيوبه وعورته، وأن يمنَّ عليه بالعفو والعافية، يدعوه بذلك لنفسه ولمن أحبّ.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رحمه الله عنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يسمى وحين يصبح: اللهم إني أسألك العافية في الدنيا

(١) رواه الإمام أحمد (٤٢٠ / ٤)، وأبو داود (رقم: ٤٨٨٠) وغيرهما من طريق أبي بكر ابن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي بربعة، به. وإسناده حسن.  
وانظر: «صحيحة الترغيب والترهيب» (رقم: ٢٣٤٠).

(٢) البخاري (رقم: ٢٤٤٢)، ومسلم (رقم: ٢٥٨٠).

والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن رواعتي، اللهم احفظني من بين يديٍ ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقني، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي<sup>(١)</sup>.

وقوله في هذا الدّعاء: «اللهم استر عوراتي» فيه طلب السّتر من الله عزوجلّ، والعيوب المراد بها: عيوب الإنسان وتقديره وكل ما يسوّه انكشافه، ويدخل في ذلك الحفظ من انكشاف العورة، وهي في الرجل ما بين السرة إلى الرُّكبة، وفي المرأة جميع بدنها، وحرى بالمرأة المسلمة أن توازن على هذا الدّعاء، وأن تصون نفسها بالستر، وأن تضفي على نفسها جلباب الحشمة، ولا سيما في هذا الزّمن الذي كثُر فيه التهّك، وضعف فيه الستر والحياء.

اللهم استر عيوبنا وعوراتنا، واغفر ذنوبنا وزلّاتنا، واختتم بالصالحات أعمالنا وأعما رنا.



---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥/٢)، وأبو داود (رقم: ٥٠٧٤)، وابن ماجه (رقم: ٣٨٧١) وغيرهم بإسناد صحيح.

## السَّيِّد

وهو اسم مأثور في الحديث عن رسول الله ﷺ، روى أبو داود بسنده جيداً، عن عبد الله بن الشّيخ حديثه قال: «انطلقت في وفدبني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السَّيِّد اللَّه تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يُستجرينَّكم الشّيطان»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ أَبِيَّنِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ١٦٤]: «إِلَهًا سَيِّدًا»، وقال في قوله تعالى: ﴿الَّهُ أَصَمَّدُ﴾: «إِنَّ السَّيِّدَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِه»<sup>(٢)</sup>.

ومراد النبي ﷺ بقوله: «السَّيِّد اللَّه» أي: أن السُّؤدد حقيقة الله عز وجل، فهو المالك المولى للرب، والخلق كلهم عبيد له، مملوكون مقهورون ليس بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجد لهم لم يوجدوا، ولا في البقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، محتاجون إليه في كل شؤونهم، مفترون عليه في جميع حاجاتهم، لا غنى لهم عنه طرفة عين، والأمر كله إليه وحده، والخلق كلهم طوع تدبيره وتحت تصرفه، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويحيي

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١) وغيرهما.

(٢) انظر: «تفسير الطبرى» (٢٤/٧٣٦).

ويميت، ويأمر وينهى، ويقبض ويبسط، ويكرم ويهين، ويهدى ويضل، ويضحك وبيكى، ويغنى ويفقر، الأمر أمره، والملك ملكه، والعبيد عبده، فهو وحده تبارك وتعالى الذي تحق له السيادة ملكاً وخلقاً وتدبراً، وذلاً وخصوصاً وإنكساراً.

فهو سبحانه السيد الذي له التصرف والتدبیر في هذا الكون لا ند له، وهو سبحانه السيد الذي ينبغي أن تصرف له وحده الطاعة والذلة والخضوع لا شريك له، فكما أنه سبحانه السيد المتصرف في الخلق لا ند له، فكذلك يجب أن يكون السيد المعبود لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَغْيِرُ رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقد تقدم قول ابن عباس عليهما السلام: «إلهنا سيداً».

قال ابن جرير الطبرى فى تفسير<sup>(١)</sup> هذه الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: ﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ أَغْيِرُ رَبِّا﴾، يقول: أسوى الله أطلب سيداً يسودني **وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** يقول: وهو سيد كل شيء دونه ومدبره ومصلحه».

وقال ابن كثير فى تفسيرها: «يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكيل عليه: ﴿أَغَيَّرَ اللَّهُ أَغْيِرُ رَبِّا﴾ أي: أطلب رباً سواه، **وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** يربني ويحفظني ويكلئني، ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء وملكه، وله الخلق والأمر»<sup>(٢)</sup>.

وهذا أدل الدليل وأبين البرهان على بطلان الشرك واتخاذ الأنداد، إذ كيف تُتخذ المخلوق الضعيف نداً للسيد العظيم والخالق الجليل والرب القدير، تعالى الله عما يشركون.

(١) ٤٨/١٠ - ط. التركي).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٧٨/٣).

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾١١٢ ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾١١٣ ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَيْنُكُمْ أَدْعُوكُمْ أَمْ أَنْتُ صَانِعُوكُمْ ﴾١١٤ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِيَنَّ ﴾١١٥ ﴿ اللَّهُمَّ أَرْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبَصِّرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَّافٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴾١١٦ ﴿ إِنَّ وَلَائِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ ﴾١١٧ ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾١١٨ ﴿ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٧]. ﴾

وبهذه الآيات ونظائرها يعلم أن اتخاذ الناس سيداً غير الله سواء من المقربين أو الأحياء، يعتقدون فيه جلب النفع أو دفع الضر، أو يعلقون به حاجاتهم، أو ينزلون به طلباتهم ورغباتهم، أو يصرفون له لجوءهم ودعواتهم، أو يطلبون منه كشف غمومهم وكرباتهم؛ يعد شركا بالله العظيم، واتباعا للسبيل المضيّة إلى الجحيم، وهذا غاية الجهل والظلم، إذ كيف يسوى التراب برب الأرباب، وكيف يسوى العبيد بهالك الرقاب، وكيف يسوى من لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يملك نصرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بالسيد العظيم الذي له مقايد السموات والأرض، وبيده أزمّة الأمور لا شريك له.

ولما يلي أقوام بمثل هذا التعلق بالمقبورين أصفوا عليهم هذا اللقب، معتقدين فيهم، ملتجئين إليهم، خاضعين ذليلين، ناكثين بذلك توحيدهم، متلوثين بما ينافقه ويضاده.

وتتأمل في الحديث المتقدم حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وصيانته لجنبه، وسدّه طرق الشرك، فلما قالوا له: «أنت سيدنا» قال: «السيّد الله تبارك وتعالى»، ثم قال لهم: «لا يستجربنكم الشيطان»، مع أنهم لم يقولوا إلا حقاً.

ونظيره ما روى الإمام أحمد، والنسائي في «الكبرى»<sup>(١)</sup> بسنّد جيد عن أنس

(١) «مسند الإمام أحمد» (٣/٢٤٩)، و«السنن الكبرى» (١٠٠٧٨).

حَدَّثَنَا : «أَنَّ نَاسًاً قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرَنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُم بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيْكُمُ الشَّيْطَانُ؛ إِنِّي لَا أَرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلِي الَّتِي أَنْزَلَنِيْهَا اللَّهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَيِّدٌ وَلَدَ آدَمَ وَأَفْضَلُ عَبَادَ اللَّهِ وَإِمَامُ الْمُتَقِينَ، إِلَّا أَنَّهُ كَرِهٌ لَهُمْ ذَلِكَ لِتَلَاقِهِ كَوْنُ وَسِيلَةً إِلَى الْغَلُوِّ فِيهِ وَالْإِطْرَاءِ، كَمَا قَالَ ﷺ : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتُ النَّصَارَى بْنَ مَرِيمٍ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» رَوَاهُ البَخَارِي<sup>(١)</sup>.

وَنَهَى عَنِ الدَّحْ وَشَدَّدَ الْقَوْلُ فِيهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»<sup>(٢)</sup> مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ حَدَّثَنَا : «أَنَّ رَجُلًا أَتَنِي عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ قَطَعْتُ عَنْ صَاحِبِكَ، يَقُولُهُ مَرَارًا»، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup> مِنْ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاهِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التَّرَابَ».

فَمُواجهَةُ الْمَدُودِ بِمَدْحِهِ وَلَوْ بِمَا فِيهِ لَا يَنْبَغِي ، لَمَّا قَدْ تَفَضَّلَ إِلَيْهِ مَحْبَةُ الدَّحْ مِنْ تَعَاظُمِ الْمَدُودِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ يَنْافِي كَمَالَ التَّوْحِيدِ، وَيَوْقَعُ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ يَنْافِي الْعَبُودِيَّةَ الْخَاصَّةَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ مَقَامَ الْعَبُودِيَّةِ صَارَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَابِلَ بِالْمَدِحِ صِيَانَةً لِهَذَا الْمَقَامِ، وَإِرْشَادًا لِلْأَمْمَةِ إِلَى تَرْكِ ذَلِكَ نَصْحَّا لَهُمْ، وَحِمَايَةً لِمَقَامِ التَّوْحِيدِ عَنْ أَنْ يَدْخُلَهُ مَا يَفْسِدُهُ أَوْ يَضْعِفُهُ مِنَ الشَّرِكَ وَوَسَائِلِهِ، بِانْصَارِ الْقَلْبِ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّعْلُقِ بِالْمَخْلُوقِينَ وَالذَّلِّ لَهُمْ وَالْانْكَسَارِ الَّذِي لَا يَحْلُّ وَلَا يَجُوزُ صِرْفُهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (رَقْمٌ: ٣٤٤٥) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ حَدَّثَنَا.

(٢) الْبَخَارِيُّ (رَقْمٌ: ٦٠٦١)، وَمُسْلِمٌ (رَقْمٌ: ٣٠٠٠).

(٣) (رَقْمٌ: ٣٠٠٢).

## الرَّفِيق

وهو من الأسماء الحسنة الثابتة في السنة، روى البخاري في «صححه»<sup>(١)</sup> عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رهطٌ من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السّام عليك، فقلت: بل عليكم السّام واللّعنة، فقال: يا عائشة إِنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قلت: أَوْلَمْ تسمع مَا قالوا؟ قال: قلت: وعليكم». وروى مسلم في «صححه»<sup>(٢)</sup> عن عمارة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إِنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سُواه». ففي الحديث التصريح بتسمية الله بالرفيق ووصفه بالرفق، وأن له من هذا الوصف أعلى وأكمله وما يليق بجلاله وكماله سبحانه.

والرّفق: الّذين والسّهولة والتّأنّي في الأمور والتّمّهل فيها، وضده العنف والتشديد، فهو مأخوذ من الرفق الذي هو التأنّي في الأمور والتدرج فيها، والله سبحانه رفيق في قدره وقضائه وأفعاله، رفيق في أوامره وأحكامه ودينه وشرعه. ومن رفقه سبحانه في أفعاله أنه سبحانه خلق المخلوقات كلّها بالدرج شيئاً فشيئاً،

(١) (رقم: ٦٩٢٧).

(٢) (رقم: ٢٥٩٣).

بحسب حكمته ورقفه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة، وهو دليل على حلم الله وحكمته وعلمه ولطفه، وقد ورد عن الصحابة عليهم السلام حمد لهم الله عز وجل على رفقه في الخلق وتصريفه الدائم للمخلوقات، وأنه لم يجعل الخلق ثابتاً على هيئة واحدة.

روى ابن أبي الدنيا بسنده جيد عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «كانوا يقولون - يعني أصحاب النبي ﷺ - الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائمًا لا يتصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربًا يجادله، وإن الله عز وجل قد حدث بما ترون من الآيات: إنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمةٍ طبّقت ما بين الخافقين، وجعل فيها سكناً ونجوماً وقمراً منيراً، وإذا شاء بناءً جعل فيه من المطر والبرق والرعد والصواعق ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحرًّا يأخذ بأنفاس الناس ليعلم الناس أن لهذا الخلق ربًا هو يجادله بما يرون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأصحاب رسول الله ﷺ عرفوا ذلك وبينوه للناس، وعرفوا أن حدوث الحوادث اليومية المشهودة تدل على أن العالم مخلوق، وأن له ربًا خلقه ويحدث فيه الحوادث»<sup>(٢)</sup>.

ثم أورد أثر الحسن المتقدم وعلق عليه تعليقاً مختصرأً.

ومن رفق الله بعباده رفقه سبحانه بهم في أحکامه وأمره ونهيه، فلا يكلف عباده ما لا يطيقون، وجعل فعل الأوامر قدر الاستطاعة، وأسقط عنهم كثيراً من الأعمال

(١) «كتاب المطر والرعد والبرق والريح» لابن أبي الدنيا (ص / ٨٠-٨١).

(٢) «جامع الرسائل» (١/١٣٩).

بمجرد المشقة رخصة لهم ورفقا بهم ورحمة، ولم يأخذ عباده بالتكليف دفعة واحدة، بل تدرج بهم من حال إلى حال حتى تألف النفوس وتلين الطابع ويتم الانقياد.  
ومن رفقه سبحانه إمهاله راكب الخطيئة ومفترض الذنب وعدم معاجلته بالعقوبة لينسب إلى ربه ولি�توب من ذنبه وليعود إلى رشده.

قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الْرَّحْمَةِ لَوْمَوْلَانِيَّا كَسَبُوا لَهُجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَحِدُّوْا مِنْ دُونِهِ مَوْبِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْمَوْلَانِيَّا أَنَّاسَ بِظُلْمِهِرِ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَائِنَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

فيَّنَ سبحانه أنه لو يؤخذ الناس بما كسبوا من الذُّنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حليم رفيق لا يعجل بالعقوبة بل يمهل ولا يهمل.

ومن رفقه سبحانه أن دينه كله رفق ويسير ورحمة، وأمر عباده بالرفق، ويعطيهم على الرفق ما لا يعطي على الشدة، ولا يكون في شيء من الأمور إلا زانه، ومن حرمه حرم الخير، ولذا ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقا في أموره كلها، وأحواله جميعها، بعيداً عن العجلة والتسرع والتهور والاندفاع، فإن العجلة من الشيطان، ولا يبوء صاحبها إلا بالخيبة والخسران، وكفى بالرُّفق نبلًا وفضلاً أنه حبيب للرحمٰن، فهو سبحانه رفيق يحب الرفق.

وقد جاءت السنة النبوية بالحث على الرفق في الأمور كلها، ففي «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرُّفَقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ

.(١) (رقم: ٢٥٩٤).

من شيء إلا شانه».

وفيه<sup>(١)</sup> عن جرير حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «من يُحِرِّم الرِّفْقَ يُحِرِّم الْخَيْرَ»، وفي «المسندي»<sup>(٢)</sup> عن عائشة حَدَّثَنَا عَائِشَةُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار».

وكان نبيّنا محمد<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> أرفق الناس، وشواهد رفقه في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته في سيرته واضحة، بل إنه ضرب أروع الأمثلة في تحقيق الرفق والأناة في تعامله مع الناس ودعوته إلى دين الله، ومعاجلته لما قد يقع من أخطاء أو مخالفات، ومن ذلكم ما رواه البخاري ومسلم عن أنس حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيًّا فَقَامَ يَبْولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ مَهْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزَرِّمُوهُ دُعْوَهُ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى يَبَالُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلِحُ لِشَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقُرْءَةِ الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup>، ورواية البخاري<sup>(٤)</sup> من حديث أبي هريرة حَدَّثَنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُمْ: دُعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِّنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنْبَوْيَا مِّنْ مَاءٍ -، فَإِنَّمَا بُعْثِثُ مِسْرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُنَا مَعْسِرِينَ.. فربّنا سبحانه رفيق يحب الرفق، وديننا رفق ويسر كلّه، ونبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمام أهل الرفق وقدوتهم، وواجبنا أن نتحلل بالرفق في شأننا كله، والله وحده الموفق لا شريك له.

(١) (رقم: ٢٥٩٢).

(٢) (٦/١٥٩) بإسناد صحيح. انظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٥١٩).

(٣) « الصحيح البخاري» (رقم: ٢٢١)، و« الصحيح مسلم» (رقم: ٢٨٥) واللفظ له.

(٤) (رقم: ٢٢٠).

## الوتر

وهو اسم ثابتٌ في السنة، ففي «الصّحّيحةين»<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رض، عن النبي ﷺ قال: «الله تسعهٔ وتسعون اسماً، مائة إلّا واحداً، لا يحفظها أحدٌ إلّا دخل الجنة، وهو وترٌ يحبُّ الوتر».

و«الوتر»: هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير، فهو اسمٌ دالٌّ على وحدانية الله سبحانه، وتفرده بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه ليس له شريك ولا مثيل في شيء منها، والنّصوص الكثيرة في القرآن الكريم في نفي النّدّ والمثل والكفوء والسمّي عن الله تدلّ على ذلك وتقرره أوضح تقرير.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْمَلُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [مريم: ٦٥].

في الإيمان بأن الله وترٌ نفي للشريك من كل وجه؛ في الذات والصفات والأفعال، وإقرارٌ بتفرده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والكرياء والجلال، وكذلك فيه إقرارٌ بتفرد الله بخلق الكائنات وإبداع البريات وإيجاد المخلوقات، والتصرف فيها بما يشاء، فلا ندّ له، ولا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل.

---

(١) «صحّيحة البخاري» (رقم: ٦٤١٠)، و«صحّيحة مسلم» (رقم: ٢٦٧٧).

وهذا الإقرار موجب أن يفرد وحده بالذل والخضوع والحب والرجاء والتوكل والإنابة وسائر أنواع العبادة، وفي القرآن آيات كثيرة يقرر فيها سبحانه المشركين بما لا يسعهم إنكاره ولا مناص لهم من إثباته ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرّده بالرّزق والملك والتدبّير والإحياء والإماتة والبدء والإعادة والإرشاد والهدية، وغير ذلك، ليقيم به عليهم الحجّة في وجوب توحيده وإفراده بالعبادة، وإبطال ما هم عليه من الشرك الفاضح، والكفر المبين، بالعكوف على من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «والوتر يراد به التوحيد، فيكون المعنى: إن الله في ذاته وكماه وأفعاله واحدٌ، ويحيطُ التوحيد، أي: يُوحَد ويُعتقد انفرادُه دون خلقه، فيلتئمُ أَوْلُ الحديث وآخرُه، وظاهره وباطنه»<sup>(١)</sup>.  
 فأول الحديث إخبار بوحدانية الله وتفرّده بالحلال والكمال، والخلق والتصرف والتدبّير، وآخره ترغيب في التوحيد وحْضُّ عليه ببيان حبه سبحانه لأهله القائمين به المحافظين عليه.

وكم في القرآن من الآي في تقرير هذا التوحيد وإبطال الشرك والتبديّد، قال الله تعالى: ﴿أَرَيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ أَلْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِمَّ إِلَيْهِ وَسَلِّمْ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَتَ عَالَمَةَ خَيْرٍ أَمَا مُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وكم فيه من ذكر الحجج الواضحات، والبراهين البينات، والدلائل الساطعات وإرشاد العباد في الاستدلال على وحدانيته بآياته وسننه الكونية، وتفرّده سبحانه بتصريف المخلوقات وتدبّير الكائنات بما هو أبين دليل على تفرّده بالإلهية واستحقاقه أن يعبد وحده لا شريك له.

---

(١) «المفهم» (٧/١٨).

قال ابن القيم رحمه الله: «كُلُّ سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قوله كلياً: إنَّ كُلَّ آية في القرآن فهي متضمنة للتَّوْحِيد، شاهدة به، داعية إليه، فإنَّ القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التَّوْحِيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التَّوْحِيد الإرادي الْطَّلبي، وإنَّا أمر ونهى وإلزام بطاعته في نهيِه وأمره فهي حقوق التَّوْحِيد ومكملاَتِه، وإنَّما خبر عن كرامة الله لأهله توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرِّمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيدِه، وإنَّما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدُّنيا من النَّكال، وما يجعلُهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبرٌ عَمَّنْ خرج عن حكم التَّوْحِيد، فالقرآن كُلُّه في التَّوْحِيد وحقوقه وجراه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»<sup>(١)</sup>.

وقد بيَّنَ الله في القرآن الكريم أنَّ المُتَّخِذِينَ شفاعة مشرِّكٍ كونَ به، وأنَّهم لا يملكون لعاَبِدِيهِم شَيْئاً منَ الْخَيْرِ والنَّفْعِ، قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَخْدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَصْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَرَيَّوْلُونَ هَتَّلَاءَ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبَثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فمتَّخذُ الشَّفَاعةِ مشرِّكٌ لا تفعُّل شفاعته ولا يُشفع له، ومتَّخذُ الرَّبِّ وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ومحظوظه الذي يتقرَّبُ إليه وحده، ويطلب رضاه، ويتباعد عن سخطه سبحانه مؤمنٌ موْحِّداً، له العاقبة الحميدَة والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

فاللَّوْتُر في أسماء الله فيه الدلالة على وحدانية الله ووجوب توحيدِه وإفرادِه

---

(١) «مدارج السالكين» (٤٥٠/٣).

وحده بالعبادة، وحبه سبحانه للوتر إنما هو في حق من يعبد الله بالوحدانية والإخلاص ونبذ الشريك والنذر.

إضافة إلى أنه يتنظم في معناه حبه سبحانه لكل وتر شرعيه، حيث أمر بالوتر في كثير من الأعمال والطاعات، كما في الصلوات الخمس، ووتر الليل، وأعداد الطهارة، وتکفین المیت، ونحو ذلك، لما رواه الإمام أحمد، وأهل «السنن» وصححه ابن خزيمة واللّفظ له عن علي بن أبي طالب رض أنه قال: «إن الوتر ليس بحتم صلاتكم المكتوبة، ولكن رسول الله ﷺ أوتر ثم قال: أوتروا يا أهل القرآن، فإن الله وتر يحب الوتر»<sup>(١)</sup>.

وكان نبينا ﷺ يراعي الوتر فيسائر شؤونه، فجاء عنه الاصطباح بسبع تمرات، وشرب الماء في أنفاس ثلاثة، والاستغفار ثلاثة أدبار الصلوات المكتوبة، وفي كثير من الأذكار والدعوات يأتي بها وترًا إما مرتين أو ثلاثة أو سبعاً إلى غير ذلك مما ورد عنه ﷺ في سنته القويمـة، وهديـه المباركـ.

ومن حبـ الله سبحانه للوتر خصـ تسعـة وتسـعين اسـمـاً من أسمـائـه الحـسـنى الـوارـدة فيـ القرـآنـ والـسـنةـ بـأـنـ مـنـ أحـصـاـهاـ حـفـظـاـ لهاـ وـفـهـاـ مـدـلـولـهاـ، وـقـيـاماـ بـالـعـبـودـيـاتـ التـيـ تـقـضـيـهاـ دـخـلـ الجـنـةـ.

وفـقـنـاـ اللهـ لـتـحـقـيقـ ذـلـكـ، وـجـعـلـنـاـ بـمـنـهـ وـكـرـمـهـ مـنـ أـهـلـ جـنـاتـ النـعـيمـ.

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٤٣/١)، وأبو داود (١٤١٦)، والترمذـيـ (رقم: ٤٥٣)، والنـسـائيـ (رقم: ١٦٧٥)، وابن ماجـهـ (رقم: ١١٦٩)، وابن خـزـيمـةـ (١٠٦٧)، والـحاـكـمـ (١/٣٠٠) وـغـيـرـهـ مـنـ طـرـقـ عنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ، عـنـ عـاصـمـ بـنـ ضـمـرـةـ، عـنـ عـلـيـ رضـ، بـهـ. وـحـسـنـهـ التـرـمـذـيـ.

## المعطي، الجواد

فاسمه تبارك وتعالى «المعطي» ثابت في «صحيح البخاري»<sup>(١)</sup> من حديث معاوية حَمَّلَهُ اللَّهُ كَرَمًا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْلَمُ وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مِنْ خَالِفِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

واسمه تبارك وتعالى «الجواد» جاء ذكره في الحديث القديسي حديث أبي ذرٌ حَمَّلَهُ اللَّهُ كَرَمًا قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: يَا عَبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مِنْ هَدِيَتِهِ...» الحديث، وفي آخره عند الترمذى وابن ماجه: «ذَلِكَ بَأْنِي جَوَادٌ مَاجِدٌ أَفْعَلَ مَا أَرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ وَعَذَابٌ كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرْدَتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>(٢)</sup>. وكذلك ورد في حديث أنس بن مالك حَمَّلَهُ اللَّهُ كَرَمًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَوَادٌ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْدُودِيهِ إِلَيْهِ ثُمَّ يَقْبضُهُ مِنْ قَبْلِ

(١) (رقم: ٣١٦).

(٢) رواه الترمذى (رقم: ٢٤٩٥)، وابن ماجه (رقم: ٤٢٥٧)، وأحمد (١٥٤ / ٥) وغيرهم من طريق شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي ذرٌ، به . وقال الترمذى: «حديث حسن». وضعف إسناده الألبانى لسوء حفظ شهر، كما في «السلسلة الضعيفة» (٥٣٧٥).

أن يجعل فيها ما سأله»، رواه أبو القاسم بن بشران في «الأمالي»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافتها» رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وغيرهما<sup>(٢)</sup>.

والمعطي: المتفrg بالعطاء على الحقيقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، عطاوه سبحانه كلام، ومنعه كلام، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وكل ما بالعباد من نعمة فهي من منه وعطائه سبحانه، وسع عطاوه العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، هذا في الدنيا، أما يوم القيمة فشخص به أولياء المؤمنين، قال تعالى: ﴿كُلَّا نِعْدَ هَتُولَةً وَهَتُولَةً مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠] آنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولآخرة أكبر درجات وأكبر تقضيالاً [الإسراء: ٢٠ - ٢١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِيَّةَ اللَّهِ الْأَكْبَرِ أَخْرَجَ لِعِبَادَهُ وَأَلْطَبَتْ مِنَ الْرِزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالَصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْسِلُ الْأَيَّدِيَتْ لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].  
والجواد معناه: كثير العطاء، الذي عم بجوده جميع الكائنات، وملأها من فضله وكرمه ونعمه المتنوعة، فلا يخلو مخلوق من إحسانه طرفة عين.

(١) (رقم: ١٥٤) وفي إسناده ابن هبيرة وفيه كلام معروف وبقية رجاله ثقات.

(٢) «فضائل القرآن» (رقم: ٥٢)، و«شعب الإيمان» (٧/٤٢٦)، ورواه الهيثم بن كلبي الشاشي في «مسنده» (رقم: ٢٠) كلهم من طريق حجاج بن أرطاة، عن سليمان بن سحيم، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، به. وفيه حجاج وهو مدلس وقد عنن. والحاصل أن هذه الأحاديث - وإن لم تخل من مقال - يشهد بعضها لبعض وتدل بمجموعها على ثبوت اسم الجواد لله عز وجل. وانظر إثباتات شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الاسم في كتابه «بيان تلبيس الجهمية» (١/٥٣٩ - ٥٣٩).

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَخْبَرَهُ(١) فِي عَهْدِهِ أَجْودُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّهُ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضِيبَهُ، وَحَلَمُهُ عَقُوبَتَهُ، وَعَفْوُهُ مَؤَاخِذَتَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ النِّعْمَةَ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّحْمَةَ، وَأَنَّهُ يَحِبُّ الْإِحْسَانَ وَالْجُودَ وَالْعَطَاءَ وَالْبَرِّ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كَلَّهُ بِيَدِهِ، وَالْخَيْرَ كَلَّهُ مِنْهُ، وَالْجُودُ كَلَّهُ لَهُ، وَأَحَبَّ مَا إِلَيْهِ أَنْ يَجُودَ عَلَى عَبَادِهِ وَيُوَسِّعُهُمْ فَضْلًا، وَيَغْمِرُهُمْ إِحْسَانًا وَجُودًا، وَيَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، وَيَضَاعِفُ لَهُمْ مَتَّهُ، وَيَتَعَرَّفُ إِلَيْهِمْ بِأَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِنِعْمَهُ وَآلَاهِهِ.

فَهُوَ الْجُودُ لِذَاتِهِ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ خَلَقَهُ اللَّهُ وَيَخْلُقُهُ أَبْدًا أَقْلُ منْ ذَرَّةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى جُودِهِ، فَلَيْسَ الْجُودُ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا هُوَ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ فِيمَنْ جُودُهُ، وَمَحْبَبُهُ لِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبَرِّ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ فَوْقَ مَا يَنْخَطُرُ بِيَالِ الْخَلْقِ أَوْ يَدُورُ فِي أَوْهَامِهِمْ... وَهُوَ الْجُودُ لِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ الْحَيُّ لِذَاتِهِ، الْعَلِيمُ لِذَاتِهِ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لِذَاتِهِ، فُجُودُهُ الْعَالِيُّ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْقَاصَ، وَالرَّحْمَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَقُوبَةِ، وَالْفَضْلُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «وَأَنَّهُ سَبَحَانَهُ يَحِبُّ مِنْ عَبَادِهِ أَنْ يُؤْمِلُوهُ وَيَرْجُوهُ وَيَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ؛ لَا تَنَزَّلُ الْمَلَكُ الْحُقُوقُ الْجُودُ، أَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، وَأَحَبُّ مَا إِلَى الْجُودِ أَنْ يُرْجَى وَيُؤْمَلُ وَيُسْأَلُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضِبُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>».

(١) يعني الإنسان.

(٢) «مدارج السالكين» (١/٢١٢ - ٢١١).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٤٢/٢)، والترمذمي (رقم: ٣٣٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم: ٦٥٨) وغيرهم بإسناد لا بأس به. انظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم: ٢٦٥٤).

(٤) «مدارج السالكين» (٢/٥٠).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «ولو لم يكن مِنْ تَحْبِبِهِ إِلَى عِبَادَهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَبِرِّهِ بِهِمْ إِلَّا أَنَّهُ خَلَقَ لَهُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ثُمَّ أَهَلَّهُمْ وَكَرَّمَهُمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ لَهُمْ شَرَائِعَهُ، وَأَذْنَنَ لَهُمْ فِي مِنَاجَاتِهِ كُلَّ وَقْتٍ أَرَادُوا، وَكَتَبَ لَهُمْ بِكُلِّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُونَهَا عَشْرَ أَمْثَالًا إِلَى سِبْعَمِائَةِ ضَعْفٍ إِلَى أَصْعَافٍ كَثِيرٍ، وَكَتَبَ لَهُمْ بِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَةً، فَإِنْ تَابُوا مِنْهَا مَحَاهَا، وَأَثْبَتَ مَكَانَهَا حَسَنَةً، وَإِذَا بَلَغَتْ ذَنْوَبُ أَحَدِهِمْ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرَهُ غَفَرَ لَهُ، وَلَوْ لَقِيَهُ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيَهُ بِالْتَّوْحِيدِ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا لَأَتَاهُ بِقُرَابَاهَا مَغْفِرَةً، وَشَرَعَ لَهُمْ التَّوْبَةَ الْمَادِمَةَ لِلذَّنْوَبِ، فَوَفَّقَهُمْ لِفِعْلِهَا، ثُمَّ قَبَلَهَا مِنْهُمْ، وَشَرَعَ لَهُمُ الْحَجَّ الَّذِي يَهِدُمُ مَا قَبَلَهُ، فَوَفَّقَهُمْ لِفِعْلِهِ وَكَفَرَ عَنْهُمْ سِيَّئَاتِهِمْ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَا شَرَعَهُ لَهُمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَهُوَ الَّذِي أَمْرَهُمْ بِهَا، وَخَلَقَهَا لَهُمْ، وَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَرَتَّبَ عَلَيْهَا جَزَاءَهَا، فَمِنْهُ السَّبُبُ وَمِنْهُ الْجَزَاءُ، وَمِنْهُ التَّوْفِيقُ، وَمِنْهُ الْعَطَاءُ أَوَّلًا وَآخَرًا، وَهُمْ مُحْلُّ إِحْسَانِهِ كُلَّهُ مِنْهُ أَوَّلًا وَآخَرًا، وَأَعْطَى عِبَدَهُ الْمَالَ وَقَالَ: تَقْرَبْ بِهَذَا إِلَيَّ أَقْبَلْهُ مِنْكَ، فَالْعَبْدُ لَهُ وَالْمَالُ لَهُ وَالثَّوَابُ مِنْهُ، فَهُوَ الْمَعْطِيُّ أَوَّلًا وَآخَرًا.

فَكَيْفَ لَا يُحِبُّ مَنْ هَذَا شَانُهُ، وَكَيْفَ لَا يَسْتَحِي الْعَبْدُ أَنْ يَصْرِفَ شَيْئًا مِنْ مُحِبَّتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ أَوْلَى بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَالْمَحْبَّةِ مِنْهُ؟! وَمَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ مِنْهُ؟! فَسَبَحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(۱)</sup>.

وَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ وَقَدْ عَرَفَ فَضْلَ اللَّهِ وَجُودَهُ وَعَطَاءَهُ وَأَنَّ الْعَطَاءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِنْتِقَامِ؛ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِغَضَبِهِ سَبَحَانَهُ بِفَعْلِ مَسَاخِطِهِ وَارْتَكَابِ مَنَاهِيهِ «فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَدْعَى مِنَ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ خَلَافَ مَا هُوَ

(۱) «طَرِيقُ الْمُهَجَّرَتَيْنِ» (ص/ ۴۶۸).

موصوف به من الجود والإحسان والبر، وتعرّض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبُه سخطٌ في موضع رضاه، وانتقامُه عقوبة في موضع كرمه وبُرُّه وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحبُّ إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان»<sup>(١)</sup>.

والمرجُونَ منَ الجِنودِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْلَمَ عَلَيْنَا جَمِيعاً بِفَعْلِ الأَسْبَابِ الْمُؤْدِيَةِ إِلَى نَيلِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَنْ يُعِيدَنَا مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى سُخْطَهِ وَعَقْوَبَتِهِ وَانتِقامَهِ، فَالْجُودُ جُودُهِ، وَالْمُنْْثُمنُ مِنْهُ، وَالْأَمْرُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَا شَرِيكَ لَهُ.



---

(١) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (١/٢١٢ - ٢١٣).

## ذو الجلال والإكرام

وقد ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿نَبَرُكَ أَتْمَمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقد جاء في السنة النبوية فضل الدعاء بهذا الاسم، ففي «المسندي»<sup>(١)</sup> عن ربيعة ابن عامر حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلْظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، أي: إِلَرَمُوهُ وَأَثْبُتوْا عَلَيْهِ وَأَكْثُرُوا مِنْ قَوْلِهِ وَالتَّلْفُظُ بِهِ فِي دُعَائِكُمْ، يَقُولُ: أَلْظُّ بِالشَّيْءِ يُلِظُّ إِلَظَاظًا: إِذَا لَزَمَهُ وَثَابَرَ عَلَيْهِ. كَذَا فِي «النَّهَايَةِ»<sup>(٢)</sup> لابن الأثير.

وفي «المسندي» أيضاً عن أنس حَفَظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي، فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»<sup>(٣)</sup>.

«فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسماه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة، وأعظممه موقعاً عند المسؤول»<sup>(٤)</sup>.

(١) (٤/١٧٧) وإسناده صحيح. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٦).

(٢) (٤/٥٠٠).

(٣) سبق تخربيه.

(٤) «فائدۃ جلیلة فی قواعد الاسماء الحسنى» لابن القیم (ص/٢٠).

وفي «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup> عن ثوبان حَوْلَتْهُ اللَّهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

وهو من الأسماء المضافة، وهي معدودة عند جماعة من أهل العلم في أسماء الله الحسنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: «وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الرّاحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة وثبت في الدّعاء<sup>(٢)</sup> بها بإجماع المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

وهو من الأسماء الدالة على جملة أوصاف عديدة لا على معنى مفرد كما نبه على ذلك ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ في القواعد المتعلقة بأسماء الله الحسنى التي ساقها في كتابه «بائع الفوائد».

والإضافة في قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، هي من باب إضافة صفاته القائمة به إليه سبحانه وتعالى، كقوله: ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأనعام: ١٣٣]، و﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فالجلال والإكرام والرحمة والقوة كلّها صفات لله عَزَّوَجَلَّ مختصة به، دالة على عظمته وكماله سبحانه، بخلاف قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيد﴾ [البروج: ١٥]، فإنه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه على وجه التشريف.

(١) رقم: ٥٩١.

(٢) كذا في الأصل، ولعلّها: «وثبت الدّعاء بها».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤٨٥ / ٢٢).

وفي قوله: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَام﴾ [الرحمن: ٢٧]، جمعٌ بين نوعين من الوصف؛  
 كثيراً ما يقرن بينهما في القرآن الكريم، كقوله: ﴿رَحْمَتُ اللَّهُ وَرَبِّكُنَا، عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ  
 حَمِيدٌ مَحِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ  
 عَفُواً فَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]،  
 وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، وهو كثير في القرآن.

قال ابن القيّم رحمه الله في أثناء كلام له عن اسمي الحميد المجيد، وأنهما إليها  
 يرجع الكمال كله: «وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسرعة والجلال...، والحمد  
 يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد:  
 لا إله إلا الله، والله أكبر، فلا إله إلا الله دالٌ على ألوهيته وتفرده فيها، فألوهيته  
 تستلزم محبيه التامة، والله أكبر دالٌ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده  
 وتعظيمه وتتكبيره، وهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً»<sup>(١)</sup>.  
 فالجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة.

قال الخطابي رحمه الله في بيان المعاني التي يتحملها هذا الاسم: «والمعنى: أنَّ الله  
 جلَّ وعزَ مستحقٌ أن يُجلَّ ويُكْرَم فلا يُجْحَد ولا يُكْفَرُ به، وقد يتحمل أن يكون  
 المعنى: أنه يُكْرِم أهل ولايته ويرفع درجاتهم بال توفيق لطاعته في الدنيا، ويُجْلِيُهم بأن  
 يتقدّمُ أعمّا لهم ويرفع في الجنان درجاتهم، وقد يتحمل أن يكون أحد الأمرين - وهو  
 الجلال - مضافاً إلى الله سبحانه بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى  
 الفعل منه، كقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقَوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فانصرف أحد

(١) «جلاء الأفهام» (ص/٢١٦-٢١٧).

الأمرین، وهو المغفرة إلى الله سبحانه، والآخر إلى العباد، وهو التقوى»<sup>(۱)</sup>.

نقل هذه الاحتمالات الثلاثة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ثم قال: القول الأول أقربها إلى المراد... ثم قال: وإذا كان مستحقاً للإجلال والإكرام لزم أن يكون متصفاً في نفسه بما يوجب ذلك، كما إذا قال: الإله هو المستحق لأن يؤله، أي: يعبد؛ كان هو في نفسه مستحقاً لما يوجب ذلك، وإذا قيل: هو أهل التقوى؛ كان هو في نفسه متصفاً بما يوجب أن يكون هو المتقوى.

ومنه قول النبي ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع بعدما يقول: «ربنا ولك الحمد»: «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»<sup>(۲)</sup>، أي: هو مستحق لأن يشئ عليه وتحلّ نعمته.

والعباد لا يحصون ثناءً عليه، وهو كما أثني على نفسه، كذلك هو أهل أن يجعل وأن يكرم، وهو سبحانه يجيئ نفسه ويكرم نفسه، والعباد لا يحصون إجلاله وإكرامه.

والإجلال من جنس التعظيم، والإكرام من جنس الحب والحمد، وهذا كقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ۱]، فله الإجلال والملك، وله الإكرام والحمد... ثم قال: قوله: ﴿وَيَسِّقَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ۲۷]، وقوله:

﴿نَبَرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ۷۸]، وهو في مصحف أهل الشام: «تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام»، وهي قراءة ابن عامر، فالاسم نفسه يذوّي بالجلال

---

(۱) «شأن الدعاء» (ص/ ۹۱ - ۹۲).

(۲) رواه مسلم (رقم: ۴۷۷).

والإكرام، وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور: ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾، فيكون المسمى نفسه، وفي الأولى ﴿وَبِقَوْمٍ وَجِهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَام﴾ فالمذوّى وجهه سبحانه، وذلك يستلزم أنه هو ذو الجلال والإكرام، فإنه إذا كان وجهه ذا الجلال والإكرام كان هذا تنبئها<sup>(١)</sup> كما أن اسمه إذا كان ذا الجلال والإكرام كان تنبئها على المسمى. وهذا يبين أن المراد أنه يستحق أن يُجلّ ويُكرّم....»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا ينتهي ما أردتُ إيراده في فقه أسماء الله الحسني، والحمد لله حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه على ما يسرّ ومنّ، لا أحصي ثناء عليه ﴿رَبِّ أَوْزَعِيَ أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلِدَائِي وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِيلًا تَرَضَنِي وَأَدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الْأَطْهَارِ الْمُبَرَّكِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفر لك وأتوب إليك.  
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.




---

(١) كذا، ولعله «كان هذا تنبئها على أنه ذو الجلال والإكرام».

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/٣١٧ - ٣٢٢).



# فهرس الموضوعات

الصفرة	الموضوع
٥	تقرير الشیخ عبد الله بن عبد العزیز بن عقیل
٧	المقدمة
١١	منزلة العلم بأسماء الله تعالى وصفاته
١٦	١- فضل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته
٢٠	٢- فضل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته
٢٤	٣- فضل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته
٢٨	اقتضاء أسماء الله لآثارها من الخلق والتقويم
٣٢	اقتضاء أسماء الله لآثارها من العبودية
٣٦	أسماء الله تعالى كلُّها حُسْنِي
٤٠	جادَةُ أهْلِ السُّنْنَةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصَّفَاتِ
٤٥	أقسام أسماء الله من حيث المعانِي
٥٠	اقتران أسماء الله تعالى بعضها ببعض
٥٤	قاعدة: أسماء الله تعالى أعلامٌ وأوصاف
٦٠	قاعدة: تقسيم أسماء الله من حيث الدلالة
٦٥	قاعدة: أسماء الله الحسنى مختصة به لائقة بجلاله
٧٠	أسماء الله تعالى غير مخصوصة

لم يثبت في سرد الأسماء الحسنى حديث، وبيان معنى إحصائها .....	٧٤
التّحذير من بعض المسالك المنحرفة في باب الأسماء والصفات .....	٧٩
تفاصل أسماء الله وصفاته.....	٨٤
الله، الإله.....	٨٩
الربّ .....	٩٤
الرّحمن الرّحيم .....	٩٩
الحيي القيوم .....	١٠٣
الخالق، الخلاق.....	١٠٨
الخالق البارئ المصوّر.....	١١٣
الملك والمليك .....	١١٨
الرّزاق، الرّازق .....	١٢٣
الأحد، والواحد .....	١٢٨
الصمد.....	١٣٣
الهادي .....	١٣٧
الوهاب.....	١٤٢
الفتّاح .....	١٤٦
السميع .....	١٥١
البصير.....	١٥٦
العليم .....	١٦١
اللطيف، الخبير.....	١٦٥
العفو، الغفور، الغفار، التّواب.....	١٦٩
ال العلي، الأعلى، المتعال.....	١٧٤
الكبير، العظيم .....	١٧٩

١٨٣	القوي، المتن
١٨٧	الشهيد، الرّقيب
١٩١	المهيمن، والمحيط، والمقيت، والواسع
١٩٥	الحفظ، الحافظ
٢٠٤	الولي، والمولى
٢٠٤	الأول والآخر ، والظاهر والباطن
٢٠٨	الحكيم ، الحكم
٢١٢	المؤمن الصادق
٢١٧	الغني
٢٢١	الكريم، الأكرم
٢٢٥	السلام
٢٢٩	القدوس، السبُوح
٢٣٣	الحميد
٢٣٧	المجيد
٢٤١	الشكور، الشاكر
٢٤٥	الحليم
٢٤٩	الحق ، المبين
٢٥٤	القدير ، القادر ، المقتدر
٢٥٩	الودود
٢٦٣	البر
٢٦٨	الرّؤوف
٢٧٢	الحسيب، الكافي
٢٧٧	الكفيل، الوكيل

٢٨١	الغالب، النّصير
٢٨٥	العزيز ، الجبار
٢٨٩	القريب، المجيب
٢٩٤	القاھر، القھار
٢٩٨	الوارث
٣٠٣	المتكبّر
٣٠٧	النُور
٣١١	المحسن
٣١٦	الدَّيَان
٣٢١	المقدم ، والمؤخّر
٣٢٥	الطَّيِّب
٣٣٠	الشَّافِي
٣٣٥	الجميل
٣٤٠	القابض الباسط
٣٤٤	المَنَان
٣٤٨	الحبي
٣٥٣	الستير
٣٥٨	السَّيِّد
٣٦٢	الرَّفِيق
٣٦٦	الوتر
٣٧٠	المعطي، الجoward
٣٧٥	ذو الجلال والإكرام
٣٨١	فهرس الموضوعات